انّ قومى كذّبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجّنى ومن معى من المؤمنين فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين
انّ فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وانّ ربك لهو العزيز الرحيم ثمانى عشر آية القراءة قرا يعقوب واتباعك وهو قراءة ابن مسعود
والضحاك وابن السميفع والقراء الباقون واتبعك الحجة يحتمل قوله اتباعك وجهين احدهما ان يكون مبتداء والارذلون خبره والمعنى لما انؤمن
لك واتباعك الارذلون صفة للاتباع وجاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد لما وقع هناك من الفصل وهو قوله لك
فصار طول الكلام به كالعوض من توكيد المضمر بقوله نحن والمعنى انؤمن لك نحن واتباعك الارذلون فنعد فى عدادهم اللغة الارذلون
والاراذل السفلة واوضاع الناس والرذل الوضيع والرذيله نقيض الفضيلة والطرد ابعاد الشيء على وجه التنفير طرده يطرده وطرده
جعله طريدا واطرد فى الباب استمر فى الذهاب كالطريد والرجم الرمى بالحجارة ولا يقال للرمى بالقوس رجم ويسمى المشتوم مرجوما لانه
يرمى بما يذم والانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة الى ما وقع النهى واصل النهاية بلوغ الحد النهى الغدير لانتهاء الماء اليه والفتح الحكم
والفتاح الحاكم لانه يفتح على وجه الامر بالحكم الفصل قال الشاعر الا ابلغ بنى عصم رسولا فانى عن فتاحتكم غنى والفلك السفن تقع
على الواحد والجمع والمشحون من شحنه يشحنه شحنا اذا ملاه بما يسد خلله وشحن الثغر بالرجال ومنه الشحنه الاعراب ما علمى ما حرف نفى
وعلمى مبتداء وتقديره ما علمى ثابت او حاصل بما كانوا يعملون المعنى ثم ذكر حديث نوح ع فقال كذبت قوم نوح المرسلين ودخلت التاء
فى كذبت والقوم مذكرون لان المراد بالقوم الجماعة اى كذبت جماعة قوم نوح المرسلين لان من كذب رسولا واحدا من رسل الله فقد
كذب الجماعة لان كل رسول يامر بتصديق جميع الرسل وقال ابو جعفر يعنى بالمرسلين نوحا ومن كان بينه وبين آدم ع اذ قال لهم اخوهم
نوح اى فى النسب لا فى الدين الا تتقون عذاب الله فى تكذيبى ومخالفتى انى لكم رسول امين على الرسالة فيما بينى وبين ربكم فاتقوا
الله بطاعته وعبادته واطيعون فيما امركم به من الايمان والتوحيد وما اسئلكم عليه اى على الدعاء الى التوحيد من اجر من مزيدة ان
اجرى اى ما جزائى وثوابى الا على رب العالمين وخالق الخلائق اجمعين ثم كرر عليهم قوله فاتقوا الله واطيعون لاختلاف المعنى لان
التقدير فاتقوا الله واطيعون لانى رسول امين واتقوا الله واطيعون لانى لا اسئلكم عليه اجرا فتخافوا تلف اموالكم به فكل واحد
من هذين المعنيين تقوى الداعى الى قبول قول الغير ويبعد عن التهمة قالوا انؤمن لك اى نصدقك فيما تقول واتبعك الارذلون
اى وقد اتبعك سفلة الناس واراذلهم وخساسهم عن قتادة وقيل يعنون المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز عن عطا وقيل يعنون
الحاكة والاساكفة عن الضحاك وعلقمه والمعنى ان اتباعك الارذلون وفقراؤنا واصحاب الاعمال الدنيه والمهن الخسيسه فلو اتبعناك
لصرنا مثلهم ومعدودين فى جملتهم وهذا جهل منهم لانه ليس فى ايمان الارذلين به ما يوجب تكذيبه فان الرذل اذا اطاع سلطانه استحق
التقريب عنده دون الشريف العاصى قال وما علمى بما كانوا يعملون اى ما اعلم اعمالهم وصنايعهم ولم اكلف ذلك وانما كلفت ان
ادعوهم الى الله وقد اجابونى اليه ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون اى ليس حسابهم الا على ربى الذى خلقنى وخلقهم لو تعلمون
ذلك ما عبتموهم بصنايعهم وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين اى ما انا بالذى لا يقبل الايمان من الذين تزعمون انهم الارذلون
لانى لست الا نذيرا مخوفا من معصية الله داعيا الى طاعته مبينا لها قالوا له عند ذلك لئن لم تنته يا نوح اى ان لم ترجع عما تقوله
وتدعوا اليه لتكونن من المرجومين بالحجارة عن قتادة وقيل من المرجومين بالشتم عن الضحاك قال نوح رب ان قومى كذبون فافتح
بينى وبينهم فتحا اى فاقض بيننا قضاء بالعذاب لانه قال ونجنى ومن معى من المؤمنين اى من ذلك العذاب فانجيناه ومن معه فى
الفلك المشحون اى تخلصناه ومن معه من المؤمنين فى السفينة المملوة من الناس وغيرهم من الحيوانات ثم اغرقنا بعد اى بعد
نجاة نوح ومن معه الباقين اى الخارجين من السفينة الكافرين به ان فى ذلك لآية واضحة على توحيد الله وما كان اكثرهم
مؤمنين وليس هذا بتكرار وانما كل واحد فى قصة على حده فهذا ذكر آية فى قصة نوح ع وما كان من شانه بعد ذكر آية مما كان من قصة ابرهيم
وقومه وذكر آية اخرى فى قصة قوم موسى وفرعون فتبين انه ذكر كلا من ذلك لما فيه من الآية الباهرة وان ربك لهو العزيز الرحيم فى
اهلاك قوم نوح بالغرق الرحيم فى انجائه نوحا ومن معه فى الفلك قوله تعالى كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا
تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتبنون بكل

شعرا
عشر
ع ١٠
خمس
ربع

١٥٠

بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ
بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ثمانی عشر آية القرآءة قرا ابن كثير واهل البصرة وابو جعفر والكسائى خلق الاولين بفتح الخاء والباقون خلق بضم
الخاء واللام وفى الشواذ قراءة قتادة تخلدون بضم التاء وكسر اللام الحجة قال ابو على خلق الاولين عادتهم وخلق الاولين اختلافهم
وكذبهم مثل قوله ويخلقون افكا وان هذا الا اختلاق وخلد الشئ اذا بقى واخلدته وخلدته واخلد الى كذا اذا اقام عليه ولزمه وقيل
اخلد الرجل اذا ابطاعنه الشيب اللغة الريع الارتفاع من الارض وجمعه ارياع وريعه قال ذو الرمة طراف الحوافى مشرفه
فوق ريعه ندى ليله فى ريشه يترقرق ومنه الريع فى الطعام وهو ارتفاعه فى الزيادة والنماء قال ابو عبيدة الريع الطريق بين
الجبلين فى الارتفاع وقيل هو الفج الواسع والمصانع ما آخذ للماء جمع مصنع قال ابو عبيدة كل بناء مصنعه وقال قتادة ومجاهد
المصانع هى القصور والحصون والبطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار العالى على غيره بعظيم سلطانه وهو فى صفة
الله تعالى مدح وفى صفة غيره ذم لان معناه فى العبد انه يتكلف الجبرية المعنى ثم وصف اخبر سبحانه عن عاد فقال كذبت عاد
المرسلين والتانيث لمعنى القبيلة اذ قال لهم اخوهم فى النسب هود الا تتقون الله باجتناب معاصيه انى لكم رسول امين الى قوله
رب العالمين مر تفسيره اتبنون بكل ريع اى بكل مكان مرتفع وقيل بكل شرف عن ابن عباس وقيل بكل طريق عن الكلبى والضحاك
آية تعبثون اى بناء لا تحتاجون اليه لسكناكم وانما تريدون العبث بذلك واللعب واللهو كانه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثا منهم
عن ابن عباس فى رواية عطا ويؤيده الخبر المأثور عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج فراى قبة مشرفة فقال
ما هذه فقال له اصحابه هذا الرجل من الانصار فمكث حتى جاء صاحبها فسلم فى الناس اعرض عنه وصنع ذلك به مرارا حتى عرف
الرجل الغضب بوجهه والاعراض عنه فشكى ذلك الى اصحابه وقال والله انى لانكر نظر رسول الله ص واله وما ادرى ما حدث فى وما
صنعت قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فراى قبتك فقال لمن هذه فاخبرناه فرجع الى قبته فسويها بالارض فخرج رسول
الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فلم ير القبة فقال ما فعلت القبة التى كانت ههنا قالوا شكى الينا صاحبها اعراضك عنه فاخبرناه
فهدمها قال ان كل بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما لا بد منه وقيل معناه انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا
على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم عن الكلبى والضحاك وقيل ان هذا فى بنيان الحمام انكر عليهم اتخاذهم بروجا للحمام عبثا
عن سعيد بن جبير ومجاهد وتتخذون مصانع اى حصونا وقصورا مشيدة عن مجاهد وقيل ما آخذ للماء تحت الارض عن قتادة لعلكم
تخلدون اى كانكم تخلدون فيها فلا تموتون فان هذه الابنية بناء من يطمع فى الخلود قال الزجاج معناه تتخذون مبانى الخلود
ولا تفكرون فى الموت واذا بطشتم بطشتم جبارين البطش الاخذ باليد اى اذا بطشتم باحد تريدون انزال عقوبة به عاقبتموه
عقوبة من يريد التجبر بارتكاب العظائم كما قال ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وقيل معناه واذا عاقبتم قتلتم ومعنى الجبار القتال
على الغضب بغير حق فاتقوا الله واطيعون مر معناه واتقوا الذى امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فاعطاهم رزقهم على
ادرار انى اخاف عليكم ان عصيتمونى عذاب يوم عظيم يريد يوم القيمة وصفه بالعظيم لما فيه من الاهوال العظيمة قالوا سواء علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين اى انهيتنا ام لم تكن من الناهين لنا عن الكلبى والمعنى انا لا نقبل ما تدعونا اليه على كل حال وعظت ام
سكت حصول الوعظ منك وارتفاعه مستويان عندنا ثم قالوا ان هذا الا خلق الاولين اى ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين
الذين ادعوا النبوة ولم يكونوا انبياء وانت مثلهم ومن قرا خلق الاولين بضم الخاء فالمعنى ما هذا الذى نحن عليه من تشييد الابنية
والاتخاذ للمصانع والبطش الشديد الا عادة الاولين من قبلنا وقيل معناه ما هذا الذى نحن فيه الا عادة الاولين فى انهم كانوا يحيون
ويموتون ولا بعث ولا حساب وقيل معناه ما الذى تدعيه من النبوة والرسالة الا عادة الاولين وما نحن بمعذبين على ما تدعيه
لا فى الدنيا ولا بعد الموت فكذبوه فاهلكناهم بعذاب الاستيصال ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قد مر تفسيره

عشر

خمس

عشر ع ١١

ما تعلمون ٢ امدكم

قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون في ما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم تسع عشرة آية القراءة قرا اهل الكوفة والشام فارهين والباقون فرهين بغير الف الحجة قال الزجاج فرهين اشرين مرحين وفارهين حاذقين ابوعبيدة قال قدجاء فارهين فى معنى فرهين وانشد لا استكين اذا ما ازمة ازمت ولن ترانى بخير فاره اللبب اى مرح اللبب اللغة الهضيم اللطيف فى جسمه ومنه هضيمة الحشا اى لطيفة الحشا ومنه هضمه حقه اى نقصه لانه لطف جسمه بنقصه ومنه هضم الطعام اذا لطف واستحال الى مشاكلة البدن والمسحر الذى قد سحر مرة بعد اخرى وهو ان يكون ممن له سحر اى رية ومنه قولهم انتفخ سحره قال لبيد فان تسألينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر اى المعلل بالطعام والشراب على امر يخفى كخفاء السحر والشرب الحظ من الماء قال لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة فى غصون ذات اوقال اى لم يمنع حظها من الماء والسوء الضر الذى يشعر به صاحبه لانه يسوءه وقوعه والعقر قطع شىء من بدن الحى فاذا كثر انتفى معه الحيوة واذا قل لم ينتف ثم اخبر سبحانه عن ثمود فقال كذبت ثمود المرسلين وهو مفسر فى هذه السورة الى قوله اتتركون فيما هاهنا آمنين معناه اتظنون انكم تتركون فيما اعطاكم الله من الخير فى هذه الدنيا آمنين من الموت والعذاب وهذا اخبار بان ما هم فيه من النعم لا تبقى عليهم وانها ستزول عنهم ثم عدد نعمهم التى كانوا فيها فقال فى جنات اى بساتين يسترها الشجر وعيون جارية وزروع ونخل طلعها هضيم الطلع الكفرى مشتق من الطلوع لانه يطلع من النخل والهضيم اليانع النضيج عن ابن عباس وقيل هو الرطب اللين عن عكرمة وقيل هو الضامر بدخول بعضه فى بعض عن الضحاك وقيل هو الذى اذا مس تفتت عن مجاهد وقيل هو الذى ليس فيه نوى عن الحسن وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين اى حاذقين بنحتها من فره الرجل فراهة فهو فاره وفرهين اشرين بطرين عن ابن عباس فاتقوا الله فى مخالفته واطيعوه فيما امركم به ولا تطيعوا امر المسرفين يعنى الرؤساء منهم وكانوا تسعة رهط من ثمود الذين عقروا الناقة ثم وصفهم فقال الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا فى جوابه انما انت من المسحرين قد اصيبت بسحر ففسد عقلك فصرت لا تدرى ما تقول وهو بمعنى المسحورين والمراد سحرت مرة بعد اخرى وقيل معناه من المخدوعين وقيل من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب عن ابن عباس وقيل معناه انت مخلوق مثلنا لك سحر اى رية تاكل وتشرب فلم صرت اولى منا بالنبوة ما انت الا بشر مثلنا اى آدمى مثلنا فات بآية اى بمعجزة تدل على صدقك ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة وهى الناقة التى اخرجها الله من الصخرة عشراء على ما اقترحوه لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم هذا مع ما بعده مفسر فى سورة الاعراف والقصة مشروحة هناك

قوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال إني لعملكم من القالين رب نجني وأهلي مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ست عشرة آية اللغة العادى والظالم والجاير نظاير وهو من العدوان واصله من العدو الذى هو الاسراع فى السعى والقالى المبغض يقال قلاه يقليه قلى ابغضه والغابر الباقى فى قلة كالتراب الذى يذهب بالكنس ويبقى غباره والغبر البقية من اللبن فى الاخلاف قال الحرث بن حلزة لا تكسع الشول باغبارها انك لا تدرى من الناتج والتدمير الاهلاك باهول الامور المعنى ثم اخبر سبحانه عن قوم لوط فقال كذبت قوم لوط المرسلين قد فسرناه الى قوله اتأتون الذكران من العالمين اى اتأتون

خمس
عشر
خمس
ع ١٣
عشر
خمس حزب
عشر
ع ١٣

١٥١

الذكور من جملة الخلايق وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم اى وتتركون ما خلقه الله لكم من الازواج والنساء والزوجة هى التى
وقع عليها العقد بالنكاح الصحيح يقال لها زوج وزوجة قال سبحانه اسكن انت وزوجك الجنة بل انتم قوم عادون اى ظالمون
متعدون الحلال الى الحرام والطاعة الى المعصية قالوا لئن لم تنته يا لوط اى لئن لم تنته وترجع عما تقوله ولم تمتنع عن دعوتنا
وتقبيح افعالنا لتكونن من المخرجين عن بلدنا قال لوط لهم عند ذلك انى لعملكم من القالين اى من المبغضين الكارهين ثم دعا ربه
فقال رب نجنى واهلى مما يعملون اى من عاقبته ما يعملونه وهو العذاب النازل فاجاب الله سبحانه دعاه قال فنجيناه واهله اجمعين
يعنى من العذاب الذى وقع بهم ويجوز ان يكون اراد نجيناه واهله من نفس عملهم ويكون النجاة من العذاب النازل بهم
تبعا لذلك والاول اوضح ويدل عليه قوله الا عجوزا فى الغابرين واراد بالعجوز امراته لانها كانت تدل على الفساد وعلى اضيافه
فكانت فى الباقين فى العذاب وهلكت فيما بعد مع من خرج من القرية بما امطر الله من الحجارة ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم
بالخسف وقيل بالايتفاك وهو الانقلاب ثم امطر على من كان غايبا منهم عن القرية الحجارة من السماء وهو قوله وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين اى بئس واشد مطر الكافرين مطرهم وما بعده مفسر قبل قوله تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين
اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين
اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض
مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك
لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم
الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ست عشرة آية القراءة
قرا اهل الحجاز والشام ايكه بالنصب غير مهموز هنا وفى ص والباقون الايكه باثبات الهمزة والجر فى الموضعين الحجة
قال ابو على الايكة تعريف ايكة فاذا خففت الهمزة حذفتها والقيت حركتها على اللام فقلت اليكه كما قالوا الحمر من قال الحمر قال
ليكه وقول من قال اصحاب ليكه بفتح الياء مشكل لانه فتح مع لحاق لام المعرفة الكلمة وهذا فى الامتناع كقول من قال يلحمر فيفتح
وانما يخرج هذا على ان المعنى قد سمى بكلمة يكون اللام فيها فاء ولم اسمع بها وقال الزجاج جاء فى التفسير ان اسم المدينة التى ارسل
اليها شعيب كان ليكه اللغة الايكة الغيضة ذات الشجر الملتف وجمع الايك قال يجلو بقادمتى حمامة ايكه بردا اسف لثاثه بالاثمد
المخسر المعرض للخسران فى راس المال بالنقصان اخسر يخسر اخسارا اذا جعله يخسر فى ماله وبنقيضه اربحه والجبلة الخليقة التى
طبع عليها الشئ بكسر الجيم والباء وقيل ايضا بضمها ويسقطون الهاء ايضا قال ابو ذويب منايا يقربن الحتوف لاهلها جهارا و
يستمتعن بالانس الجبيل وقال آخر والموت اعظم حادثا مما يمر على الجبله المعنى ثم اخبر سبحانه عن قوم شعيب فقال كذب
اصحاب ليكة المرسلين وهم اهل مدين عن ابن عباس وقيل انهم غيرهم عن قتادة وقال ان الله تعالى ارسل شعيبا الى امتين اذ قال
لهم شعيب ولم يقل اخوهم لانه لم يكن من نسبهم وكان من اهل مدين فلذلك قال فى ذلك الموضع والى مدين اخاهم شعيبا
الا تتقون انى لكم رسول امين مفسر فيما قبل الى قوله رب العالمين وانما حكى الله سبحانه دعوة كل نبى بصيغة واحدة ولفظ واحد
اشعارا بان الحق الذى ياتى به الرسل ويدعون اليه واحد من اتقاء الله تعالى واجتناب معاصيه والاخلاص فى عبادته وطاعة رسله
وان انبياء الله تعالى لا يكونون الا امناء الله فى عباده وانه لا يجوز على احد منهم ان ياخذ الاجرة على رسالته لما فى ذلك من التنفير عن
قبول قولهم ثم قال اوفوا الكيل اى اعطوا الواجب وافيا غير ناقص ويدخل الوفاء فى الكيل والوزن والذرع والعدد ولا تكونوا من
المخسرين اى من الناقصين للكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم اى بالعدل الذى لا حيف فيه اى زنوا وزنا بجميع الايفاء و
الاستيفاء ذكرنا الاقوال فى القسطاس فى سورة بنى اسرائيل ولا تبخسوا الناس اشياءهم اى لا تنقصوا الناس حقوقهم ولا تمنعوها
ولا تعثوا فى الارض مفسدين اى لا تعثوا فى الارض بالفساد والعيث اشد الفساد والخراب عن ابى عبيدة واتقوا الذى خلقكم
اى اوجدكم بعد العدم والجبلة اى الخليقة الاولين يعنى وخلق الامم المتقدمين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا

عشر

خمس

عشر ع ١٤

ومعناه وان نظنك لمن الكاذبين اى فانا نظنك كاذبا من جملة الكاذبين وان هذه مخففة من الثقيلة ولذلك لزمها اللام فى الخبر
فاسقط علينا كسفا من السماء جمع كسفه عن ابن عباس ان كنت من الصادقين فى دعواك قال شعيب ربى اعلم بما تعملون ومعناه
انه كان فى معلومه انه ان ابقاكم تبتم او تاب بعضكم لم يقطعكم بالعذاب وانه كان فى معلومه انه لا يفلح واحد منكم فسياتيكم عذاب
الاستيصال ثم قال فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة اصابهم حر شديد سبعة ايام وحبس عنهم الريح ثم غشيهم سحابه فلما
خرجوا اليها طلبا للبرد من شدة الحر الذى اصابهم مطرت عليهم نارا فاحرقتهم فكان اعظم الايام فى الدنيا عذابا وذلك قوله
انه كان عذاب يوم عظيم ومعنى الظلة ههنا السحاب الذى قد اظلهم ان فى ذلك لاية مفسر الى آخره قوله تعالى وانه لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وانه لفى زبر الاولين اولم يكن لهم
آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب
المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون افبعذابنا يستعجلون
افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون احدى وعشرون آية
القراءة قرا اهل الحجاز وابو عمرو وحفص وزيد نزل بالتخفيف الروح الامين بالرفع وقرا الباقون نزل بالتشديد الروح الامين بالنصب وقرا ابن عامر
اولم تكن بالتاء آية بالرفع والباقون لم يكن بالياء آية بالنصب وفى الشواذ قراءة الحسن الاعجميين وقراءته ايضا فتاتيهم بغتة بالتاء وما تنزلت به الشياطون
الحجة قال ابو على حجة من قال نزل به بالتشديد قوله فانه نزله على قلبك وننزل الملائكة والروح فانه مطاوع نزل وقوله نزله روح القدس من
ربك بالحق ومن اسند الفعل الى الروح فقال نزل به الروح الامين فانه ينزل بامر الله سبحانه فمعناه معنى المثقله والوجه فى قراءة ابن
عامر اولم يكن لهم آية ان فى يكن ضمير القصة والحديث لان ما يقع تفسير القصة او الحديث من الجمل اذا كان فيها اسم مؤنث جاز تانيث المضمر
على شريطة التفسير كقوله فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله فانها لا تعمى الابصار وكذلك ان يعلمه علماء بنى اسرائيل لما كان فيهم
مؤنث جاز ان يؤنث يكن بآية مرتفعة بانها خبر الابتداء الذى هو ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ولا يمتنع ان لا يضمر القصة والحديث
ولكن يرفع ان يعلمه بقوله يكن وان كان فى تكن علامة تانيث الا ان يعلمه فى المعنى هو الآية فيحمل الكلام على المعنى كما حمل على المعنى فى قوله
فله عشر امثالها فانث لما كان المراد بالامثال الحسنات وكذلك قراءة من قرا ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقال ابن جنى فى قراءة الحسن
الاعجميين انها تفسير للغرض فى القراءة المجمع عليها وهى قوله بعض الاعجمين وذلك ان ما كان من الصفات على افعل ومؤنثه فعلاء
لا يجمع بالواو والنون ولا بالالف والتاء فكان قياسه ان لا يجوز فيه الاعجمون لكن سببه انه اريد به الاعجميون ثم حذفت ياء النسب
وجعل جمعه بالواو والنون دليلا عليها وامارة لارادتها كما جعلت صحة الواو فى عواور امارة لارادة الياء فى عواوير وقوله فتاتيهم
بغتة بالتاء معناه فتاتيهم الساعة بغتة فاضمر الساعة لدلالة العذاب الواقع فيها عليها ولكثرة ما تردد فى القرآن من ذكر اتيانها
واما قوله الشياطون فقد قال الفراء فيه غلط الشيخ يعنى الحسن فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال اذا جاز ان يحتج بقول العجاج و
رؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن مع انا نعلم انه لم يقراه الا وقد سمعه قال ابن جنى هذا مما يعرض مثله للفصيح لتداخل الجمعين
عليه وتشابههما عنده ونحو منه قولهم مسيل فيمن اخذه من السيل ثم قالوا فى جمعه مسلان وامسله وفى معين معنان وامعنه
مع ان الاقوى ان يكون معناه من العين فالشياطون غلط لكنه يشبهه كما ان من هز مصايب كذلك عندهم وقال الامام الزمخشرى
الوجه فيه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين وحقه ان يشتقه من الشيطوطة وهى الهلاك كما قيل له الباطل اللغة الاعجم
الذى يمتنع لسانه من العربية والعجمى نقيض العربى والاعجمى نقيض الفصيح الاعراب لا يؤمنون به فى موضع النصب على الحال وبغته
مصدر وضع موضع الحال سنين ظرف زمان لمتعناهم ما اغنى ما نافيه ومفعول اغنى محذوف وتقديره ما اغنى عنهم تمتعهم شيئا ذكرى
فى محل النصب لانه مفعول له وما ينبغى فاعل ينبغى مستكن فيه عايد الى مصدر تنزل تقديره وما ينبغى لهم ان يتنزلوا به المعنى ثم بين
سبحانه امر القرآن بعد ان قص اخبار الانبياء عليهم السلم ليتصل به حديث نبينا صلى الله عليه وآله فقال وانه لتنزيل رب العالمين نزل به اى

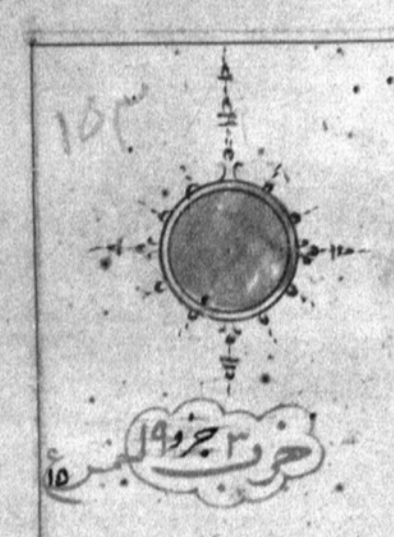
خمس عشر
خمس عشر

نزل الله بالقرآن الروح الامين يعني جبرائيل ع وهو امين عليه لا يغيره ولا يبدله وسماه روحا لانه يحيا به الدين وقيل لانه يحيي بالارواح
بما ينزل من البركات وقيل لان جسمه روحاني على قلبك يا محمد وهذا على سبيل التوسع لان الله تعالى يسمعه جبرائيل ع فيحفظه وينزل به
على الرسول ويقراه عليه فيعيه ويحفظه بقلبه فكانه نزل به على قلبه وقيل معناه لقنك الله حتى تلقنته وثبته على قلبك وجعل
قلبك وعاء له لتكون من المنذرين اى لتخوف به الناس وتنذرهم بآيات الله بلسان عربي مبين اى بلغة العرب مبين للناس ما بهم اليه
الحاجة في دينهم وقيل اراد به لسان قريش ليفهموا ما فيه ولا يقولوا لا نفهم ما يقول محمد عن مجاهد وقيل لسان جرهم وانما جعله
عربيا لان المنزل عليه عربي والمخاطبون به عرب ولانه تحدى بفصاحته فصحاء العرب وقد تضمنت هذه الآية تشريف هذه اللغة
لانه سماها مبينا ولذلك اختارها لاهل الجنة وانه اى وان ذكر القرآن وخبره لفي زبر الاولين اى في كتب الاولين على وجه البشارة به
وبمحمد ص وآله لا بمعنى ان الله انزله على غير محمد صلى الله عليه وآله وواحد الزبر زبور وقيل معناه انه انزل على ساير الانبياء من الدعاء الى
التوحيد والعدل والاعتراف بالبعث ولقاصيص الامم مثل الذي نزل في القرآن ولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل معناه
او لم يكن علم علماء بني اسرائيل بمجيئه كانوا عالمين على ما تقدمت البشارة دلالة لهم على صحة نبوته لان العلماء الذين آمنوا من بني اسرائيل
كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم وكانت اليهود تبشر به وتستفتح على العرب به وكان ذلك سبب اسلام الاوس والخزرج على
ما مر بيانه وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام واصحابه عن ابن عباس وقيل هم خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبه واسد
واسيد عن عطيه ولو نزلناه على بعض الاعجمين اى ولو نزلنا القرآن على رجل ليس من العرب او على من لا يفصح فقراءه عليهم اى على
العرب ما كانوا به مؤمنين اى لم يؤمنوا به وانفوا من اتباعه لكنا انزلناه بلسان العرب على افصح رجل منهم من اشرف بيت ليتدبروا
فيه وليكون ادعى الى اتباعه وتصديقه وقيل معناه لو نزلناه على اعجم من البهايم وغيرها لما آمنوا به وان كان فيه زيادة اعجوبة عن
عبد الله بن مطيع وروى عن عبد الله بن مسعود انه سئل عن هذه الآية وهو على بعير فاشار اليه وقال هذا من الاعجمين كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين اى كما انزلنا القرآن عربيا مبينا امررناه وادخلناه واوقعناه في قلوب الكافرين بان امرنا النبي ص وآله
حتى قراءه عليهم وبينه لهم ثم بين انهم مع ذلك لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيلجيهم الى الايمان وهذا خبر عن الكفار الذين
علم الله انهم لا يؤمنون ابدا فياتيهم اى العذاب الذي يتوقعونه ويستعجلونه بغتة اى فجاءة وهم لا يشعرون بمجيئه فيقولوا هل نحن
منظرون اى مؤخرون لنؤمن ولنصدق قال مقاتل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وآله بالعذاب استعجلوا العذاب تكذيبا به
فقال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون توبيخا لهم ثم قال افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون اى ارايت ان انظرناهم واخرناهم سنين ومتعناهم بشيء من الدنيا ثم اتيتهم العذاب لم يغن عنهم ما متعوا به في
تلك السنين من النعيم لازديادهم في الآثام واكتسابهم من الاجرام وهو استفهام في معنى التقرير وما اهلكنا من قرية اى وما اهلكنا
قرية الا لها منذرون اى الا بعد اقامة الحجج عليهم بتقديم الانذار وارسال الرسل ذكرى اى تذكيرا وموعظة لهم ليتعظوا ويصلحوا فاذا لم
يصلحوا مع التخويف والتحذير واستحقوا عذاب الاستيصال باصرارهم على الكفر اهلكناهم وما كنا ظالمين اى وما ظلمناهم بالاهلاك
لانا لا نظلم احدا نفى سبحانه عن نفسه الظلم وفي هذا تكذيب لمن زعم ان كل ظلم وكفر في الدنيا فهو من خلقه وارادته وغاية الظلم ان يعاقب
عباده على ما خلقه فيهم واراده منهم تعالى عن ذلك وتقدس وما تنزلت به اى بالقرآن الشياطين كما زعمه بعض المشركين وما ينبغي
لهم انزال ذلك اى للشياطين ولا يستطيعون ذلك ولا يقدرون عليه لان الله تعالى يحرس المعجزة عن ان يموه بها المبطل فانه
اذا اراد ان يدل بها على صدق الصادق اخلصها بمثل هذه الحراسة حتى تصح الدلالة بها ومعنى قول العرب ينبغي لك ان تفعل
كذا انه يطلب منك فعله في مقتضى العقل من البغية التي هي الطلب انهم عن السمع لمعزولون اى مصروفون عن استماع
القرآن اى عن المكان الذي يستمعون ذلك فيه ممنوعون عنه بالشهب الثاقبة وقيل معناه ان الشياطين عن سمع القرآن محجوبون
عن قتادة فان العزل تنحية الشيء عن موضع الى خلافه وازالته عن امر الى نقيضه قال مقاتل قالت قريش انما يجيء بالقرآن الشياطين
فتلقيه على لسان محمد فاكذبهم الله تعالى بان قال انهم لا يقدرون ان ياتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب

خمس عشر

قوله تعالى فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ۞ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۞ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞
فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞

ثمانی آیات القراءة قرا اهل المدینة وابن عامر فتوکل بالفاء والباقون بالواو الحجة وهو فی مصاحف اهل المدینة والشام بالفاء وفی
مصاحف مکة والعراق بالواو والوجهان حسنان اللغة عشرة الرجل قرابته سموا بذلک لانه یعاشرهم وهم یعاشرونه المعنی
ثم خاطب سبحانه نبیه صلی الله علیه وآله والمراد به سایر المکلفین فقال فلا تدع مع الله الها آخر فتکون من المعذبین بسبب ذلک وانما افرده بالخطاب
لیعلم ان العظیم الشان اذا اوعد فمن دونه کیف حاله واذا حذر هو فغیره اولی بالتحذیر وانذر عشیرتک الاقربین ای رهطک الادنین
ای انذرهم بالافصاح من غیر تلیین بالقول کما تدعوا الیه مقاربة العشیرة وانما خصهم بالذکر تنبیها علی انه ینذر غیرهم وانه لا یداهنهم
لاجل القرابة لینقطع طمع الاجانب عن مداهنته فی الدین وقیل انه علیه السلام امران یبدا بهم فی الانذار والدعاء الی الله ثم بالذین یلونهم کما قال
قاتلوا الذین یلونکم من الکفار لان ذلک هو الذی یقتضیه حسن الترتیب وقیل انه انما خصهم لانه یمکنه ان یجمعهم ثم ینذرهم وقد
فعل ذلک صلی الله علیه وآله واشتهرت القصة بذلک عند الخاص والعام وفی الخبر الماثور عن البراء بن عازب انه قال لما نزلت هذه الآیة جمع رسول
الله صلی الله علیه وآله بنی عبد المطلب وهم یومئذ اربعون رجلا الرجل منهم یاکل المسنة ویشرب العس فامر علیا علیه السلام برجل شاة فادمها ثم
قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرة عشرة فاکلوا حتی صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم اشربوا بسم الله فشربوا
حتی رووا فبدرهم ابو لهب فقال هذا ما سحرکم به الرجل فسکت صلی الله علیه وآله یومئذ ولم یتکلم ثم دعاهم من الغد علی مثل
ذلک من الطعام والشراب ثم انذرهم رسول الله صلی الله علیه وآله فقال یا بنی عبد المطلب انی انا النذیر الیکم من الله عز وجل والبشیر
فاسلموا واطیعونی تهتدوا ثم قال من یواخینی ویوازرنی ویکون ولیی ووصیی بعدی وخلیفتی فی اهلی ویقضی دینی فسکت القوم
فاعادها ثلاثا کل ذلک یسکت القوم ویقول علی علیه السلام انا فقال فی المرة الثالثة انت فقال القوم وهم یقولون لابی طالب اطع ابنک
فقد امر علیک اورده الثعلبی فی تفسیره وروی عن ابی رافع هذه القصة وانه جمعهم فی الشعب فصنع لهم رجل شاة فاکلوا حتی
تضلعوا وسقاهم عسا فشربوا کلهم حتی رووا ثم قال ان الله تعالی امرنی ان انذر عشیرتی الاقربین وانتم عشیرتی ورهطی وان الله لم
یبعث نبیا الا جعل له من اهله اخا ووزیرا ووارثا ووصیا وخلیفة فی اهله فایکم یقوم فیبایعنی علی انه اخی ووارثی ووزیری
ووصیی ویکون منی بمنزلة هرون من موسی الا انه لا نبی بعدی فسکت القوم فقال لیقومن قائمکم او لیکونن فی غیرکم ثم لتندمن ثم
اعاد الکلام ثلث مرات فقام علی فبایعه فاجابه ثم قال ادن منی فدنا منه ففتح فاه ومج فی فیه من ریقه وتفل بین کتفیه وثدییه فقال
ابو لهب بئس ما حبوت به ابن عمک ان اجابک فملأت فاه ووجهه بزاقا فقال صلی الله علیه وآله ملأته حکمة وعلما وعن ابن عباس قال لما
نزلت هذه الآیة صعد رسول الله صلی الله علیه وآله علی الصفا فقال یا صباحاه فاجتمعت الیه قریش فقالوا ما لک فقال ارایتکم ان
اخبرتکم ان العدو مصبحکم او ممسیکم ما کنتم تصدقونی قالوا بلی قال فانی لکم نذیر بین یدی عذاب شدید قال ابو لهب تبا لک الهذا دعوتنا
جمیعا فانزل الله عز وجل تبت یدا ابی لهب وتب الی آخر السورة وفی قراءة عبد الله وانذر عشیرتک الاقربین ورهطک منهم
المخلصین وروی عن ابی عبد الله علیه السلام واخفض جناحک لمن اتبعک من المؤمنین ای الن جانبک وتواضع لهم وحسن اخلاقک معهم
عن ابن زید وغیره فان عصوک یعنی اقاربک بعد انذارک ایاهم وخالفوک فیما تدعوهم الیه فقل لهم انی بریء مما تعملون ای من اعمالکم
القبیحة وعبادتکم الاصنام وتوکل علی العزیز الرحیم ای فوض امرک الی العزیز المنتقم من اعدائه الرحیم باولیائه لیکفیک کید اعدائک
الذین عصوک فیما امرتهم به الذی یریک حین تقوم ای الذی یبصرک حین تقوم من مجلسک او فراشک الی الصلوة وحدک او فی
الجماعة وقیل معناه یریک حین تقوم فی صلوتک عن ابن عباس وقیل حین تقوم باللیل لانه لا یطلع علیه احد غیره وقیل حین تقوم
للانذار واداء الرسالة وتقلبک فی الساجدین ای ویری تصرفک فی الصلوة بالرکوع والسجود والقیام والقعود عن ابن عباس وقتادة
والمعنی یریک حین تقوم الی الصلوة مفردا وتقلبک فی الساجدین اذا صلیت فی جماعة وقیل معناه وتقلبک فی اصلاب الموحدین
من نبی الی نبی حتی اخرجه من صلب ابیه من نکاح غیر سفاح من لدن آدم وروی عن ابی جعفر علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله



لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فاني اريكم من خلفي كما اريكم من امامي ثم تلى هذه الآية انه هو السميع العليم ما تتلوا في صلوتك ويعلم ما تضمر فيها

قوله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

سبع آيات القراءة قرا نافع يتبعهم ساكنة التاء والباقون يتبعهم الحجة الوجهان حسنان يقال تبعت القوم اتبعهم واتبعتهم اتبعهم اللغة الافاك الكذاب واصل الافك القلب والافاك الكثير القلب للخبر عن جهة الصدق الى جهة الكذب والاثيم الفاعل للقبيح يقال اثم يأثم اثما اذا ارتكب القبيح وتأثم اذا ترك الاثم والهائم الذاهب على وجهه عن الكسائي وقيل هو المخالف للقصد عن ابي عبيدة الاعراب انتصب قوله اى منقلب لانه صفة مصدر محذوف تقديره سيعلم الذين ظلموا انقلابا اى انقلاب ينقلبون ولا يجوز ان يكون معمول سيعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما يعمل فيه ما بعده والعلة في ذلك ان الاستخبار قبيل الخبر فينبغي ان يكون للاستخبار التقدير فلا يجوز ان يعمل فيه الخبر لان الخبر بعده وذلك انه موضوع على انه جواب مستخبر المعنى لما اخبر الله سبحانه ان القرآن ليس مما تتنزل به الشياطين على كل كذاب فاجر عامل بالمعاصي وهم الكهنة وقيل طليحة ومسيلمة عن مقاتل واست بكذاب ولا اثيم فلا تتنزل عليك الشياطين وانما تتنزل عليك الملائكة يلقون السمع معناه ان الشياطين يلقون ما يسمعونه الى الكهنة او الكذابين ويخلطون به كثيرا من الاكاذيب ويوحون اليهم واكثرهم اى واكثر الشياطين كاذبون وقيل ان الكهنة كاذبون قال الحسن وهم الذين يسترقون السمع من الملائكة فيلقون الى الكهنة وهذا كان قبل ان اوحى الى النبي صلى الله عليه وآله وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا والشعراء يتبعهم الغاوون قال ابن عباس يريد شعراء المشركين وذكر مقاتل اسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعري السهمي وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف الجمحي وابو عزة عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وامية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما قال محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم الغواة من قومهم يستمعون اشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وآله واصحابه فذلك قوله يتبعهم الغاوون وقيل الغاوون الشياطين عن قتادة ومجاهد وقيل اراد بالشعراء الذين غلبت عليهم الاشعار حتى اشتغلوا بها عن القرآن والسنة وقيل هم الشعراء الذين اذا غضبوا سبوا واذا قالوا كذبوا وانما صار الاغلب عليهم الغي لان الغالب عليهم الفسق فان الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب ثم يمدح للصلة ويهجو عن حمية الجاهلية فيدعوه ذلك الى الكذب ووصف الانسان بما ليس فيه من الفضائل والرذائل وقيل انهم القصاص الذين يكذبون في قصصهم ويقولون ما يخطر ببالهم وفي تفسير علي بن ابرهيم انهم الذين يغيرون دين الله تعالى ويخالفون امره قال وهل رايت شاعرا قط يتبعه احد انما عنى بذلك الذين وضعوا دينا بآرائهم فيتبعهم الناس على ذلك وروى العياشي بالاسناد عن ابي عبد الله ع قال هم قوم تعلموا او تفقهوا بغير علم فضلوا واضلوا الم تر انهم في كل واد يهيمون اى في كل فن من الكذب يتكلمون وفي كل لغو يخوضون يمدحون ويذمون بالباطل عن ابن عباس وقتادة والمعنى انهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه في كل واد يعن له فيخوضون في كل فن من الكلام والمعاني التي تعن لهم وتريدونه قالوا ذي مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح وذم وانهم يقولون ما لا يفعلون اى يحثون على اشياء لا يفعلونها وينهون عن اشياء يرتكبونها ثم استثنى من جملتهم فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم شعراء المؤمنين مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وساير شعراء المسلمين الذين مدحوا النبي صلى الله عليه وآله وردوا هجاء من هجاه وفي الحديث عن الزهري قال حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان كعب بن مالك قال يا رسول الله ماذا تقول في الشعر قال ان المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما تنضحونهم بالنبل وقال النبي صلى الله عليه وآله لحسان بن ثابت اهجهم او هاجهم وروح القدس معك رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي ع اشعر الثلثة وذكروا الله كثيرا لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم وانتصروا من المشركين للرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين من بعد ما ظلموا قال الحسن البصري انتصروا بما يجوز الانتصار به في الشريعة وهو نظير قوله

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم اى ردا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين ثم هدد الظالمين فقال وسيعلم الذين ظلموا
اى منقلب ينقلبون اى سوف يعلمون اى مرجع يرجعون واى منصرف ينصرفون لان منصرفهم الى النار نعوذ بالله منها **سورة النمل**
مكية عددايها خمس وتسعون آية حجازى اربع بصرى شامى ثلث كوفى اختلافها آيتان واولى بأس شديد حجازى من قوارير غير الكوفى
فضلها ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان
وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة الشعراء بذكر
القرآن افتتح هذه السورة بذكره ايضا قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى
للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون
اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا
سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى
انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون عشر آيات القراءة

قرا اهل الكوفة غير رويس عن يعقوب بشهاب قبس منونا وقرا الباقون بشهاب قبس مضافا الحجة ابو عبيدة الشهاب النار والقبس
ما اقتبست وانشد فى كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس وقال غيره كل ذى نور فهو شهاب قال ابو على يجوز ان يكون قبس
صفة ويجوز ان يكون اسما غير صفة فاما الصفة فانهم يقولون قبسته اقبسه قبسا والقبس الشئ المقبوس فاذا كان القبس صفة
فالاحسن ان يجرى على شهاب كما جرى على الموصوف فى قوله كانه ضرم بالكف مقبوس وان كان مصدرا غير صفة حسنت فيه الاضافة
ولا يحسن ذلك فى الصفة لان الموصوف لا يضاف الى صفته وقال ابو الحسن الاضافة اجود والاكثر فى القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب
ولو قلت دار آجر وسوار ذهب كان عربيا قال ابو على جعل ابو الحسن القبس غير صفة الا ترى انه جعله بمنزلة الآجر والذهب وليس
واحد منهما صفة الاعراب هدى وبشرى فى محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اى هادية ومبشرة والعامل فيهما معنى الاشارة والرفع
على ثلثة اوجه على هو هدى وبشرى وعلى البدل من آيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر ان بورك ان هى المفسرة لان النداء فيه معنى القول
يعنى قيل له بورك ولا يجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على تقدير انه بورك لانه كان يكون لا بد من قد والهاء فى انه ضمير الشان وانا الله
مبتدا وخبر والق عصاك عطف على بورك اى نودى ان بورك وان الق عصاك المعنى طس سبق تفسيره تلك اشارة الى ما وعد
بمجيئه من القرآن آيات القرآن وكتاب مبين اضاف الآيات الى القرآن وآيات القرآن هى القرآن فهو كقوله انه لحق اليقين والقرآن و
الكتاب معناهما واحد وصفه بالصفتين ليفيد انه مما يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة وهو بمنزلة الناطق بما فيه من الامرين جميعا ووصفه
بانه مبين تشبيها له بالناطق بكذا ومعناه ان الله بين فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده واذا وصفه بانه بيان فانه
يجرى مجرى وصفه له بالنطق بهذه الاشياء فى ظهور المعنى به للنفس والبيان هو الدلالة التى تتبين بها الاشياء والمبين المظهر
هدى وبشرى للمؤمنين اى هدى من الضلالة الى الحق بالبيان الذى فيه والبرهان وباللطف من جهة الاعجاز الدال على صحة امر النبى صلى الله عليه وآله
وبشرى للمؤمنين بالجنة والثواب ويجوز ان يكون فى موضع نصب على ان يكون تقديره هاديا ومبشرا ويجوز ان يكون فى موضع رفع
والتقدير هو هدى وبشرى ثم وصف المؤمنين فقال الذين يقيمون الصلوة بحدودها وواجباتها ويداومون على اوقاتها ويؤتون
الزكوة اى ويخرجون ما يجب عليهم من الزكوات فى اموالهم الى من يستحقها وهم بالآخرة اى بالنشأة الآخرة والبعث والجزاء هم يوقنون
لا يشكون فيه ثم وصف من خالفهم فقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون اختلف فى معناه فقيل ان المعنى
زينا لهم اعمالهم التى امرناهم بها بحسن وجوه التزيين والترغيب فهم يتحيرون بالذهاب عنها عن الحسن والجبائى وابى مسلم وقيل
زينا لهم اعمالهم بان خلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم الى فعل المعاصى ليجتنبوا المشتهى فهم يعمهون عن هذا المعنى ويترددون
فى الحيرة وقيل معناه حرمناهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم فزينت اعمالهم فى اعينهم وحليت فى صدورهم اولئك الذين لهم
سوء العذاب اى شدة العذاب وصعوبته وهم فى الآخرة هم الاخسرون اى لا احد اخسر صفقة منهم لانهم يخسرون الثواب

خمس
عشر

١٥٣

ويحصل لهم بذلك امن العقاب وانك يا محمد لتلقى القرآن اى لتعطى من لدن حكيم فى امره عليم بخلقه من عند الله لان الملك يلقيه من قبل

الله سبحانه وقيل معناه لتلقن قال على بن عيسى عليم بمعنى عالم الا ان فى عليم مبالغة فهو مثل سامع وسميع لان قولنا عالم يفيد ان

له معلوما كما ان قولنا سامع يفيد ان له مسموعا واذا وصفناه بانه عليم افاد انه متى صح معلوم فهو عالم به كما ان سميعا يفيد انه

متى وجد مسموع فلابد ان يكون سامعا له اذ قال موسى لاهله قال الزجاج العامل فى اذا اذكر اى اذكر قصة موسى اذ قال لاهله اى

امرأته وهى بنت شعيب انى آنست اى ابصرت ورأيت نارا ومنه اشتقاق الانس لانهم مرئيون وقيل آنست اى احسست بالشئ

من جهة يونس بها وما انست به فقد احسست به مع سكون نفسك اليه سآتيكم منها بخبر معناه قال لها امكثوا لعلى آتيكم من هذه

النار بخبر الطريق واهتدى بها الى الطريق لانه كان اضل الطريق او آتيكم بشهاب قبس اى بشعلة نار والشهاب نور كالعمود من النار

وكل نور يمتد مثل العمود يسمى شهابا وانما قال لامرأته آتيكم على لفظ خطاب الجمع لانه اقامها مقام الجماعة فى الانس بها والسكون اليها فى

الامكنة الموحشة لعلكم تصطلون اى لكى تستدفئوا بها وذلك لانهم كانوا قد اصابهم البرد وكانوا شاتين عن الحسن وقتادة فلما

جاءها اى جاء موسى الى النار يعنى التى ظن انها نار وهى نور نودى ان بورك من فى النار ومن حولها قال وهب لما رأى موسى النار

وقف قريبا منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة لا تزداد النار الا اشتعالا ولا الشجرة الا خضرة وحسنا فلم تكن

النار بحرارتها تحرق الشجرة ولا الشجرة بخضرتها تطفى النار فتعجب منها واهوى اليها بضغث فى يده ليقتبس منها فمالت اليه فخافها

فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها الى ان نودى والمراد به نداء الوحى ان بورك من فى النار ومن حولها يعنى موسى وذلك ان النور

الذى رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها هو موسى لانه بالقرب منها ولم يكن فيها فكانه قال بارك الله

على من فى النار وعليك يا موسى ومخرجه الدعاء والمراد الخبر قال الكسائى تقول العرب باركه الله وبارك عليه وبارك فيه وقيل بورك

من فى النار معناه من فى النار سلطانه وقدرته وبرهانه والبركة ترجع الى اسم الله تعالى وتأويله تبارك من نور هذا النور ومن

حولها يعنى موسى والملائكة وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقيل معناه بورك من طلب النار وهو موسى عليه السلم

فحذف المضاف ومن حولها الملائكة اى دامت البركة لموسى والملائكة وهذا تحية من الله سبحانه بالبركة كما حيى ابراهيم ع بالبركة على السنة

الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ثم نزه سبحانه نفسه فقال وسبحان الله رب العالمين اى تنزيها

له عما لا يليق بصفاته من ان يكون جسما يحتاج الى جهة او عرضا يحتاج الى محل او يكون ممن يتكلم بآلة ثم اخبر سبحانه موسى عن نفسه وتقرب

اليه بصفاته فقال يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم اى ان الذى يكلمك هو الله العزيز اى القادر الذى لا يغالب ولا يمتنع عليه شئ الحكيم

فى افعاله المحكم لتدابيره ثم اراد ان يريه آية يعلم بها صحة النداء فقال والق عصاك وفى الكلام حذف تقديره فالقاها فصارت حية فلما رآها تهتز

كانها جان اى تتحرك كما يتحرك الجان وهى الحية التى ليست بعظيمة وانما شبهها بالجان فى خفة حركتها واهتزازها مع انها ثعبان فى عظمها

ولذلك هاله ذلك حتى ولى مدبرا وقيل ان الحالين مختلفان لان الحال التى صارت ثعبانا هى الحال التى لقى فيها فرعون والحال التى صارت

جانا هى الحال التى خاطبه الله فى اول ما بعثه نبيا ولى مدبرا اى رجع الى ورائه ولم يعقب اى لم يرجع وكل راجع معقب والمفسرون

يقولون لم يلتفت ولم يقف فقال الله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون وهذا تسكين من الله سبحانه لموسى ونهى له عن

الخوف يقول له انك مرسل والمرسل لا يخاف لانه لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب فيخاف عقابى على ذلك قوله تعالى الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد

سوء فانى غفور رحيم وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين

فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

اربع آيات القراءة فى الشواذ قراءة زيد بن اسلم وابى جعفر القارى الا من ظلم بفتح الهمزة خفيفة اللام وقرأ على بن الحسين ع وقتادة مبصرة

بفتح الميم والصاد المعنى قال ابن جنى من عدل الى هذه القراءة فكانه خفا عليه انقطاع الاستثناء فى قراءة العامة فان من فى هذه القراءة

فى موضع رفع بالابتداء او يكون للشرط كقولك من يقم اضرب ومن هناك منصوبة على الاستثناء وهو استثناء منقطع بمعنى لكن وقوله

مبصرة كقولك هدى ونور وقد كثرت المفعلة بمعنى الشياع والكثرة فى الجواهر والاحداث جميعا كقولهم ارض مضبة كثيرة الضباب

هذا ١٦

ومثله كثيرة الافاعي ومحياه ومحواه كثيرة الحيات هذا في الجواهر فاما الاحداث كقولك البطنه موسنه واكل الرطب بهرسنه ومجمه ومنه السعاة
والمعلاة والحق مجدره بك ومخلقه وفي كل معنى الكثرة من موضعين احدهما المصدرية التي فيه والمصدر الى الشياع والعموم والكثرة النار وهي
لمثل ذلك الاعراب بيضاء منصوبة على الحال ومن غير سوء يتعلق ببيضاء وفي تسع آيات يتعلق بالق وادخل يدك ومعناه القاء العصى
وادخال اليد في جيبك من جملة الآيات التسع التي تظهرها له الى فرعون يتعلق بمحذوف والتقدير مرسلا الى فرعون فهو في موضع الحال
ظلما وعلوا مفعول له وكيف في موضع نصب بانه خبر كان المعنى ثم قال سبحانه الا من ظلم المعنى لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين
لان الانبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب والقبايح فيكون هذا استثناء منقطعا وانما حسن ذلك لاجتماع الانبياء
وغيرهم في معنى شملهم وهو التكليف ثم بدل حسنا بعد سوء اى بدل توبته وندما على ما فعله من القبيح وعزما ان لا يعود اليه في المستقبل
فاني غفور رحيم اى ساتر لذنبه قابل لتوبته وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اعطاه آية اخرى وقد سبق بيانها في تسع
آيات اى مع تسع آيات اخر انت مرسل بها الى فرعون وقومه فحذف اذ يكون تقديره مرسلا بها الى فرعون ومبعوثا اليه ومثله قول
الشاعر راتني بحبليها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق والتقدير راتني مقبلا بحبليها وقال الزجاج في تسع آيات معناه
من تسع آيات اى اظهر هاتين الآيتين من جملة تسع آيات كقولك خذ لي عشرا من الابل فيها فحلان والمعنى منها فحلان والآيات
التسع مفسرة في سورة بني اسرائيل انهم كانوا قوما فاسقين اى خارجين عن طاعة الله الى اقبح وجوه الكفر فلما جاءتهم آياتنا اى حججنا
ومعجزاتنا مبصرة اى واضحة بينة على من ابصرها انها خارجة من قدرة البشر وهو مثل قوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة وقد مر بيانه قالوا
هذا سحر مبين اى ظاهر بين وجحدوا بها اى انكروها ولم يقروا انها من عند الله قال ابو عبيدة الباء زائدة والمعنى جحدوها كما قال
العجاج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج واستيقنتها انفسهم اى عرفوها وعلموها يقينا بقلوبهم وانما جحدوها بالسنتهم ظلما على بني اسرائيل
وقيل ظلما على انفسهم وعلوا اى طلبا للعلو والرفعة وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى فانظر يا محمد او ايها السامع كيف كان عاقبة المفسدين
في الارض بالمعاصي قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده
من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
وان اعمل صالحا ترضيه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين خمس آيات اللغة الوزع اصله المنع والكف ويقال وزعه قال
النابغة على حين عاتبت المشيب على الصبى وقلت الما اصح والشيب وازع وقال آخر الم تزع الهوى اذ لم تواتي بلى وسلوت عن طلب
الفتاة والحطم الكسر ومنه الحطمة من اسماء جهنم والحطام ما تحطم والايزاع الالهام وفلان موزع بكذا اى مولع به قال الزجاج اوزعني
تاويله في اللغة كفني عن الاشياء الا عن شكر نعمتك وكفني عما يباعد منك الاعراب لا يحطمنكم في موضع جزم لانه جواب الامر قال
الزجاج ضاحكا حال مؤكدة لان تبسم في معنى ضحك وقال بعض المتاخرين يجوز ان يكون حالا بعد الفراغ من الفعل لان التبسم دون
الضحك فكانه تبسم اولا ثم آل امره الى الضحك المعنى ثم عطف سبحانه على قصة موسى ع قصة داود وسليمن ع فقال سبحانه ولقد آتينا
داود وسليمن علما اى علما بالقضاء بين الخلق وبكلام الطير والدواب عن ابن عباس وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
اى اختارنا من بين الخلق بان جعلنا انبياء وبالمعجزة وبالملك والعلم الذي اتانا وبالانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والانس
وانما نكر قوله علما ليدل على انه اراد علما احتاجا اليه مما ينبي عن صدقهما في دعوى الرسالة وورث سليمان داود في هذا دلالة على ان
الانبياء يورثون المال كتوريث غيرهم وهو قول الحسن وقيل معناه انه ورث علمه ونبوته وملكه دون ساير اولاده ومعنى الميراث هنا
انه قام مقامه في ذلك فاطلق عليه اسم الارث كما اطلق على الجنة اسم الارث عن الجبائي وهذا خلاف الظاهر والصحيح عند اهل البيت
عليهم السلم هو الاول وقال سليمن مظهرا لنعم الله وشاكرا اياها يا ايها الناس علمنا منطق الطير اهل العربيه يقولون لا يطلق النطق على غير
بني آدم وانما يقال الصوت لان المنطق عبارة عن الكلام ولا كلام للطير الا انه لما سمع سليمان ع معنى صوت الطير سماه منطقا

مجازا وقيل انه اراد حقيقة المنطق لان من الطير ماله كلام مهجي كالطوطي قال المبرد العرب تسمي كل مبين عن نفسه ناطقا و
متكلما قال رؤبة لو انني اوتيت علم الحكل علم سليمن كلام النمل والحكل ما لا يسمع له صوت وقال علي بن عيسى ان الطير كانت تكلم
سليمن معجزة له كما اخبر عن الهدهد ومنطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس الذي
يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة ولذلك لم يفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم تفهم هي عنا لان افهامها مقصورة على تلك الامور
المخصوصة ولما جعل سليمن ع يفهم عنها كان قد علم منطقها واوتينا من كل شيء اي من كل شيء يؤتى الانبياء والملوك وقيل من كل
شيء يطلبه طالب لحاجته اليه وانتفاعه به وقيل من كل شيء علما وتسخيرا في كل ما يصلح ان يكون معلوما لنا او مسخرا لنا غير انه مخرجه
مخرج العموم ليكون ابلغ واحسن وروى الواحدي بالاسناد عن محمد بن جعفر بن محمد عن ابيه ع قال اعطي سليمان داود عليه السلم
ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة اشهر ملك اهل الدنيا كلهم من الجن والانس والشياطين و
الدواب والطير والسباع واعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنايع المعجبة التي سمع بها الناس وذلك قوله
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين اي هذا فضل الله الظاهر الذي لا يخفى على احد وهذا قول سليمن ع على وجه
الاعتراف بنعم الله عليه ويحتمل ان يكون من قول الله سبحانه على وجه الاخبار بان ما ذكره هو الفضل المبين وحشر لسليمن جنوده
اي جمع له جموعه وكل صنف من الخلق جند على حدة بدلالة قوله من الجن والانس والطير فهم قال المفسرون وكان سليمن ع اذا اراد
سفرا امر فجمع له طوايف من هؤلاء الجنود على بساط ثم يامر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى وحشر لسليمن جنوده في مسير له و
قال محمد بن كعب بلغنا ان سليمن بن داود ع كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة و
عشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة وسبعمائة سرية فيامر الريح
العاصف فترفعه ويامر الرخاء فيسير به فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد
من الخلايق بشيء الا جاءت الريح فاخبرتك به قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمن ع بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان
يوضع فيه منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاث الاف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب
والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح
الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح فهم يوزعون اي يمنع اولهم على اخرهم عن ابن عباس ومعنى
ذلك ان لكل صنف من جنوده وزعة ترد اولهم على اخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرقوا كما يقوم الجيوش اذا كثرت بمثل ذلك وهو ان يدفع اخرهم
ويوقف اولهم وقيل معناه يحبسون عن ابن زيد وهو مثل الاول في انه يحبس اولهم على اخرهم حتى اذا اتوا على واد النمل اي فسار
سليمن وجنوده حتى اذا اشرفوا على واد النمل وهو بالطايف عن كعب وقيل هو بالشام عن قتادة ومقاتل قالت نملة اي صاحت بصوت
خلق الله لها ولما كان الصوت مفهوما لسليمن عبر عنه بالقول وقيل كانت رئيسة النمل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم اي لا
يكسرنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون بحطمكم ووطئكم فانهم لو علموا بمكانكم لم يطئوكم وهذا يدل على ان سليمن وجنوده كانوا ركبانا
ومشاة على الارض ولم تحملهم الريح لان الريح لو حملتهم بين السماء والارض لما خافت النمل ان يطئوها بارجلهم ولعل هذه القصة
كانت قبل تسخير الريح لسليمن ع فان قيل كيف عرفت النملة سليمن وجنوده حتى قالت هذه المقالة قلنا اذا كانت مامورة بطاعته
فلابد ان يخلق لها من الفهم ما تعرف به امور طاعته ولا يمتنع ان يكون لها من الفهم ما تستدرك به ذلك وقد علمنا انه يشق
ما تجمع من الحبوب بنصفين مخافة ان يصيبها الندى فتنبت الا الكزبرة فانها تكسرها باربع قطع لانها تنبت اذا شقت بنصفين فمن
هديها الى هذا فانه جل جلاله يهديها الى تميز ما يحطمها مما لا يحطمها وقيل ان ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمن ع
قال ابن عباس فوقف سليمن وجنوده حتى دخل النمل مساكنه فتبسم سليمن ضاحكا من قولها وسبب ضحك سليمن التعجب وذلك لان
الانسان اذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك وقيل انه تبسم لظهور عدله حيث بلغ عدله في الظهور مبلغا عرفه النمل وقيل ان الريح
اطارت كلامها اليه من ثلثة اميال حتى سمع ذلك فانتهى اليها وهي تامر النمل بالمبادرة فتبسم من حذرها وقال رب اوزعني اي الهمني

ان اشكر نعمتك التى انعمت على بان علمتنى منطق النمل واسمعتنى قولها من بعيد حتى امكننى الكف واكرمتنى بالنبوة والملك وعلى
والدى اى وانعمت على والدى بان اكرمته بالنبوة وفصل الخطاب والنت له الحديد وعلى والدتى بان زوجتها نبيك وجعل النعمة
عليها نعمة لله سبحانه عليه يلزمهما شكرها وان اعمل صالحا ترضيه اى وفقنى لان عمل صالحا فى المستقبل ترضيه وادخلنى برحمتك فى
عبادك الصالحين قال ابن عباس يعنى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين اى ادخلنى فى جملتهم واثبت اسمى
اسمى مع اسمائهم واحشرنى فى زمرتهم وقال ابن زيد فى عبادك معناه مع عبادك قال الزجاج جاء لفظ ادخلوا بلفظ ما يعقل لان
النمل هنا اجرى مجرى الادميين حين نطق كما ينطق الآدميون وانما يقال لما لا يعقل ادخلى وفى الخبر دخلت او دخلن وروى ان نمل
سليمن على هذا كان كامثال الذباب والكلاب قوله تعالى وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ
لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ
بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۞ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۞ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ
زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۞ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ سبع آيات القراءة قرا ابن كثير او ليأتيننى بنونين اولهما مشدده
مفتوحه والباقون بنون واحده مشدده وقرا عاصم ويعقوب فمكث بفتح الكاف والباقون بضم الكاف وقرا ابو عمرو وابن كثير فى رواية
البزى من سبا بفتح الهمزة وقرا ابن كثير فى رواية القواس وابن فليح من سبا بغير همز وقرا الباقون ان لا يسجدوا مثل قوله ان لا يقولوا
ومن خفف من سبا مجرورة منونه ومثله سواء فى سورة سبا لقد كان لسبا وقرا ابو جعفر والكسائى ورويس عن يعقوب الا يسجدوا
خفيفة اللام وقرا الباقون ان لا يسجدوا مثل قوله ان لا يقولوا ومن خفف وقف الا يا وابتدا اسجدوا وقرا الكسائى وحفص عن عاصم
ما يخفون وما يعلنون بالتاء والباقون بالياء الحجة من قرا ليأتيننى حذف النون الثانية التى هى قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات ومن
قرا ليأتيننى فهو على الاصل ومكث ومكث لغتان ومما يقوى الفتح قوله انكم ماكثون وقوله ماكثين فيه ابدا وقال سيبويه ثمود وسبا
مرة للقبيلتين ومرة للحيين قال ابو على يريد ان هذه الاسماء منها ما جاء على انه اسم للحى نحو معد وقريش وثقيف ومنها ما يستوى فيه
الامران كثمود وسبا وقال ابو الحسن فى سبا ان شئت صرفت فجعلته اسم ابيهم واسم الحى وان شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيله قال
والصرف اعجب الى لانه قد عرف انه اسم ابيهم وان كان اسم الاب يصير كالقبيله الا انى احمله على الاصل وقال غيره هو اسم رجل واليمانيه
كلها تنسب اليه يقولون سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال الزجاج من قال ان سبا اسم رجل فغلط لان سبا هى مدينه تعرف
بمأرب من اليمن بينها وبين صنعا مسيرة ثلثة ايام قال الشاعر من سبا الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما فمن لم يصرف
فلانه اسم مدينه ومن صرفه فلانه يكون اسما للبلد قال جرير الوارد ون وتيم فى ذرى سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس ومن قرا ان
لا يسجدوا فالتقدير فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا على انه مفعول له قال ابو على وهذا هو الوجه لتجرى القصه على سننها ولا يفصل
بين بعضها وبعض ما ليس منها وان كان الفصل بهذا النوع غير ممتنع لانه يجرى مجرى الاعتراض وكانه لما قيل وزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون فدل هذا الكلام على انهم لا يسجدون لله قال الا يا قوم اسجدوا لله خلافا عليهم ووجه دخول حرف
التنبيه على الامر انه موضع يحتاج فيه الى استعطاف المامور لتاكيد ما يؤمر به عليه كما ان النداء موضع يحتاج فيه الى استعطاف المنادى
لما ينادى له من اخبار او امر او نهى ونحو ذلك مما يخاطب به واذا كان كذلك فيجوز ان لا تريد منادى فى نحو قولك الا اسجدوا كما لا يريد
المنادى لما ينادى له من اخبار او امر او نهى ونحو ذلك مما يخاطب به واذا كان كذلك فيجوز ان لا تريد منادى فى نحو قولك الا اسجدوا
فى نحو قوله يا لعنة الله والاقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار وكذلك ما حكى عن ابى عمرو من قولهم تاويل له ويجوز ان يراد
بعد يا مامورون فحذفوا كما حذف فى قوله يا لعنة الله فكما ان يا ههنا لا يجوز ان تكون الا لغير اللعنة كذلك يجوز ان يكون المامورون
مرادين وحذفوا من اللفظ وقد جاء هذا فى مواضع من الشعر فمن ذلك ما انشده ابو زيد فقالت الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت
سميعا فانطق واصيبى وانشد الزجاج لذى الرمة الا يا اسلمى يا دارمى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر ولا خطل الا يا اسلمى

عشر

خمس

يا منه

يا هند هند بين بدد ولا زال حيانا عدى آخر الدهر ومما يوكد قراءة من قرا الا يا اسجدوا بالتشديد انها لو كانت مخففة لما كانت في
يسجدوا ياء لانها اسجدوا وفي ثبات الياء في المصحف دلالة على التشديد ومن قرا يخفون ويعلنون بالياء فلان الكلام على الغيبة
وقراءة الكسائي فيهما بالتاء لان الكلام قد دخله خطاب على قراءته اسجدوا لله ومن قرا الا يسجدوا فيجوز ان يكون الخطاب
للمؤمنين والكافرين الذين جرى ذكرهم على لفظ الغيبة كان ابو عمرو يسكن من قوله لا ارى الهدهد ويفتح قوله ومالي لا اعبد الذي
فطرني لئلا يقف الواقف على مالي ويبتدى بلا اعبد ولا ارى في موضع النصب على الحال ام كان من الغائبين ام منقطعة التقدير
بل هو من الغائبين وكانه يكون الحاضر واللام من لاعذبنه جواب قسم مقدر اى والله لاعذبنه غير بعيد منصوب لانه صفة ظرف
او صفة مصدر تقديره فمكث وقتا غير بعيد او مكثا غير بعيد ويسجدون في موضع نصب على الحال من وجدت المعنى
ثم اخبر سبحانه عن سليمن عم فقال وتفقد الطير اى طلبه عند غيبته فقال مالي لا ارى الهدهد اى ما للهدهد لا اريه تقول
العرب مالي لا اريك كئيبا ومعناه مالك ولكنه من القلب الذي يوضحه المعنى واختلف في سبب تفقده الهدهد فقيل انه احتاج
اليه في سفره ليدله على الماء لانه يقال انه يرى الماء في بطن الارض كما يرى في القارورة عن ابن عباس وروى العياشي بالاسناد
قال قال ابو حنيفة لابي عبد الله عم كيف تفقد سليمن الهدهد من بين الطير قال لان الهدهد يرى الماء في بطن الارض كما يرى احدكم
الدهن في القارورة فنظر ابو حنيفة الى اصحابه فضحك قال ابو عبد الله عم ما يضحكك قال ظفرت بك جعلت فداك قال وكيف
ذلك قال الذي يرى الماء في بطن الارض لا يرى الفخ في التراب حتى يأخذ بعنقه قال ابو عبد الله عم يا نعمان اما علمت انه اذا نزل القدر
اغشى البصر وقيل انما تفقده لاخلاله بنوبته عن وهب وقيل كانت الطير تظله من الشمس فلما اخل الهدهد بمكانه بان بطلوع
الشمس ام كان من الغائبين معناه اتاخر عصيانا ام غاب لعذر وحاجة قال المبرد لما تفقد سليمن الطير ولم ير الهدهد قال مالي
لا ارى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يريه ثم ادركه الشك فشك في غيبته عن ذلك الجمع بحيث لم يره فقال ام كان من الغائبين
اى بل اكان من الغائبين كانه ترك الكلام الاول واستفهم عن حاله وغيبته ثم اوعده على غيبته فقال لاعذبنه عذابا شديدا معناه
لاعذبنه بنتف ريشه والقائه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل بان اجعله بين اضداده وكما صح نطق الطير وتكليفه في
زمانه معجزة له جازت معاتبته على ما وقع منه من التقصير فانه كان مامورا بطاعته فاستحق العقاب على غيبته او لاذبحنه او
ليأتيني بسلطان مبين اى بحجة واضحة تكون له عذرا في الغيبة فمكث غير بعيد اى فلم يلبث سليمن الا زمانا يسيرا حتى جاء الهدهد وقيل معناه فلبث الهدهد في غيبته قليلا ثم رجع
وعلى هذا فيجوز ان يكون التقدير فمكث في مكان غير بعيد قال ابن عباس فاتيه الهدهد بحجة فقال احطت بما لم تحط به وجئتك
من سبا بنبا يقين وفي هذا دلالة على انه يجوز ان يكون في زمن الانبياء من يعرف ما لا يعرفونه وسبا مدينة بارض اليمن عن
قتادة وقيل ان الله تعالى بعث الى سبا اثنى عشر نبيا عن السدى وروى علقمة بن وعلة عن ابن عباس قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وآله عن سبا فقال هو رجل ولد له عشرة من العرب تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة فالذين تشاءموا لخم وجذام
وغسان وعاملة والذين تيامنوا كندة والاشعريون والازد ومذحج وحمير وبنو انمار خثعم وبجيلة اني وجدت امرأة تملكهم
اى تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها احد واوتيت من كل شيء وهذا اخبار من سعة ملكها اى من كل شيء من الاموال وما يحتاج
اليه الملوك من زينة الدنيا قال الحسن وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبا وقيل شرحبيل ولدها اربعون ملكا آخرهم ابوها
شرحبيل قال مقاتل وكان اولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر قيلا كل قيل من تحت رايته الف مقاتل ولها عرش عظيم اى سرير اعظم
من سريرك وكان مقدمه من ذهب مرصع بالياقوت الاحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بالوان الجواهر وعليه سبعة
ابيات على كل بيت باب مغلق عن ابن عباس قال كان عرش بلقيس ثلثين ذراعا في ثلثين ذراعا وطوله في الهواء ثلثين ذراعا
وقال ابو مسلم المراد بالعرش الملك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم اى عبادتهم
للشمس فصدهم عن السبيل اى صرفهم عن سبيل الحق فهم لا يهتدون قال الجبائي لم يكن الهدهد عارفا بالله تعالى وانما اخبر بذلك

كما يجبر من راهقوا صبيا ننا لانه لا تكليف الا على الملائكة والانس والجن فرانا الصبي على عبادة الله ينتصوان ما خالفها باطل فكذلك
الهدهد نصوله ان ما خالف فعل سليمان باطل وهذا الذي ذكره خلاف ظاهر القرآن لانه لا يجوز ان يفرق بين الحق الذي هو السجود
لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس وان احدهما حسن والآخر قبيح الا العارف بالله سبحانه وبما يجوز عليه وما لا يجوز هذا
مع تشبيه تزيين اعمالهم وصدهم عن طريق الحق الى الشيطان وهذه مقالة من يعرف العدل وان القبيح غير جايز على الله تعالى
الا يسجدوا لله قد بينا ان التخفيف انما هو على معنى الامر بالسجود ودخلت يا للتنبيه او على تقدير الا يا قوم اسجدوا لله وقيل
انه امر من الله تعالى لجميع خلقه بالسجود له اعترض في الكلام وقيل انه من كلام الهدهد قاله لقوم بلقيس حين وجدهم يسجدون
لغير الله او قاله لسليمن عند عوده اليه استنكارا لما وجدهم عليه والقراءة بالتشديد على معنى زين لهم الشيطان ضلالتهم لئلا
يسجدوا لله وذكر القراء ان القراءة بالتشديد لا توجب سجدة التلاوة وهذا غير صحيح لان الكلام قد تضمن الذم على ترك السجود
فيكون فيه دلالة على وجوب السجود وهو كقوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الذي يخرج الخبء في السموات
والارض الخباء المخبوء وهو ما احاط به غيره حتى منع من ادراكه وهو مصدر وصف به يقال خبأته اخباه خبا وما يوجده الله
فيخرجه من العدم الى الوجود فيكون بهذه المنزلة وقيل الخباء الغيب وهو كل ما غاب عن الادراك فالمعنى يعلم غيب السموات
والارض عن عكرمة ومجاهد وقيل ان خباء السموات المطر وخباء الارض النبات والاشجار عن ابن زيد ويعلم ما تخفون وما
تعلنون اي يعلم السر والعلانية الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الى ههنا تمام الحكاية لما قاله الهدهد ويحتمل ان يكون اخبار
من الله تعالى والعرش سرير الملك الذي عظمه ورفعه فوق السموات السبع وجعل الملائكة تحف به وترفع اعمال العباد اليه وينشأ
البركات من جهته فهو عظيم الشان كما وصفه الله تعالى وهو اعظم خلق الله تعالى قوله تعالى قال سننظر اصدقت ام كنت
من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم
انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين خمس آيات القراءة في الشواذ ما روي وهب عن ابن
عباس الا تغلوا بالغين المعجمة من الغلو المعنى ولما سمع سليمن ع ما اعتذر به الهدهد في تاخره قال عند ذلك سننظر اصدقت
في قولك الذي اخبرتنا به ام كنت من الكاذبين وهذا الطف واليق في الخطاب من ان يقول ام كذبت لانه قد يكون من الكاذبين
بالميل اليهم وقد يكون منهم لقرابة تكون بينه وبينهم وقد يكون منهم بان يكذب كما كذبوا ثم كتب سليمن كتابا وختمه بخاتمه ودفعه اليه
فذلك قوله اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم يعني الى اهل سبا ثم تول عنهم اي استتر منهم قريبا منهم بعد القاء الكتاب اليهم فانظر
ماذا يرجعون عن وهب بن منبه وغيره وقيل انه على التقديم والتاخير والتقدير فانظر ماذا يرجعون اي ماذا يردون من الجواب
ثم تول عنهم لان التولي عنهم بعد الجواب عن مقاتل وابن زيد والجبائي وابي مسلم والاول اوجه لان الكلام اذا صح من غير تقديم و
تاخير كان اولى وفي الكلام حذف تقديره فمضى الهدهد بالكتاب والقاه اليهم فلما اتته بلقيس قالت لقومها يا ايها الملا اي الاشراف
اني القي الي كتاب كريم قال قتادة اتاها الهدهد وهي نايمة مستلقية على قفاها فالقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب وقيل
كانت لها كوة مستقبلة للشمس تقع الشمس عندما تطلع فيها فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد الى الكوة فسدها بجناحه فارتفعت
الشمس ولم تعلم فقامت تنظر فرمى بالكتاب اليها عن وهب وابن زيد فلما اخذت الكتاب جمعت الاشراف وهم يومئذ ثلثمائة و
اثنى عشر قيلا ثم قالت لهم اني القي الي كتاب كريم سمته كريما لانه كان مختوما عن ابن عباس ويؤيده الحديث اكرام الكتاب ختمه وقيل
وصفته بالكريم لانه صدره ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل لحسن خطه وجودة لفظه وبيانه وقيل لانه ممن يملك الانس والجن والطير
وقد كانت سمعت بخبر سليمن فسمته كريما لانه من كريم رفيع الملك عظيم الجاه انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم معناه ان الكتاب
من سليمن وان المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين فان هذا القدر جملة ما في الكتاب واول من افتتح
بسم الله الرحمن الرحيم سليمن ع ولم تعرفه هي ولا قومها وقيل ان هذا حكاية ما قالته على المعنى باللغة العربية وان لم يقل هي بهذا اللفظ
والحكاية على ثلثة اوجه حكاية على المعنى فقط وحكاية على اللفظ فقط ممن حكاه من غير ان يعلم معناه وحكاية على اللفظ والمعنى وهو

١٧ عشر

الاصل

الاصل في الحكاية التي لا يجوز العدول عنها الا بقرينة وموضع ان لا تعلوا يجوز ان يكون رفعا بالبدل من كتاب ويجوز ان يكون نصبا على
معنى بان لا تعلوا والصحيح ان ان في هذا الموضع بمعنى اي على ما قاله سيبويه في نحو قوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا اي امشوا
ومعناه لا ترفعوا ولا تتكبروا علي واتوني منقادين طايعين لامري فيما ادعوكم اليه وقيل مسلمين مؤمنين بالله تع ورسوله مخلصين
في التوحيد قال قتادة وكذا كانت الانبياء تكتب كتبها موجزة مقصورة على الدعاء الى الطاعة من غير بسط قوله تعالى قالت يا ايها
الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون • قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد والامر اليك فانظري
ماذا تأمرين • قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون • واني مرسلة اليهم
بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون • فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون •
ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون • ست آيات القراءة قرأ حمزة ويعقوب اتمدوني
بنون واحدة مشددة على الادغام والباقون بنونين مظهرتين الاعراب حتى تشهدون انتصب تشهدون باضمار ان والنون فيه نون
عماد فلما جاء سليمان فاعل جاء الضمير المستكن فيه الراجع الى مفعول مرسلة المحذوف لان تقديره اني مرسلة رسولا اذلة نصب على الحال
وهم صاغرون جملة في موضع الحال معطوفة على اذلة المعنى ولما وقفت بلقيس على كتاب سليمن قالت لاشراف قومها يا ايها الملأ
افتوني في امري اي اشيروا علي بالصواب والفتيا والفتوى الحكم بما هو صواب بدلا من الخطأ وهو الحكم بما يعمل عليه فجعلت المشورة هنا
فتيا ما كنت قاطعة امرا اي ما كنت ممضية امرا حتى تشهدون اي تحضرون تريد الا بحضرتكم ومشورتكم وهذا ملاطفة لها لقومها
في الاستشارة منهم لما تعمل عليه قالوا لها في الجواب عن ذلك نحن اولوا قوة اي اصحاب قدرة واهل عدد واولوا بأس شديد اي اصحاب
شجاعة شديدة والامر اليك اي ان الامر مفوض اليك في القتال وتركه فانظري ماذا تأمرين اي ما الذي تأمرينا به لنمتثله فان امرت
بالصلح صالحنا وان امرت بالقتال قاتلنا قالت مجيبة لهم عن التعريض بالقتال ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اي اذا
دخلوها عنوة عن قتال وغلبة اهلكوها وخربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي اهانوا اشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر
المعنى انها حذرتهم مسير سليمن اليهم ودخوله بلادهم وانتهى الخبر عنها وصدقها الله فيما قالت فقال وكذلك اي وكما قالت
هي يفعلون وقيل ان الكلام متصل بعضه ببعض وكذلك يفعلون من قولها واني مرسلة اليهم اي الى سليمن وقومه بهدية
اصانعه بذلك عن ملكي فناظرة اي فمنتظرة بم يرجع المرسلون بقبول ام رد وانما فعلت ذلك لانها عرفت عادة الملوك
في حسن موقع الهدايا عندهم وكان غرضها ان يتبين لها بذلك انه ملك او نبي فان قبل الهدية تبين انه ملك وعندها ما يرضيه
وان ردها تبين انه نبي واختلف في الهدية فقيل اهدت اليه وصفاء ووصايف البستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من انثى
عن ابن عباس وقيل اهدت مايتي غلام ومايتي جارية البست الغلمان لباس الجواري والبست الجواري لبس الغلمان عن مجاهد
وقيل اهدت له صفايح الذهب في اوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمن امر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم امر به فالقي في الطريق
فلما جاؤوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان فلما رأوا ذلك صغر في اعينهم ما جاؤوا به عن ثابت البناني وقيل انها عمدت الى خمس
مائة غلام وخمس مائة جارية فالبست الجواري الاقبية والمناطق والبست الغلمان في سواعدهم اساور من ذهب وفي اعناقهم
اطواقا من ذهب وفي آذانهم اقراطا وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمس مائة رمكة والغلمان على خمس مائة
برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وبعثت اليه خمس مائة لبنة من ذهب وخمس مائة لبنة من فضة وتاجا مكللا
بالدر والياقوت المرتفع وعمدت الى الحقة فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا
من اشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب راي وعقل وكتبت اليه كتابا بنسخة الهدية قالت فيها ان
كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصايف واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدر ثقبا مستويا وادخل الخرزة خيطا من غير
علاج انس ولا جن وقالت للرسول انظر اليه ان دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك امره فانا اعز
منه وان نظر اليك نظر لطف فاعلم انه نبي مرسل فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا الى سليمن فاخبره الخبر فامر سليمن

الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه الذى هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا
واحد بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حايطا شرفها من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال للجن على باولادكم
فاجتمع خلق كثير فاقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمن فى مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسى عن يمينه
ومثلها عن يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وامر الوحش والسباع والهوام والطير
فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمن تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا
فلما وقفوا بين يدى سليمن ع نظر اليهم نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاء وا له واعطاه كتاب الملكة
فنظر فيه وقال اين الحقة فاتى بها فحركها وجاءه جبرائيل فاخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة يتيمة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة
معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط فى الخرزة فارسل سليمن ع الى الارضة فجاءت فاخذت شعرة
فى فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول الله
فاخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ثم ميز بين الجوارى والغلمان بان امرهم ان يغسلوا
وجوههم وايديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام كما
يأخذ من الآنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظاهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا
وكان الغلام يحدر الماء على يده حدرا فميز بينهم بذلك هذا كله مروى عن وهب وغيره وقيل انها انفذت مع هدايا عصى كان
يتوارثها ملوك حمير وقالت اريد ان تعرفنى راسها من اسفلها وبقدح ماء وقالت تملأه ماء روا ليس من الارض ولا من السماء فارسل
سليمن العصى الى الهواء وقال اى الراسين سبق الى الارض فهو اصلها وامر بالخيل فاجريت حتى عرقت وملاء القدح من عرقها
وقال ليس هذا من ماء الارض ولا من ماء السماء فلما جاء سليمن قال اتمدوننى بمال اى اتريدون ان تزيدونى مالا وهذا استفهام انكار يعنى انه
لا يحتاج الى مالهم فما آتانى الله خير مما آتيكم اى ما اعطانى الله من الملك والنبوة والحكمة خير مما اعطاكم من الدنيا واموالها بل انتم
بهديتكم تفرحون اذا اهدى بعضكم الى بعض واما انا فلا افرح بها اشار الى قلة اكتراثه باموال الدنيا ثم قال سليمن ع للرسول ارجع اليهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اى لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعها ولنخرجنهم منها اذلة اى من تلك القرية وهى من تلك المملكة وقيل من ارضها
وملكها وهم صاغرون اى ذليلون صغيرو القدر ان لم يأتونى مسلمين فلما رد سليمن ع الهدية وميز بين الغلمان والجوارى وغير ذلك علموا
انه نبى مرسل وانه ليس كالملوك الذين يغترون بالمال قوله تعالى قال يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين قال عفريت
من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى
غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدى ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كأنه
هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلى
الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمن لله رب العالمين
سبع آيات القراءة فى الشواذ قراءة ابى رجاء وعيسى الثقفى عفرية الحجة والمعنى معنى العفريت يقال رجل عفرية نفرية اى خبيث داه قال
ذو الرمة كانه كوكب فى اثر عفرية مسوم فى سواد الليل منقضب واصل العفريت والعفرية من العفر وهو التراب لانه يجرع قرنه فى العفر
ومنه قيل للاسد عفرنا وللناقة الشديدة عفرناة قال الاعشى بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من ان اقول لعا اللغة
التنكير تغيير الشىء الى حال ينكرها صاحبها اذا رآه والصرح القصر وكل بناء مشرف صرح وصرحة الدار ساحتها وقاعتها صحنها واصله
من الوضوح يقال صرح بالامر اى كشفه واوضحه وصرح بالتشديد لازم ومتعد واللجة معظم الشىء والجمع لجج ولج البحر خلاف الساحل
ومنه لج فى الامر اذا بالغ بالدخول فيه والمرد المملس ومنه الامرد وشجرة مرداء ملساء لا ورق عليها والمارد المتملس عن الحق الخارج منه المعنى
فلما رجع اليها الرسول وعرفت انه نبى وانها لا تقاومه تجهزت للمسير اليه واخبر جبرئيل سليمن ع انها خرجت من اليمن مقبلة اليه قال سليمن

عشر

ع ١٢

لما اتى جنده واشراف عسكره يا ايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين واختلف فى السبب الذى خص العرش بالطلب على اقوال
احدها انه اعجبته صفته فاراد ان يراه وظهر له آثار اسلامها فاحب ان يملك عرشها قبل ان تسلم فيحرم عليه اخذ مالها عن قتادة وثانيها انه
اراد ان يختبر بذلك عقلها وفطنتها وهل تعرفه او تنكره عن ابن زيد وقيل اراد ان يجعل ذلك دليلا ومعجزة على صدقه ونبوته لانها خلفته
فى دارها واوثقته ووكلت به ثقات قومها يحرسونه ويحفظونه عن وهب وقال ابن عباس كان سليمن ع رجلا مهيبا لا يبتدأ بالكلام
حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فراى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا رسول الله فقال وقد نزلت منا
بهذا المكان وكان ما بين الكوفة والحيرة على قدر فرسخ فقال ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين فقوله مسلمين فيه وجهان احدهما
انه اراد مؤمنين موحدين والآخر مستسلمين منقادين على ما مر بيانه قال عفريت من الجن اى مارد قوى داهية عن ابن عباس انا آتيك به
قبل ان تقوم من مقامك اى من مجلسك الذى تقضى فيه عن قتادة وانى عليه لقوى امين اى انى على حمله لقوى وعلى الاتيان به فى هذه
المدة قادر وعلى ما فيه من الذهب والجواهر امين وفى هذا دلالة على ان القدرة قبل الفعل لانه اخبر بانه قوى عليه قبل ان يجئ به وكان
سليمن ع يجلس فى مجلسه للقضاء غدوة الى نصف النهار فقال سليمن ع اريد اسرع من ذلك فعند ذلك قال الذى عنده علم من
الكتاب وهو آصف بن برخيا وكان وزير سليمن وابن اخته وكان صديقا يعرف اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب عن ابن عباس
وقيل ان ذلك الاسم الله والذى يليه الرحمن وقيل هو يا حى يا قيوم وبالعبرانية اهيا شراهيا وقيل هو يا ذا الجلال والاكرام عن مجاهد
وقيل انه قال يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت عن الزهرى وقيل ان الذى عنده علم من الكتاب رجل من الانس يعلم اسم
الله الاعظم اسمه بليخا عن مجاهد وقيل اسمه اسطوم عن قتادة وقيل هو الخضر ع عن ابن لهيعة وقيل ان الذى عنده علم من الكتاب
جبرئيل ع اذن الله له فى طاعة سليمن بن داود ع وان يأتيه بالعرش الذى طلبه وقال الجبائى هو سليمن ع قال ذلك للعفريت ليريه نعمة
الله عليه وهذا قول بعيد لم يؤثر عند اهل التفسير واما الكتاب المعرف فى الآية بالالف واللام وقيل انه اللوح المحفوظ وقيل ان
المراد به جنس كتب الله المنزلة على انبيائه وليس المراد به كتابا بعينه والجنس قد يعرف بالالف واللام وقيل المراد به كتاب سليمن الى
بلقيس انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اختلف فى معناه فقيل يريد قبل ان يصل اليك من كان منك على قدر مد البصر عن
قتادة وقيل معناه قبل ان يبلغ طرفك مداه وغايته ويرجع اليك قال سعيد بن جبير قال لسليمن انظر الى السماء فما طرف حتى جاء به
فوضعه بين يديه والمعنى حتى يعود اليك طرفك بعد مده الى السماء وقيل ارتداد الطرف ادامة النظر حتى يرتد طرفه خاسئا عن مجاهد فعلى
هذا معناه ان سليمن ع مد بصره الى اقصاه وهو يديم النظر فقبل ان ينقلب اليه بصره حسيرا يكون قد اتى بالعرش قال الكلبى خر آصف
ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الارض حتى نبع عند كرسى سليمن وذكر العلماء فى ذلك وجوها احدها ان الملائكة
حملته بامر الله تعالى والثانى ان الريح حملته والثالث ان الله تعالى خلق فيه حركات متوالية والرابع انه انخرق مكانه حيث هو هناك
ثم نبع بين يدى سليمن والخامس ان الارض طويت له وهو المروى عن ابى عبد الله ع والسادس انه اعدمه الله فى موضعه واعاده فى
مجلس سليمن ع وهذا لا يصح على مذهب ابى هاشم ويصح على مذهب ابى على الجبائى فانه يجوز فناء بعض الاجسام دون بعض وفى
الكلام حذف كثير لان التقدير قال سليمن له افعل فسأل الله تعالى فى ذلك فحضر العرش فرآه سليمن مستقرا عنده فلما رآه مستقرا عنده اى
فلما رأى سليمن ع العرش محمولا اليه موضوعا بين يديه فى مقدار رجع البصر قال هذا من فضل ربى اى من نعمه على واحسانه الى لان تيسير
ذلك وتحصيله مع صعوبته وتعذره معجزة له ع ودلالة على علو قدره وجلالته وشرف منزلته عند الله تعالى ليبلونى أأشكر ام اكفر اى
ليختبرنى هل اقوم بشكر هذه النعمة اى اكفرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه لان عائدة شكره ومنفعته يرجعان اليه وعوضا نزد دون غيره
وهذا مثل قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم ومن كفر فان ربى غنى عن شكر العباد غير محتاج اليه بل هم المحتاجون اليه لما لهم فيه من
الثواب والاجر كريم اى متفضل على عباده شاكرهم وكافرهم وعاصيهم ومطيعهم لا يمنعه كفرهم وعصيانهم من الافضال عليهم والاحسان
اليهم قال سليمن نكروا لها عرشها اى غيروا سريرها الى حال تنكرها اذا رأته واراد بذلك اعتبار عقلها على ما قيل ننظر اتهتدى ام تكون
من الذين لا يهتدون اى اتهتدى الى معرفة عرشها بفطنتها بعد التغيير ام لا تهتدى الى ذلك عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل

تهتدي اي تستدل بعرشها على قدرة الله تعالى وصحة نبوتي وتهتدي بذلك الى طريق الايمان والتوحيد ام لا عن الجبائي قال ابن
عباس فنزع ما كان على العرش من الفصوص والجواهر وقال مجاهد غير ما كان احمر فجعله اخضر وما كان اخضر فجعله احمر وقال عكرمة
زيد فيه شيء ونقص منه شيء فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو فلم تثبته ولم تنكره ودل ذلك على كمال عقلها حيث لم تقل لا اذ
كان يشبه سريرها لانها وجدت فيه ما تعرفه ولم تقل نعم اذ وجدت فيه ما غير وبدل ولانها خلفته في بيتها وحمله في تلك المدة الى
ذلك الموضع غير داخل في قدرة البشر قال قتادة عرفته لكن شبهوا عليها حين قالوا لها اهكذا عرشك فشبهت حين قالت كانه هو ولو
قيل لها اهذا عرشك لقالت نعم قال عكرمة كانت حكيمة قالت ان قلت هو هو خشيت ان اكذب وان قلت لا خشيت ان اكذب
فقالت كانه هو شبهته به فقيل لها فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب وكانت قد خلفته وراء سبعة ابواب لما خرجت فقالت
واوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبلها اي من قبل الآية في العرش وكنا مسلمين طائعين لامر سليمن وقيل انه من كلام سليمن ع
عن مجاهد ومعناه واوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المراة وكنا مخلصين لله بالتوحيد وقيل معناه واوتينا العلم
باسلامها ومجيئها طائعة قبل مجيئها وقيل انه من كلام قوم سليمن عن الجبائي وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي منعها عبادة
الشمس عن الايمان بالله تعالى بعد رؤية تلك المعجزات عن مجاهد فعلى هذا تكون ما موصولة مرفوعة الموضع بانها فاعلة صد وقيل
معناه وصدها سليمن عما كانت تعبده من دون الله وحال بينها وبينه ومنعها منه فعلى هذا تكون ما في موضع النصب وقيل
منعها الايمان والتوحيد الذي كانت تعبده من دون الله وهو الشمس ثم استانف فقال انها كانت من قوم كافرين اي من قوم
يعبدون الشمس تدنشأت فيما بينهم فلم تعرف الا عبادة الشمس قيل لها ادخلي الصرح والصرح هو الموضع البسيط المنكشف
من غير سقف وروي ان سليمن ع لما اقبلت صاحبة سبا امر الشياطين ببناء الصرح وهو كهيئة السطح من قوارير اجرى تحته الماء
وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه وقيل انه قصر من زجاج كانه الماء بياضا وقال ابو عبيدة
كل بناء من زجاج او حجارة او غير ذلك موثق فهو صرح وانما امر سليمن ع بالصرح لانه اراد ان يختبر عقلها وينظر هل تستدل على معرفة
الله تعالى بما ترى من هذه الآية العظيمة وقيل ان الجن والشياطين خافت ان يتزوجها سليمن فلا ينفكون من تسخير سليمن وذريته
بعده لو تزوجها وذلك ان امها كانت جنية فاساؤوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار فلما امتحن
ذلك وجده على خلاف ما قيل وقيل انه ذكر له ان على رجليها شعرا فلما كشفته بان الشعر فاستشار الجن فيه فعملوا الحمامات وطبخوا
له النورة والزرنيخ وكان اول ما صنعت النورة فلما اتت اي رأت بلقيس الصرح حسبته لجة وهي معظم الماء وكشفت عن ساقيها
لدخول الماء وقيل انها لما رأت الصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به الا الغرق وانفت ان تجبن فلا تدخل ولم يكن من عادتهم
لبس الخفاف فلما كشفت عن ساقيها قال لها سليمن انه صرح ممرد اي مملس من قوارير مغلس بماء ولما رأت سرير سليمن ع والصرح
قالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر الذي كنت عليه واسلمت مع سليمن لله رب العالمين فحسن اسلامها وقيل انها لما جلست دعا
ها سليمن ع الى الاسلام وكانت قد رأت الآيات والمعجزات فاجابته واسلمت وقيل انها لما ظنت ان سليمن ع يغرقها ثم عرفت
حقيقة الامر قالت ظلمت نفسي اذ توهمت على سليمن ما توهمت واختلف في امرها بعد ذلك فقيل انه تزوجها سليمن ع واقرها
على ملكها وقيل انه زوجها من ملك يقال له تبع وردها الى ارضها وامر زوبعة امير الجن باليمن ان يسمع له ويطيع فصنع له المصانع
باليمن قال عون بن عبد الله جاء رجل الى عبد الله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمن قال عهدي بها ان قالت واسلمت مع سليمن
لله رب العالمين يعني انه لا يعلم ذلك وان آخر ما سمع من حديثها هذا القول وروى العياشي في تفسيره بالاسناد قال لقي موسى
بن محمد بن علي بن موسى يحيى بن اكثم فسأله عن مسائل قال فدخلت على اخي علي بن محمد ع بعد ان دار بيني وبينه من المواعظ حتى
انتهيت الى طاعته فقلت له جعلت فداك ان ابن اكثم سألني عن مسائل افتيه فيها فضحك ثم قال فهل افتيته فيها قلت لا
قال ولم قلت لم اعرفها قال وما هي قلت قال اخبرني عن سليمن ع اكان محتاجا الى علم آصف ثم ذكر المسائل الآخر قال اكتب يا اخي
بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله في كتابه قال الذي عنده علم من الكتاب فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمن عن معرفة ما عرف

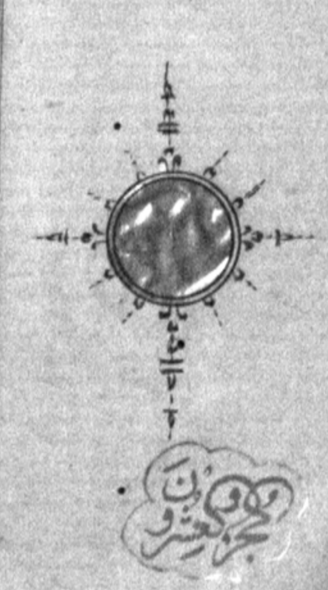
١٥٩

اصف بن برخيا ولم يعجز سليمن عن معرفة ما عرف اصف لكنه صلوات الله عليه احب ان يعرف امته من الجن والانس انه الحجة
من بعده وذلك من علم سليمن اودعه اصف بامر الله ففهمه الله ذلك لئلا يختلف فى امامته ودلالته كما فهم سليمن عم فى حيوة
داود عم ليعرف امامته ونبوته من بعده لتاكيد الحجة على الخلق **قوله تعالى** وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ قَالُوا اطَّيَّرْنَا
بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۞ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ
قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ
تسع آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم لتبيتنه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء ايض وضم اللام والباقون لنبيتنه
بالنون وفتح التاء ثم لنقولن بالنون ايض وفتح اللام وقرا اهل الحجاز وابو عمرو وسهل وابن عامر انا دمرناهم بكسر الالف والباقون بفتح الالف
وروى عن روح وزيد عن يعقوب بكسر الالف ايض الحجة قال ابو على قوله تقاسموا لا يخلو من ان يراد به مثال الماضى او مثال الاتى الذى
يراد به الامر فمن اراد به الامر وجعل لنبيتنه جوابا لتقاسموا فكانه قال احلفوا لنبيتنه لان هذه الالفاظ التى تكون من الفاظ القسم يتلقى
بما يتلقى به الايمان كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فكذلك تقاسموا بالله لنبيتنه تلقاه اللام والنون الثقيلة و
ادخل المتكلمون انفسهم مع المقسمين كما دخلوا فى قوله قل تعالوا ندع ابناءنا ومن قال تقاسموا بالله لتبيتنه اراد ليقسم بعضكم لبعض لتبيتنه
فتقاسموا على هذا امر كما كان فيمن قال لنبيتنه امرا ومن قال تقاسموا لتبيتنه بالتاء فتقاسموا على هذا مثال ماض ولا يجوز مع هذا الا بالتاء
لانه مثال الماضى للغيبة ولتبيتنه للخطاب ومن كسر انا دمرناهم جاز ان يكون كان فى قوله كيف كان عاقبة مكرهم تامه وان تكون
ناقصة فان جعلتها تامه بمعنى وقع كان قوله كيف كان عاقبة مكرهم عاقبه فى موضع حال تقديره على اى حال وقع عاقبة مكرهم اى
احسنا وقع عاقبة مكرهم ام سيئا ويكون فى كيف ضمير من ذى الحال كما انك اذا قلت فى الدار حدث الامر فجعلته فى موضع الحال كان
كذلك بحكم كيف على ذا ان يكون متعلقا بمحذوف كما انك اذا قلت فى الدار وقع زيد فتقديره وقع زيد مستقرا فى هذه الحال فان
جعلته ظرفا للفعل تعلق بكان الذى بمعنى الحدث وقوله انا دمرناهم فيمن كسر استيناف وهو تفسير للعاقبة كما ان قوله لهم مغفرة واجر
عظيم تفسير للوعد ومن قرا انا دمرناهم جاز ان يكون كان على ضربها فاذا حملته على وقع كيف كان فى موضع حال وجاز فى قوله انا دمرناهم
امران احدهما ان يكون بدلا من قوله عاقبة مكرهم وجاز ان يكون محمولا على مبتداء مضمر كانه قال هو انا دمرناهم او ذاك انا دمرناهم فاذا
حملتها على المقتضية للخبر جاز فى قوله انا دمرناهم امران احدهما ان يكون بدلا من اسم هو العاقبة فاذا حملته على ذلك كان كيف فى
موضع خبر كان والاخر ان يكون خبر كان ويكون موضعه نصبا بانه خبر كان كانه كان عاقبة امرهم تدميرهم ويكون كيف فى موضع
حال ويجوز ان يكون العامل فى كيف احد شيئين اما ان يكون كان لانه فعل كما كان العامل فى الظرف فى قوله اكان للناس عجبا ان اوحينا
الا ترى انه لا يجوز ان يتصل قوله للناس بواحد من المصدرين الا ان تجعله صفة لعجب فتقدمه فيصير فى موضع الحال فالعامل
فيه على هذا ايض كان ويجوز ان يكون العامل فيه ما فى الكلام من الدلالة على الفعل لان قوله انا دمرناهم بمنزلة تدميرنا وتدميرنا
يدل على دمرنا فيصير العامل فيه هذا المعنى الذى دل عليه ما فى الكلام من معنى الفعل وزعموا ان فى حرف ابى ان دمرناهم فهذا يقوى
الفتح فاما المعنى ثم عطف سبحانه على قصة سليمن قصة صلح فقال ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صلحا فى النسب صالحا ان
اعبدوا الله اى ارسلناه بان اعبدوا الله وحده لا شريك له فاذا هم فريقان يختصمون اى مؤمنون وكافرون يقول كل فريق الحق معى
قال صلح للفريق المكذب يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اى بالعذاب قبل الرحمة اى لم قلتم ان كان ما اتينا به حقا
فاتنا بالعذاب وسمى العذاب سيئة لما فيه من الالام ولانه جزاء على السيئة لان السيئة هى الخصلة التى تسوء صاحبها لولا اى هلا
تستغفرون الله اى تطلبون المغفرة من الشرك بان تؤمنوا لعلكم ترحمون فلا تعذبون فى الدنيا قالوا اطيرنا بك وبمن معك اى تشاءمنا
بك وبمن على دينك وذلك انهم قحط المطر عنهم وجاعوا فقالوا اصابنا هذا الشر من شومك وشوم اصحابك قال لهم صلح

خمس عشر

طائركم عند الله اى الشوم اتيكم من عند الله بكفركم وهذا كقوله يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون
بالخير والشر عن ابن عباس وقيل تعذبون بسوء اعمالكم عن محمد بن كعب وقيل تبتلون وتمتحنون بطاعة الله ومعصيته وكان فى المدينة يعنى
التى بها صالح وهى الحجر تسعة رهط يفسدون فى الارض كانت هذه التسعة نفرا من اشرافهم وهم غواة قوم صالح وهم الذين سعوا
فى عقر الناقة ولا يصلحون اى ولا يطيعون الله تعم وذكر ابن عباس اسمائهم قال هم قذار بن سالف ومصدع ودهمى ودهيم ورعى ودعيم
واسلم وقتال وصداف قالوا تقاسموا اى قالوا فيما بينهم احلفوا بالله لنبيتنه اى لنقتلن صالحا واهله بياتا ومن قرا بالنون فكانهم قالوا
اقسموا ليفعلن والامر بالقسم فى القراءتين داخل فى الفعل معهم ثم لنقولن لوليه اى لذى رحم صالح ان سالنا عنه ما شهدنا مهلك اهله
اى ما قتلناه وما ندرى من قتله واهلكه وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه فى سورة الكهف وانا لصادقون فى هذا القول قال الزجاج
كان هؤلاء الذين النفر تحالفوا ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عند اوليائه ان يكونوا فعلوا ذلك او راوه وكان هذا مكرا عزموا عليه
قال الله تعم ومكروا مكرا ومكرنا مكرا اى جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون بمكر الله بهم فانهم دخلوا على صالح ليقتلوه
فانزل الله سبحانه الملائكة فرموا كل واحد منهم بحجر حتى قتلوهم وسلم صالح من مكرهم عن ابن عباس وقيل ان الله سبحانه امر صالحا با
لخروج من بينهم ثم استاصلهم بالعذاب وقيل نزلوا فى سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليا توا صالحا فهجم عليهم الجبل عن مقاتل فانظر
كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم اى اهلكناهم بما ذكرناه من العذاب وقومهم اجمعين بصيحة جبرائيل ع فتلك بيوتهم خاوية اشار
الى بيوتهم والمعنى فانظر اليها خاوية نصب على الحال اى فارغة خالية بما ظلموا اى بظلمهم وشركهم بالله تعالى ان فى ذلك اى فى هلاكهم لاية
لقوم يعلمون اى لعبرة لمن نظر اليها واعتبر بها وفى هذه الاية دلالة على ان الظلم يعقب خراب الدور وروى عن ابن عباس انه قال اجد
فى كتاب الله ان الظلم يخرب البيوت وتلى هذه الاية وقيل ان هذه البيوت بوادى القرى بين المدينة والشام وانجينا الذين امنوا بصالح
وكانوا يتقون قالوا انهم اربعة الاف خرج بهم صالح اى حضرموت وسمى حضرموت لان صالحا لما دخلها مات قوله تعالى
ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء
مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما تشركون ست ايات القراءة قرا اهل البصرة وعاصم يشركون بالياء والباقون
بالتاء على الخطاب وفى الشواذ قراءة الحسن فما كان جواب قومه بالرفع الحجة الاولى ان يكون جواب قومه خبر كان والاسم قوله ان قالوا
يشبه ان بالمضمر من حيث كانت لا توصف والمضمر اعرف من المظهر وقد تقدم القول فى هذا المعنى ثم ذكر سبحانه قصة لوط ع عاطفا
بها على ما تقدم فقال ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه منكرا عليهم فى افعالهم اتاتون الفاحشة يعنى الخصلة القبيحة الشنيعة
الظاهرة القبح وهى اتيان الذكران فى ادبارهم وانتم تبصرون اى تعلمون انها فاحشة وقيل معناه وانتم يرى بعضكم ذلك من بعض ثم بين
الفاحشة التى ياتونها فقال ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء اللاتى خلقهن الله لكم بل انتم قوم تجهلون اى تفعلون افعال
الجهال قال ابن عباس تجهلون القيمة وعاقبة العصيان فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
عن اتيان الرجال فى ادبارهم فانجيناه واهله الا امراته قدرناها اى جعلناها من الغابرين اى الباقين فى العذاب وامطرنا عليهم مطرا
وهو الحجارة فساء مطر المنذرين الذين ابلغهم لوط النذارة واعلمهم بموضع المخافة ليتقوها فخالفوا ذلك ثم قال سبحانه لنبيه قل يا محمد
الحمد لله شكرا على نعمه بان وفقنا للايمان وقيل الحمد لله على هلاك الامم الكافرة عن مقاتل وسلام على عباده الذين اصطفى اى اصطفاهم الله
واجتباهم واختارهم من بريته وهم الانبياء عن مقاتل وقيل هم اصحاب محمد ص والرعن ابن عباس والحسن وقيل هم امة محمد ص واله
ومعنى السلام عليهم انهم سلموا مما عذب به الكفار عن الكلبى وقيل هم ال محمد عليهم السلم عن على بن ابرهيم ثم قال سبحانه مخاطبا للمشركين
الله خير اما تشركون يا اهل مكة اى الله خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها وهذا الزام للحجة على المشركين بعد ذكر هلاك الكفار والمعنى
ان الله تعالى ينجى من عبده من الهلاك والاصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب وانما قال ذلك لانهم توهموا فى عبادة الاصنام خيرا
قوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله

١٩



بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ
يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ

ست آيات القراءة قرا ابو عمرو وهشام ما يذكرون بالياء والباقون بالتاء والوجه فيهما ظاهر اللغة الحديقة البستان الذي عليه حايط
فكل ما احاط به البناء فهو حديقة وقيل الحديقة البستان الذي فيه النخل والقرار المكان المطمئن الذي يستقر فيه الماء ويقال للروضة
المنخفضة قرارة ومنه حديث ابن عباس قال علي في علم علي كالقرارة في المثعنجر اي كالغدير في البحر والبرهان البيان بحجة الاعراب امن
استفهام في محل الرفع على الابتداء وخبره خلق وقرارا نصب على الحال لان جعل بمعنى خلق وان كان بمعنى صير فهو مفعول ثان ءاله
مع الله مبتداء وخبر تقديره ءاله ثبت مع الله وانما جاز ان يكون النكرة مبتداء لانه استفهام ويجوز ان يكون خبر المبتداء محذوفا ويكون
تقديره ءاله في الوجود مع الله قليلا ما تذكرون صفة مصدر محذوف تقديره تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة وبشرى نصب على الحال
بين يدي رحمته ظرف منه اياك في محل نصب لانه ظرف زمان والعامل فيه يبعثون المعنى ثم عدد سبحانه الدلايل على توحيده ونعمه
الشاملة لعبيده فقال ام من خلق السموات والارض وتقديره اما تشركون خير ام من خلق السموات والارض اي انشاهما واخترعهما
وانزل لكم من السماء ماء اي غيثا ومطرا لكم اي لمنافعكم ولاجل معاشكم عرفهم سبحانه ان غيره لا يقدر على ذلك فانبتنا به حدايق اي
رياضا وبساتين وما لم يكن عليه حايط لا يقال له حديقة ذات بهجة اي ذات منظر حسن يبتهج به من راه ولم يقل ذوات بهجة لانه اراد
تانيث الجماعة ولو اراد تانيث الاعيان لقال ذوات بهجة قال الشاعر وسوف يعقبنيه ان ظفرت به رب كريم وبيض ذات اطهار ما كان
لكم ان تنبتوا شجرها ما هنا للنفي اي لم تكونوا تقدرون على انبات شجرها ءاله مع الله وهذا استفهام انكار معناه هل معه معبود سواه
اعانه على صنعه بل ليس معه اله بل هم قوم يعدلون اي يشركون بالله غيره يعني كفار مكة امن جعل الارض قرارا اي مستقرا لا تميد باهلها
وجعل خلالها انهارا اي جعل وسط الارض وفي مسالكها ونواحيها انهارا جارية ينبت بها الزرع ويحيى بها الخلق وجعل لها رواسي
اي جبالا ثوابت اثبت بها الارض وجعل بين البحرين حاجزا اي مانعا من قدرته بين العذب والملح فلا يختلط احدهما بالاخر ءاله
مع الله بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم وكمال قدرته وسلطانه امن يجيب المضطر اذا دعاه اي يجيب المكروب المجهود ويكشف ضره
وكربه واجابة دعاء المضطر هي فعل ما يدعوا به وهذا لا يكون الا من قادر على الاجابة مختار لها وراس المضطرين المذنب الذي
يدعوه ويساله المغفرة منهم والخايف الذي يساله الامن والمريض الذي يساله العافية والمحبوس الذي يطلب الخلاص فان الكل اذا
ضاق بهم الامر فزعوا الى رب العالمين واكرم الاكرمين وانما خص المضطر وان كان قد يجيب غير المضطر لان رغبته اقوى وسواله
اخضع ويكشف السوء اي يدفع الشدة وكل ما يسوء ويجعلكم خلفاء الارض يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله فيهلك قرنا و
ينشئ قرنا وقيل يجعلكم خلفاء من الكفار بنزول بلادهم وطاعة الله بعد شركهم وعنادهم ءاله مع الله قليلا ما تذكرون اي
قليلا ما تتعظون عن ابن عباس ومن قرا بالياء فالمعنى قليلا ما يتذكر هؤلاء المشركون امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي اما تشركون خير
ام من يهديكم الى القصد والسمت في البر والبحر بما نصب لكم من الدلالات من الكواكب والقمر اذا اظللتم وهو كقوله وهو الذي جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته وقد مضى تفسيره ووجوه القراءة فيه ءاله مع الله
تعالى الله عما يشركون اي جل وتنزه عن الشريك كما يزعمه المشركون امن يبدؤ الخلق بان يخترعه ويوجده وينشئه على غير مثال
احتذاه ثم يميته ويفنيه ثم يعيده بعد الافناء وانما قال ذلك لانهم اقروا بانه الخالق فيلزمهم الاقرار بالبعث من حيث ان من
قدر على الانشاء قدر على الاعادة ومن يرزقكم من السماء والارض بانزال المطر وباخراج النبات والثمار ءاله مع الله يقدر على
ذلك قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم اي حجتكم ان كنتم صادقين ان لي شريكا صنع شيئا من هذه الاشياء فاذا لم يقدروا على اقامة البرهان
على ذلك فاعلم انه لا اله معي ولا يستحق العبادة سواي قل يا محمد لا يعلم من في السموات والارض من الملائكة والجن الغيب وهو ما غاب

علم من الخلق ما يكون في المستقبل الا الله وحده اذ من اعلمه الله تعم وما يشعرون ايان يبعثون اى متى يحشرون يوم القيمة دل سبحانه
بهذه الاية كما دل بما تقدمها على قدرته قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وقال الذين كفروا
ءاذا كنا ترابا وءاباؤنا ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وءاباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون
وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين
عشر آيات القراءة قرا اهل البصرة وابو جعفر وابن كثير بل ادرك بقطع الالف وسكون اللام والدال وقرا الشموني عن ابي بكر بل ادرك موصولة
الالف مشددة الدال بلا الف بعدها والباقون بل ادارك وفي الشواذ قراءة سليمن بن يسار وعطاء بن يسار بل ادرك بفتح اللام ولا همزة
ولا الف وقراءة الحسن وابي رجا وابن محيصن بل ادرك وقراءة ابن عباس بلى بيا ادرك وقرا ابى بلى تدارك وقرا اهل المدينة اذا كنا ترابا بكسر
الالف ائنا لمخرجون بالاستفهام بهمزة واحدة ممدودة عن ابي جعفر وقالون وغير ممدودة عن ورش واسمعيل وقرا ابن عامر والكسائي
اذا بهمزتين اننا بنونين وقرا ابن كثير ويعقوب ائذا ائنا بالاستفهام فيهما جميعا بهمزة واحدة ممدودة وقرا عاصم وحمزة وخلف ائذا
ائنا بالاستفهام فيهما جميعا بهمزتين همزتين وقرا ابن كثير في ضيق بكسر الضاد والباقون بفتحها الحجة قال ابو علي ان علم قد يتصل بالباء
كقوله تعالى الم يعلم بان الله يرى ويعلق على بريد يوم الجمعة ومعنى ادرك بلغ ولحق يقال فلان ادرك الحسن اى لحق ايامه وبهذا ما
ادركه علمي اى بلغه فالمعنى انهم لم يدركوا علم الآخرة اى لم يعلموا حدوثها وكونها ودل على ذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها
عمون اى بل هم من علمها عمون واذا كان كذلك فكان معنى قوله في الآخرة معنى الباء اى لم علمها لم ينظروا في حقيقتها فيدركوا ولهذا
قراءة من قرا ادرك كانه اراد لم يدركوه كما يقول اجيئتني امس اى لم تجئ والمعنى لم يدرك علمهم بحدوث الآخرة بل هم في شك منها بل هم
من علمها عمون والمعنى عن علم الشيء ابعد منه من الشاك فيه لان الشاك قد يحرص عن ضرب من النظر والعمي عن الشيء الذي لم يدرك
منه شيئا واما من قال ادارك فانه اراد تدارك فادغم التاء في الدال لمقاربتها لها ولكونها من حيزها فلما سكنت التاء للادغام اجتلبت
لها همزة الوصل كما اجتلبتها في نحو اداراتم وفي التنزيل حتى اذا اداركوا فيها جميعا كان معناها تلاحقوا قال تداركتم الاحلاف قد ثل
عرشها وما روى عن ابي بكر بل ادرك فمعناه افتعل من ادرك وافتعل وتفاعل يجيئان بمعنى ومن ثم من قولهم ازدوجوا وان كان
الحرف على صورة يجب فيها الانقلاب ولكنه صح لما كان بمعنى يفاعلوا وتفاعلوا لما يلزم فيه تصحيح حرف العلة لسكون الحرف الذي قبل
حرف العلة فصار تصحيح وهذا كتصحيح عور وحول لما كان بمعنى اعور واحول ومن قرا بل ادرك فانه خفف الهمزة بحذفها والقاء
حركتها على اللام الساكنة قبلها نحو قد فلح وقد افلح واما قوله بل ادرك فان بل استيناف وما بعدها استفهام كما تقول ازيد عندك
بل اعمرو عندك تركا للاول الى غيره واما بلى فكانه جواب وذلك لانه لما قال قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله فكان
قايلا قال ما الامر كذلك فقيل له بلى ثم استونف فقيل ادرك علمهم في الآخرة وقد سبق ذكر الاستفهام من فيما تقدم وكذلك ذكر
الضيق والضيق والاولى ان يحمل على انهما لغتان اللغة قال ابن الاعرابي ردفت واردفت ولحقت والحقت بمعنى وترادفوا تلاحقوا
قال المبرد اللام في ردف لكم زايدة وقيل انه لما اتى باللام لان معنى ردف دنا فكانه قال دنا لكم كما قال الشاعر فقلت لها الحاجات
يطرحن بالفتى وهم تعناني معنى ركابيه قال يطرحن بالفتى لما كان معنى يطرحن يرمين وكنت الشيء في نفسي واكننته اذا سترته في نفسك
فهو كن ومكنون قال الرماني الاكنان جعل الشيء بحيث لا يلحقه اذى بمانع يصد عنه الاعراب العامل في اذا معنى قوله مخرجون لان
ما بعد ان لا يعمل فيما قبل ان فالتقدير اذا كنا ترابا اخرجنا وهذا في محل نصب لانه مفعول ثان لو عد عسى ان يكون ردف لكم يكون اسمه
ضمير الامر والشان وما بعده خبره وان يكون فيما يتعلق به في محل رفع بانه فاعل عسى المعنى لما اخبر سبحانه عن الكفار انهم لا يشعرون
متى يبعثون بانهم شاكون عقيبه بانهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيمة فقال بل ادارك علمهم في الآخرة اى تتابع منهم العلم وتلاحق
حتى كمل علمهم في الآخرة بما اخبروا به في الدنيا فهو على لفظ الماضي والمراد به الاستقبال اى يتدارك ومن قرا ادرك فمعناه سيدرك علمهم
هذه الاشياء في الآخرة حين لا ينفعهم اليقين بل هم في شك منها في الدنيا عن ابن عباس والمعنى ان ما جهلوه في الدنيا وسقط علمه

١٤١

عنهم علمهم فی الآخرة وقیل معناه اجتمع علمهم یوم القیمة فلم یشکوا ولم یختلفوا عن السدی وقال مقاتل یقول بل علموا فی الآخرة حین
عاینوا ما شکوا وعموا عنه فی الدنیا وقیل ان هذا علی وجه الاستفهام فحذف الالف والمراد به النفی بمعنی انه لم یدرک علمهم بالآخرة
ولم یبلغها علمهم وقیل معناه ادرک هذا العلم جمیع العقلاء لو تفکروا ونظروا لان العقل یقتضی ان الاعمال یتبع فلا بد من التکلیف
والتکلیف یقتضی الجزاء واذا لم یکن ذلک فی الدنیا فلا بد من دار الجزاء وقیل ان الآیة اخبار عن ثلث طوایف طایفة اقرت بالبعث
وطایفة شکت فیه وطایفة نفته کما قال بل هم فی امر مریج وقوله بل هم منها عمون ای عن معرفتها وهو جمع عمی وهو الاعمی القلب
لترکه التدبر والنظر وقال الذین کفروا بانکارهم البعث ائذا کنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون من القبور مبعوثون یقولون ذلک علی وجه
الاستبعاد والاستنکار لقد وعدنا هذا البعث نحن فیما مضی وآباؤنا من قبل ای وعد آباؤنا ذلک من قبلنا فلم یکن مما قالوه شیٔ ان
هذا الا اساطیر الاولین ای احادیثهم واکاذیبهم التی کتبوها قل یا محمد سیروا فی الارض فانظروا کیف کان عاقبة المجرمین الذین کفروا بالله و
عصوه ای کیف اهلکهم الله وخرب دیارهم ولا تحزن علیهم ای علی تکذیبهم وترکهم الایمان ولا تکن فی ضیق وهو ما یضیق به
الصدر مما یمکرون ای یدبرون فی امرک فان الله سبحانه یحفظک وینصرک علیهم ویقولون متی هذا الوعد الذی تعدنا یا محمد من
العذاب ان کنتم صادقین بانه یکون قل یا محمد عسی ان یکون ردف لکم ای قرب لکم عن ابن عباس وقیل اقترب لکم عن السدی وقیل
اردف لکم عن قتادة بعض الذی تستعجلون من العذاب وعسی من الله واجب فمعناه انه قرب منکم وسیاتیکم وهذا البعض الذی
دنا لکم القتل والاسر یوم بدر وسایر العذاب لهم فیما بعد الموت وقیل هو الانذار عند الموت وشدته وعذاب القبر عن الجبائی
وان ربک لذو فضل علی الناس بضروب النعم الدینیه والدنیویة وقیل بامهالهم لیتوبوا والفضل هو الزیادة من الله تعالی للعبد
علی ما یستحقه بشکره والعدل حق العبد والفضل فیه واقع من الله تعالی الا انه علی ما یصح وتقتضیه الحکمة ولکن اکثرهم لا یشکرون
نعمه وان ربک لیعلم ما تکن صدورهم ای تخفیه وتستره وما یعلنون ای ویعلم ما یظهرونه ایضا وما من غایبة ای من خصلة غایبة
فی السماء والارض یعنی جمیع ما اخفاه عن خلقه وغیبه عنهم الا فی کتاب مبین ای الا وهو مبین فی اللوح المحفوظ وقیل اراد ان جمیع
افعالهم محفوظة عنده غیر منسیة کما یقول القایل افعالک عندی مکتوبة ای محفوظة عن ابی مسلم والجبائی قوله تعالی

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۝ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝
وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۝ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا
لَا يُوقِنُونَ ۝ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَوَقَعَ الْقَوْلُ

عشر آیات القراءة قرأ ولا یسمع بالیاء الصم بالرفع ههنا وفی الروم ابن کثیر وعباس والباقون لا تسمع بضم التاء الصم بالنصب
وقرأ وما انت تهدی العمی حمزة ههنا وفی الروم وقرأ الباقون وما انت بهادی العمی وفی الشواذ قراءة ابن عباس وسعید بن جبیر
ومجاهد والجحدری وابن زرعة تکلمهم بفتح التاء والتخفیف وقرأ اهل العراق غیر ابی عمرو وسهل ان الناس بفتح الهمزة والباقون بکسرها
حجة من قال تسمع انه اشبه بما قبله من قوله انک لا تسمع الموتی ویؤکد ذلک قوله ولو علم الله فیهم خیرا لاسمعهم ومن قرأ
ولا یسمع الصم الدعاء فالمعنی لا ینقادون للحق لعنادهم کما لا یسمع الاصم ما یقال له ومن قرأ تهدی العمی فالتقدیر انک لا تهدیهم
لشدة عنادهم واعراضهم وانت مرفوع بما علی قول اهل الحجاز وتهدی فی موضع نصب بانه خبره وعلی قول تمیم یرتفع بمضمر یفسره
الظاهر الذی هو تهدی تقدیره اذا اظهرت ذلک المضمر ما تهدی یهدی لانک اذا اظهرت الفعل المضمر اتصل به الضمیر ولم ینفصل
کما ینفصل اذا لم تظهر ومن قرأ بهادی العمی مضافا فی السورتین فاسم الفاعل للحال او للآتی فاذا کان کذلک کانت الاضافة فی
نیة الانفصال وقوله ان الناس بالفتح فالوجه فیه تکلمهم بان الناس وزعموا ان فی قراءة ابی تنبئهم وعن قتادة انه فی بعض
الحروف تحدثهم وهذا یدل علی انها تکلمهم الکلام الذی هو نطق ولیس من الکلم الذی هو الجراحة ومن کسر فقال ان الناس فالمعنی
تکلمهم فتقول لهم ان الناس واضمار القول فی الکلام کثیر وحسن ذلک لان الکلام قول فکان القول قد اظهر ومن قرأ تکلمهم فمعناه

حزب

عشر
خمس
ع ٢

تجرحهم باكلها اياهم ثم ذكر سبحانه من الحجج ما يقوى قلب نبيه صلى الله عليه وآله فقال ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اى يخبرهم
بالصدق اكثر الذى هم فيه يختلفون من حديث مريم وعيسى والنبى المبشر به فى التورية حيث قال بعضهم هو يوشع وقال بعضهم لا بل
هو منتظر لم يات بعد وغير ذلك من الاحكام وكان ذلك معجزة لنبينا اذ كان لا يدرس كتبهم ولا يقراها ثم اخبرهم بما فيها وانه يعنى
القرآن لهدى اى دلالة على الحق ورحمة للمؤمنين اى نعمة لهم ان ربك يقضى بينهم بحكمه مؤيد بين المختلفين فى الدين يوم القيمة واشار
بذلك الى شيئين احدهما ان الحكم له ولا ينفذ حكم غيره فيوصل الى كل ذى حق حقه والآخر انه وعد المظلوم بالانتصاف من الظالم
وهو العزيز القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شئ العليم بالمحق والمبطل فيجازى كلا بحسب عمله وفى هذه الآية تسلية للمحقين الذين
خولفوا فى امور الدين وان امرهم يؤل الى ان يحكم بينهم رب العالمين ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال فتوكل على الله يا محمد انك على الحق
المبين اى الواضح البين الظاهر والمحق اولى بالتوكل من المبطل المدغل والمراد بهذا الخطاب سائر المؤمنين وان كان فى الظاهر لسيد
المرسلين ثم شبه الكفار بالموتى فقال انك لا تسمع الموتى كما لا تسمع الموتى يقول كما لا تسمع الميت الذى ليس له آلة لسمع النداء كذلك
لا يسمع الكافر الندآء لانه لا يسمع ولا يقبل الوعظ ولا يتدبر فيه ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين انما قال ذلك لان الاصم اذا
كان قريبا فالانسان يطمع فى اسماعه فاذا اعرض وادبر وتباعد انقطع الطمع فى اسماعه فجعل سبحانه المصمم على الجهل كالميت فى انه
لا يقبل الهدى وكالاصم فى انه لا يسمع الدعاء وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم فى الدين بالآيات الدالة على الهدى اذا اعرضوا عنها
كما لا يمكنك ان تهدى العمى الى قصد الطريق جعل سبحانه الجهل بمنزلة العمى لانه يمنع عن ادراك الحق كما يمنع العمى من ادراك المبصرات
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اى ما يسمع الا من يطلب الحق بالنظر فى آياتنا فهم مسلمون اى مستسلمون منقادون جعل سبحانه استماعهم
وقبولهم للحق سماعا وتركهم للقبول تركا للسماع وقيل مسلمون موحدون مخلصون واذا وقع القول عليهم اى وجب العذاب و
الوعيد عليهم وقيل معناه اذا صاروا بحيث لا يفلح احد منهم ولا احد بسببهم عن مجاهد وقيل معناه اذا غضب الله عليهم عن قتادة
وقيل معناه اذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة نسمى المقول قولا كما يقال جاء الخبر الذى تلت ويراد به المخبر قال ابو سعيد
الخدرى وابن عمر اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم واحذروا بمبادى العقاب منها قوله اخرجنا لهم دابة من
الارض تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بانه مؤمن والكافر بانه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة وهو علم من
اعلام الساعة وقيل لا يبقى مؤمن الا مسحته ولا يبقى منافق الا حطمته تخرج ليلة جمع والناس يسيرون الى منى عن ابن عمر وروى
محمد بن كعب القرظى قال سئل على عليه السلام عن الدابة فقال اما والله ما لها ذنب وان لها لحية وفى هذا اشارة الى انها من الانس وروى
عن ابن عباس انها دابة من دواب الله لها زغب وريش ولها اربع قوائم وعن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وآله قال دابة الارض طولها
ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب فتسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر بين عينيه
وتكتب بين عينيه كافر ومعها عصى موسى وخاتم سليمن فتجلوا وجه المؤمن بالعصاة وتحطم انف الكافر بالخاتم ثم يقال يا مؤمن
ويا كافر وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه يكون للدابة ثلث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى المدينة فيفشوا ذكرها فى البادية ولا
يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشوا ذكرها فى البادية ويدخل ذكرها القرية
يعنى مكة ثم اذا صار الناس فى اعظم المساجد على الله عز وجل حرمة واكرمها على الله يعنى المسجد الحرام لم ترعهم الا وهى فى ناحية
المسجد تدنوا وتدنوا كذا ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط من ذلك فيرفض الناس عنها وتثبت لها
عصابة عرفوا انهم لن يعجزوا الله فتخرج عليهم تنفض راسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكوكب الدرية
ثم ولت فى الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلوة فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان
الآن تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه فيتجاور الناس فى ديارهم ويصطحبون فى اسفارهم ويشتركون فى الاموال يعرف الكافر
من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وروى عن وهب انه قال وجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير ومثل هذا
لا يعرف الا من النبوات الالهية وقوله تكلمهم اى تكلمهم بما يسوءهم وهو انهم يصيرون الى النار بلسان يفهمونه وقيل تحدثهم بان

هذا

هذا شئ وهذا كافر وقيل تكلمهم بان تقول لهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون وهو الظاهر وقيل بآياتنا معناها بكلامها وخروجها
ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون اى يدفعون عن ابن عباس وقيل يحبس اولهم على آخرهم واستدل بهذه
الاية على صحة الرجعة من ذهب الى ذلك من الامامية بان قال ان دخول من فى الكلام يوجب التبعيض فدل ذلك على ان اليوم
المشار اليه فى الاية يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيمة الذى يقول فيه سبحانه وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وقد
تظاهرت الاخبار عن ائمة الهدى من آل محمد عليهم السلم فى ان الله تعم سيعيد عند قيام المهدى عم قوما ممن تقدم موتهم من اوليائه
وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته ويعيد ايض قوما من اعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من
العذاب فى القتل على ايدى شيعته والذل والخزى بما يشاهدون من علو كلمته ولا يشك عاقل ان هذا مقدور لله تعم غير مستحيل فى نفسه
وقد فعل الله تعم ذلك فى الامم الخالية ونطق القرآن بذلك فى عدة مواضع مثل قصة عزير وغيره على ما فسرناه فى موضعه وصح عن
النبى صلى الله عليه وآله سيكون فى امتى كل ما كان فى بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو ان احدهم دخل جحر ضب
لدخلتموه على ان جماعة من الامامية تاولوا ما ورد فى الاخبار فى الرجعة على رجوع الدولة والامر والنهى دون رجوع الاشخاص و
احياء الاموات واولوا الاخبار الواردة فى ذلك لما ظنوا ان الرجعة تنافى التكليف وليس كذلك لانه ليس فيها ما يلجى الى فعل الواجب
والامتناع من القبيح والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب العصى ثعبانا وما اشبه
ذلك ولان الرجعة لم تثبت بظواهر الاخبار المنقولة فيتطرق التاويل عليها وانما المعول فى ذلك على اجماع الشيعة الامامية وان كانت
الاخبار تعضده وتؤيده ومن قال ان قوله ويوم نحشر من كل امة المراد به يوم القيمة قال المراد بالفوج الجماعة من الرؤساء والمتبوعين
فى الكفر حشروا وجمعوا لاقامة الحجة عليهم حتى اذا جاؤا الى موقف الحساب قال الله تعم لهم اكذبتم بآياتى اى كذبتم بانبيائى ودلالاتى الدالة
على دينى ولم تحيطوا بها علما اى لم تطلبوا معرفتها ولم تتبينوا ما اوجب الله عليكم فيها ام ماذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا فى
صحتها يقول ذلك تبكيتا لهم وتهديدا اى هذا كان الواجب عليكم فتركتموها ولم تعرفوها حق معرفتها فبماذا اشتغلتم ومن قال بالاول
فالمراد بالآيات الائمة الطاهرون عليهم السلم ووقع القول عليهم اى وجب العذاب عليهم بما ظلموا اى بظلمهم اذ صاروا بحيث لا ينفع احد
منهم ولا احد بسببهم فهم لا ينطقون اذ ذاك بكلام ينتفعون به ويجوز ان يكون انهم لا ينطقون اصلا لعظم ما يشاهدونه وهول ما يرونه

قوله تعالى اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ • وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ
مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ اِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ وَكُلٌّ اَتَوْهُ دَاخِرِينَ • وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللّٰهِ الَّذِى
اَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ اِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ • مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ • وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ
وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • قُلْ اِنَّمَا اُمِرْتُ اَنْ اَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ وَاُمِرْتُ اَنْ
اَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ • وَاَنْ اَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَاِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ اِنَّمَا اَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ • وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ سَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ • ثمانى آيات **القراءة** قرا حمزة وحفص وخلف واتوه مقصورة الالف غير ممدودة وبفتح
التاء وقرا الباقون آتوه بمد الالف وضم التاء وقرا اهل البصرة غير سهل وابن كثير وحماد والاعشى والبرجمى عن ابى بكر بما يفعلون بالياء
والباقون بالتاء وقرا اهل الكوفة من فزع منونا يومئذ بفتح الميم وقرا اهل المدينة غير اسمعيل من فزع بغير تنوين يومئذ بفتح الميم وقرا
ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ونافع برواية اسمعيل ويعقوب من فزع بغير تنوين يومئذ بكسر الميم وقرا اهل المدينة وابن عامر وحفص
ويعقوب عما تعملون بالتاء والباقون بالياء **الحجة** قال ابو على من قال اتوه كان فعلوه من الاتيان ومن قرا آتوه فهو فاعلوه وكلاهما
محمول على معنى كل ولو حمله على اللفظ جاز كما فى قوله وكلهم آتيه وان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وحجة من قال يفعلون
بالياء ان ذكر الغيبة قد تقدم فى قوله وكل اتوه وحجة التاء انه خطاب الكافر وقد يدخل الغيبة فى الخطاب ولا يدخل الخطاب فى الغيبة
وقوله من فزع يومئذ من نون كان فى انتصاب يوم ثلثة اوجه احدها ان يكون منتصبا بالمصدر كانه وهم من ان يفزعوا يومئذ
آمنون والآخر ان يكون اليوم صفة لفزع لان اسماء الاحداث توصف باسماء الزمان كما يخبر عنها بها وفيه ذكر الموصوف وتقديره فى هذا

عشر

ع٤

الوجه ان يتعلق بمحذوف كانه من فزع يحدث يومئذ والثالث ان يتعلق باسم الفاعل كانه آمنون من فزع يومئذ ويجوز اذا نون
الفزع ان يعنى به فزعا واحدا ويجوز ان يعنى به كثرة لانه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وان كانت مفردة الالفاظ كقوله تعالى ان انكر
الاصوات لصوت الحمير وكذلك اذا اضاف فقال من فزع يومئذ او يومئذ يجوز ان يعنى به مفرد ويجوز ان يعنى به كثرة فاما القول فى
اعراب يوم وبنائه اذا اضيف الى اذ فقد ذكرنا فيما تقدم وحجة من قرا يعملون بالياء انه وعيد للمشركين وحجة التاء انه على معنى قل لهم ذلك
الاعراب وصف النهار بانه مبصر فيه وجهان احدهما ان معناه ذو ابصار كقولهم عيشة راضية اى ذات رضا وقول النابغة
كليني لهم يا اميمة ناصب اى ذى نصب والثانى انه يريك الاشياء كما يريها من يبصرها بالنور الذى يتجلى عنها وفيه قول ثالث انه مثل
قول جرير لقد لمتنا يا ام غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم اى بالذى ينام فيه فيكون مبصر بمعنى ما يبصر فيه المعنى
ثم بين سبحانه قدرته على الاعادة والبعث بما احتج به على الكفار فقال الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه عن التعب والحركات
والنهار مبصرا اى يبصر فيه ويمكن التصرف فيه لضيائه ويدرك بنوره جميع الاشخاص كما يدرك بنور النيران ان فى ذلك لايات اى دلالات
لقوم يؤمنون لان جعل الشئ لما يصلح له من الانتفاع انما يكون بالاختيار ولا يكون بالطباع ويوم ينفخ فى الصور منصوب بتقدير واذكر
يوم ينفخ اسرافيل بامر الله فى الصور وذلك اليوم الذى يقع عليهم القول بما ظلموا ويجوز ان يكون على حذف فى الكلام والتقدير ويوم
ينفخ فى الصور يكون النشاة الثانية واختلف فى معنى الصور فقيل هو صور الخلق جمع صورة عن الحسن وقتادة ويكون معناه ينفخ
الروح فى الصور فيبعثون وقيل هو قرن ينفخ فيه شبه البوق عن مجاهد وقد ورد ذلك فى الحديث ففزع من فى السموات ومن فى الارض
اى ماتوا لشدة الخوف والفزع يدل عليه قوله فى موضع آخر فصعق من فى السموات والارض الاية وقيل هى ثلث نفخات الاولى
نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين الا من شاء الله من الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم
وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل يعنى الشهداء فانهم لا يفزعون ذلك اليوم روى ذلك فى خبر مرفوع وكل من
الاحياء الذين ماتوا ثم احيوا اتوه اى ياتونه فى المحشر داخرين اى اذلاء صاغرين عن ابن عباس وقتادة وترى الجبال تحسبها جامدة
اى واقفة مكانها لا تسير ولا تتحرك فى مراى العين وهى تمر مر السحاب اى تسير سيرا حثيثا مثل سير السحاب عن ابن عباس ونظير هذا المعنى
قول النابغة الجعدى يصف جيشا بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج اى تحسب انهم وقوف من اجل
كثرتهم والتفافهم فكذلك المعنى فى الجبال انك لا ترى سيرها لبعد اطرافها كما لا ترى سير السحاب اذا انبسط لبعد اطرافه وذلك اذا
ازيلت الجبال عن اماكنها للتلاشى كما فى قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش صنع الله اى صنع الله ذلك صنعا وانتصب بما دل عليه
ما تقدمه من قوله وهى تمر مر السحاب وذكر اسم الله لانه لم يات ذكره فيما قبل وانما دل عليه الذى اتقن كل شئ اى خلق كل شئ على وجه الاتقان
والاحكام والاتساق قال قتادة اى احسن كل شئ خلقه وقيل الاتقان حسن فى اتساق انه خبير بما تفعلون اى عليم بما يفعل اعداؤه
من المعصية وبما يفعل اولياؤه من الطاعة ثم بين سبحانه كيفية الجزاء على افعال الفريقين فقال من جاء بالحسنة اى بكلمة
التوحيد والاخلاص عن قتادة وقيل بالايمان عن النخعى وكان يحلف ولا يستثنى ان الحسنة لا اله الا الله والمعنى من وافى
يوم القيمة بالايمان فله خير منها قال ابن عباس اى فمنها يصل الخير اليه والمعنى فله من تلك الحسنة خير يوم القيمة وهو الثواب
والامان من العقاب فخير هاهنا اسم وليس بالذى هو بمعنى الافضل وهو المروى عن الحسن وعكرمة وابن جريج قال عكرمة فاما
ان يكون خيرا من الايمان فلا فليس شئ خيرا من لا اله الا الله وقيل معناه فله افضل منها فى عظم النفع لانه يعطى بالحسنة عشرا عن زيد
بن اسلم ومحمد بن كعب وابن زيد وقيل لان الثواب فعل الله تعالى والطاعة فعل العبد وقيل هو رضوان الله تعم ورضوان من
الله اكبر وهم من فزع يومئذ آمنون قال الكلبى اذا اطبقت النار على اهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها واهل الجنة آمنون من
ذلك الفزع ومن جاء بالسيئة اى بالمعصية الكبيرة التى هى الكفر والشرك عن ابن عباس واكثر المفسرين فكبت وجوههم فى النار
اى القوا فى النار منكوسين هل تجزون الا ما كنتم تعملون يعنى ان هذا جزاء فعلكم وليس بظلم حدثنا السيد ابو الحمد مهدى بن نزار
الحسينى قال حدثنا الحاكم ابو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكانى قال اخبرنا محمد بن احمد بن محمد قال عبد العزيز بن يحيى بن احمد

قال

قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفضل قال حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني محمد بن زيد بن علي عن ابيه قال سمعت ابا جعفر عم
يقول دخل ابو عبد الله الجدلي على امير المؤمنين عم فقال له يا ابا عبد الله الا اخبرك بقول الله تعم من جاء بالحسنة الى قوله يعملون
قال بلى جعلت فداك قال الحسنة حبنا اهل البيت والسيئة بغضنا وحدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القسم
قال اخبرنا [illegible] سعيد بن محمد الحيري قال حدثنا جدي احمد بن اسحق الحيري قال حدثنا جعفر بن سهل قال حدثنا ابو زرعة
عثمان بن عبد الله القرشي قال حدثنا ابن لهيعة عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي لو ان امتي
صاموا حتى صاروا كالاوتاد وصلوا حتى صاروا كالحنايا ثم ابغضوك لاكبهم الله على مناخرهم في النار ثم قال سبحانه لنبيه قل
لهم انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعني مكة عن ابن عباس وقال ابو العالية هي منى الذي حرمها اي جعلها حرما آمنا
يحرم فيها ما يحل في غيرها لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقتص فيها وله كل شيء اي وهو مالك كل شيء مما احله وحرمه فيحرم
ما شاء ويحل ما شاء وامرت ان اكون من المسلمين اي من المخلصين لله بالتوحيد وان اتلو القرآن عليكم يا اهل مكة وادعوكم الى
ما فيه فمن اهتدى الى الحق والعمل بما فيه فانما يهتدي لنفسه لان ثواب ذلك وجزاءه يصل اليه دون غيره ومن ضل عنه وحاد
فلم يعمل بما فيه ولم يهتد الى الحق فقل له يا محمد انما انا من المنذرين الذين يخوفون بعقاب الله من معاصيه ويدعون الى طاعته ولا
اقدر على اكراههم على الايمان والدين وقل الحمد لله اعترافا بنعمته اذ اختارني لرسالته سيريكم آياته يوم القيمة فتعرفونها اي فتعرفون
انها على ما اخبرتم بها في الدنيا عن الحسن وقيل معناه آياته هي العذاب في الدنيا والقتل ببدر فتعرفونها اي تشاهدونها وقد رأوا ذلك
ثم عجلهم الله الى النار عن مقاتل وما ربك بغافل عما يعملون بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليها وانما يؤخر عقابكم الى وقت تقتضيه الحكمة
النظم وجه اتصال قوله انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة بما قبله انه سبحانه لما بين ان الامن من اهوال القيمة للمؤمن المحسن
فكان قائلا قال وما الحسنة وكيف العبادة فقال انما امرت سورة القصص مكية عدد آيها وهي ثمان وثمانون آية اختلافها
آيتان طسم كوفي يستضعف غير الكوفي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ طسم القصص اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض الا يشهد له يوم القيمة انه كان صادقا ان كل شيء هالك
الا وجهه تفسيرها لما امر الله سبحانه في خاتمة تلك السورة بتلاوة القرآن بين في هذه السورة ان القرآن من طسم وانه يتلوا
عليهم من نبأ موسى وفرعون قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم
يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
ستة آيات كوفي خمس في غيرهم القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم ويرى فرعون وهامان وجنودهما بالياء مفتوحة وفتح الراء وامالة
فتحها ورفع الاسماء الثلثة وبعدها والباقون ونري بالنون مضمومة وكسر الراء ونصب الياء وما بعده بالنصب الحجة قال ابو علي
حجة من قرأ بالنون ان ما قبله للمتكلم فينبغي ان يكون ما بعده ايضا كذلك ليكون الكلام من وجه واحد وحجة من قرأ بالياء ان فرعون
وجنوده يرون ذلك والمعلوم انهم يرونه اذا رأوه وهو قراءة الاعمش اللغة النبأ الخبر عما هو عظيم الشأن والشيع الفرق وكل شيعة
فرقة وسموا بذلك لان بعضهم يتابع بعضا والعرب تقول شاعكم السلم اي تبعكم وشيعه اتبعه والتمكين تكميل ما به الفعل الاعراب
قوله بالحق في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف وتقديره تلاوة كائنة بالحق ويجوز ان يكون الحق صفة
محذوف وتقديره بالامر الحق ويجوز ان يكون الجار والمجرور يتعلق بنتلوا ويستضعف في موضع نصب على الحال ويذبح حال بعد
حال ويجوز ان يكون حالا عن حال المعنى طسم تلك آيات الكتاب المبين اي المبين الرشد من الغي عن قتادة وقيل هو البين
الظاهر والآية مفسرة فيما مضى نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون اي طرفا من اخبارهما بالحق اي بالصدق والحقيقة لا ريب فيه
لقوم يؤمنون اي يصدقون بالله وبما انزل اليك ان فرعون علا في الارض اي بغى وتجبر وتعظم واستكبر في الارض مصر يقال علا علوا
اذا تجبر ومنه قوله لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وجعل اهلها شيعا اي فرقا قال قتادة فرق بين بني اسرائيل والقبط والمعنى

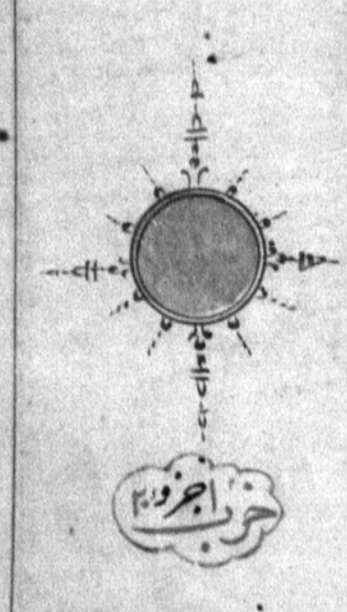
حس

يكرم اقواما ويذل آخرين بالاستعباد والاستعمال فى الاعمال الشاقه وقيل معناه جعل بنى اسرائيل اصنافا فى الخدمة والتسخير يستضعف
طايفة منهم يعنى بنى اسرائيل ثم فسر ذلك فقال يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم يقتل الابناء ويستبقى البنات فلا يقتلهن وذلك ان
بعض الكهنة قال له ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك على يده وقال السدى ان فرعون رأى فى منامه ان نارا
اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فسال علماء قومه فقالوا يخرج من هذا البلد
رجل يكون هلاك مصر على يده انه كان من المفسدين بالقتل والعمل بالمعاصى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ان فرعون
كان يريد اهلاك بنى اسرائيل وافناءهم ونحن نريد ان نمن عليهم ونجعلهم ائمة اى قادة ورؤساء فى الخير يقتدى بهم عن ابن عباس
وقيل نجعلهم ولاة وملوكا عن قتادة وهذا القول مثل الاول لان الذين جعلهم الله ملوكا فانهم ائمة ولا يضاف الى الله تعالى ملك من
يملك الناس عدوانا وظلما فقد قال سبحانه فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما والملك من الله تعالى هو الذى يجب
ان يطاع والائمة على هذا ملوك مقدسون فى الدين والدنيا يطا الناس اعقابهم ونجعلهم الوارثين لديار فرعون وقومه واموالهم وقد
صحت الرواية عن امير المؤمنين ع انه قال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها
وتلى عقيب ذلك ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الاية وقال سيد العابدين على بن الحسين ع والذى بعث محمدا بالحق
بشيرا ونذيرا ان الابرار منا اهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته وان عدونا واشياعهم بمنزلة فرعون واشياعه ونمكن لهم
فى الارض اى ونريد ان نمكن لبنى اسرائيل فى ارض مصر والتمكين هو فعل جميع ما لا يصح الفعل الا معه من القدرة والالة واللطف
وغير ذلك وقال على بن عيسى اللطف لا يدخل فى التمكين لانه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لا يكون ممكنا ولكنه من باب ازاحة العلة
ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم اى من بنى اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب الملك على يد رجل منهم قال الضحاك عاش فرعون
اربعمائة سنة وكان قصيرا دميما وهو اول من خضب بالسواد وعاش موسى ع مائة وعشرين سنة قوله تعالى واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرات فرعون قرت عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان
ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون واصبح فواد ام موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين اربع آيات القراءة
قرا اهل الكوفة غير عاصم وحزنا بضم الحاء وسكون الزاء والباقون حزنا بفتحهما وفى الشواذ قراءة الحسن وفضالة بن عبد الله فواد ام
موسى فزعا وقراءة ابن عباس قرعا بالقاف والراء وحكى قطرب عن بعضهم فزعا الحجة الحزن والحزن لغتان مثل البخل والبخل
والعرب والعرب والعجم والعجم واما قوله فزعا بالفاء والزاء فمعناه قلقا يكاد يخرج من غلافه واما قرعا فمعناه يرجع الى معنى
فارغ لان راس الاقرع يكون خاليا من الشعر واما فزغا فمعناه هدرا وباطلا قال فان يك اذواد اصبن ونسوة فلن يذهبوا فزغا
بقتل حبال وقوله فارغا معناه خاليا من الحزن لعلمها انه لا يغرق الاعراب مفعول خفت محذوف تقديره خفت عليه احدا قرة عين
لى ولك خبر مبتدا محذوف اى هو قرة عين قال الزجاج ويجوز على بعد ان يكون قرة عين مبتدا ويكون خبره لا تقتلوه وهم لا يشعرون
فى موضع نصب على الحال والعامل فيه ما يدل على هذه القصة والتقدير قالوا ما قالوه غير شاعرين المعنى ثم بين سبحانه كيف دبر فى
اهلاك فرعون وقومه منبها بذلك على كمال قدرته وحكمته فقال واوحينا الى ام موسى اى الهمناها وقذفنا فى قلبها وليس بوحى
نبوة عن قتادة وغيره وقيل اتاها جبرائيل ع بذلك عن مقاتل وقيل كان هذا الوحى مناما عبرها من تثق به من علماء بنى اسرائيل عن الجبائى
ان ارضعيه ما لم تخافى عليه الطلب فاذا خفت عليه القتل الذى امر به فرعون فى ابناء بنى اسرائيل فالقيه فى اليم اى فى البحر وهو النيل
ولا تخافى عليه ضيعة ولا تحزنى من فراقه انا رادوه اليك سالما عن قريب وجاعلوه من المرسلين الانبياء وفى هذه الاية وفى هذه
الاية امران ونهيان وخبران وبشارتان وحكى ان بعضهم سمع بدوية تنشد ابياتا فقال ما افصحك فقالت الفصاحة لله و
ذكرت هذه الاية وما فيها قال وهب بن منبه لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله
وذلك شىء ستره الله تعالى لما اراد ان يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى ولد فيها موسى ع فيها بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن

عشر

١٦٣

ان يفتش تفتيشا لم يفتشه قبل ذلك وحملت ام موسى بموسى فلم تنتأ بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها فكانت القوابل لا يعرضن
لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى عم ولدته امه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم واوحى الله اليها ان
ارضعيه الآية قال فكتمته امه ثلثة اشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ومهدت له فيه ثم
القته في البحر ليلا كما امرها الله تعم قال ابن عباس لما تقارب ولادة ام موسى وكانت قابلة من النساء اللاتي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل
مصافية لام موسى ع فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فعالجتها فلما ولد موسى رأت نورا بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخل حب
موسى عم في قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك الا ومن رأيي قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا ما وجدت حب شيء مثل حبه
فاحفظي ابنك فاني اراه هو عدونا فلما خرجت من عندها القابلة ابصرها العيون فجاؤا ليدخلوا على ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا
الحرس بالباب فلفت موسى عم في خرقة فوضعته في التنور مسجور ودخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا ام موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها
لبن فخرجوا من عندها وانطلقت الى الصبي وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما قال لما رأت الحاح فرعون في الطلب خافت
على ابنها فانطلقت الى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ان لي ابنا اخبأه في
التابوت وكرهت الكذب فلما اشترت التابوت وحملته انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر ام موسى فلم يطلق الكلام فرجع
واخذ في الحجر فانطلق لسانه فرجع ثانيا فلما انتهى اليهم اعتقل لسانه هكذا ثلث مرات فعلم ان ذلك امر الهي فالتقطه آل فرعون اي
اصابوه واخذوه من غير طلب ليكون لهم عدوا وحزنا اي ليكون لهم عاقبة امره كذلك لا انهم اخذوه لهذا كما يقال لمن كسب مالا
فادى ذلك الى الحتف والهلاك انما كسب فلان لحتفه وهو لم يطلب المال للحتف ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي
عاصين لربهم في ذلك وكانت القصة في ذلك ان النيل جاء بالتابوت الى الموضع الذي فيه فرعون وامرأته على شط النيل فامر
فرعون فاتى به وفتحت اسية بنت مزاحم بابه فلما نظرت اليه القى الله في قلبها محبة لموسى ع وكانت آسية بنت مزاحم امرأة من بني
اسرائيل استنكحها فرعون وهي من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت اما للمؤمنين ترحمهم وتتصدق عليهم ويدخلون عليها فلما
نظر فرعون الى موسى غاظه ذلك وقال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح قالت اسية وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة
وانما امرت ان يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك وذلك قوله وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك
لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وانما قالت ذلك لانه لم يكن له ولد فاطمعته في الولد قال ابن عباس ان اصحاب فرعون لما علموا
بموسى عم جاؤا ليقتلوه فمنعتهم وقالت لفرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه فقال فرعون قرة عين لك فاما لي فلا قال رسول الله
صلى الله عليه وآله والذي يحلف به لو اقر فرعون بان يكون له قرة عين كما اقرت امرأته لهداه الله به كما هديها ولكنه ابى للشقاء الذي
كتبه الله عليه وهم لا يشعرون اي لا يشعرون ان هلاكهم على يديه وقيل لا يشعرون ان هذا هو المطلوب الذي يطلبونه واصبح
فؤاد ام موسى فارغا اي خاليا من كل شيء الا من ذكر موسى اي صار فارغا له عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل فارغا من الحزن
لعلمها بانه ناج سكونا الى ما وعدها الله تعم به وقيل فارغا من الوحي الذي اوحي اليها بنسيانها فانها نسيت ما وعدها الله به
عن الحسن وابن زيد ان كادت لتبدي به معناه انها كادت تبدي بذكر موسى عم فتقول يا ابناه من شدة الغم والوجد عن ابن
عباس وقتادة والسدي وقيل معناه كادت تصيح على ابنها شفقة عليه من الغرق عن مقاتل وقيل معناه همت بان تقول انها
امه لما رأته عند دعاء فرعون اياها للارضاع لشدة سرورها به عن جعفر بن حرب وقيل معناه انها كادت تبدي بالوحي لولا ان
ربطنا على قلبها بالصبر واليقين والربط على القلب الهام الصبر وتقويته عن الزجاج وقيل معناه لولا ان قوينا قلبها بالعصمة والوحي و
جواب لولا محذوف والتقدير لولا ان ربطنا على قلبها لاظهرته لتكون من المؤمنين اي فعلنا ذلك لتكون من جملة المصدقين بوعدنا
الواثقين بوحينا وقولنا انا رادوه اليك **قوله تعالى** وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ
الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ



غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من
عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ه خمس ايات اللغة القص اتباع الاثر ومنه القصص
في الحديث لانه يتبع فيه الثاني الاول والقصاص اتباع الجاني في الاخذ بمثل جنايته في النفس وبصر به اذا ابصره لا يتعدى الا بحرف
الجر وراى يتعدى بنفسه ومعنى بصرت به عن جنب ابصرته عن جنابة اى بعد قال الاعشى اتيت حريثا زائرا عن جنابة وكان
حريث عن عطائي جامدا وقيل جنب صفة وقعت موقع الموصوف اى عن مكان جنب والمراضع جمع مرضعة والنصح اخلاص العمل
من شائب الفساد وهو نقيض الغش والوكز الدفع وقيل هو جمع الكف ومثله اللكز واللهز الاعراب عن جنب الجار والمجرور
في موضع نصب على الحال التقدير فبصرت به بعيدة وان جعلت جنبا صفة على تقدير عن مكان جنب فهو في موضع نصب بالظرف
مكان هذا من شيعته وهذا من عدوه جملتان في محل النصب لانهما صفة رجلين صفة بعد صفة المعنى ثم ذكر سبحانه لطف
صنعه في تسخيره لفرعون حتى تولى تربية موسى ع فقال وقالت يعني ام موسى لاخته يعني اخت موسى واسمها كلثمة عن الضحاك
قصيه اى اتبعي اثره وتعرفي خبره فبصرت به عن جنب في الكلام اختصار تقديره فذهبت اخت موسى ع فوجدت آل
فرعون اخرجوا التابوت واخرجوا موسى ع فبصرت به وهذا من الايجاز الدال على الاعجاز باللفظ القليل المغني عن المعنى الكثير
اى فرات اخاها موسى عن جنب اى عن بعد عن مجاهد وقيل عن جانب تنظر اليه كانها لا تريده عن قتادة وتقديره عن مكان جنب وهم
لا يشعرون اى وآل فرعون لا يشعرون انها اخته عن قتادة وقيل معناه وهم لا يشعرون انها جاءت متعرفة عن خبره ويمكن
ان يكون سبحانه انما كرر هذا القول تنبيها على ان فرعون لو كان الها لكان يشعر بهذه الامور وحرمنا عليه المراضع المعنى انه
لا يؤتى بمرضع فيقبلها وتاويله منعناه منه وبغضناهن اليه عن ابن عباس وقيل هو جمع مرضع بمعنى الرضاع اى منعناه من
الرضاع فهذا تحريم هناك نهيا عن الفعل ومثله قول امرئ القيس جالت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرؤ صرعي عليك حرام
اى صرعي ممتنع عليك فاني فارس امنعك من ذلك ويقال فلان حرم على نفسه كذا اى امتنع منه كما يمتنع بالنهي من قبل اى من
قبل مجيء اخته وقيل من قبل رده على امه فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهذا يدل على ان الله تعالى القى محبته في قلب
فرعون فلشدة محبته وغاية شفقته عليه طلب له المراضع وكان موسى ع لا يقبل ثدي واحدة منهن بعد ان اتاه مرضع بعد
مرضع فلما رات اخته وجدهم به وحبهم له ورقتهم قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اى يقبلون هذا الولد ويبذلون النصح
في امره ويحسنون تربيته ويضمنون لكم القيام بامره وهم له ناصحون يشفقون عليه وينصحونه وقيل انه لما قالت اخته ذلك قال
هامان ان هذه المراة تعرف ان هذا الولد من اى اهل بيت هو فقالت هي انما عنيت انهم ناصحون للملك فامسكوا عنها فرددناه
الى امه كي تقر عينها ولا تحزن يعني عين امه انطلقت اخت موسى الى امها فجاءت بها اليهم فلما وجد موسى ع ريح امه قبل ثديها و
سكن بكاؤه وقيل ان فرعون قال لامه كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت لاني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا
اكاد اوتى بصبي الا ارتضع مني فسر فرعون بذلك ولتعلم ان وعد الله حق اى اديه ما وعدها في الاية المتقدمة بقوله انا رادوه
اليك وجاعلوه من المرسلين ولكن اكثرهم لا يعلمون تحقيق ذلك الوعد كما علمت ولما بلغ اشده اى ثلثا وثلثين سنة واستوى اى
بلغ اربعين سنة عن مجاهد وقتادة وابن عباس اتيناه حكما وعلما اى فقها وعقلا وعلما بدينه ودين آبائه فعلم موسى ع وحكم قبل ان
يبعث نبيا وقيل نبوة وعلما عن السدي وكذلك نجزي المحسنين وهذه الاية مفسرة في سورة يوسف ع ودخل المدينة يريد مصر
وقيل مدينة منف من ارض مصر وقيل على فرسخين من مصر على حين غفلة من اهلها اراد به نصف النهار والناس قائلون عن سعيد
بن جبير وقيل ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن ابن عباس وقيل كان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلعبهم عن الحسن واختلفوا في سبب
دخوله المدينة في هذا الوقت على اقوال احدها انه كان موسى ع حين كبر يركب في مراكب فرعون فلما جاء ذات يوم قيل له ان
فرعون قد ركب فركب في اثره فلما كان وقت القايلة دخل المدينة ليقيل عن السدي والثاني ان بني اسرائيل كانوا يجتمعون الى
موسى ويستمعون كلامه ولما بلغ اشده خالف قوم فرعون فاشتهر ذلك منه واخافوه فكان لا يدخل مصر الا خائفا فدخلها على

هذا

حس

حين

حين غفلة عن ابن اسحق والثالث ان فرعون امر باخراجه من البلد فلم يدخل الا الآن عن ابن زيد فوجد فيها رجلين يقتتلان اى
يختصمان فى الدين عن الجبائى وقيل فى امر الدنيا هذا من شيعته وهذا من عدوه اى احدهما اسرائيلى والآخر قبطى يسخر الاسرائيلى ليحمل
حطبا الى مطبخ فرعون وقيل كان احدهما مسلما والآخر كافرا عن محمد بن اسحق فاستغاثه الذي من شيعته على الذى من عدوه
اى استنصره لينصره عليه وروى ابو بصير عن ابى عبد الله ع انه قال ليهنكم الاسم قال قلت وما الاسم قال الشيعة اما سمعت الله
سبحانه يقول فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى اى دفع فى صدره بجمع كفه عن مجاهد وقيل ضربه
بعصاه عن قتادة فقضى عليه اى فقتله وفرغ من امره قال هذا من عمل الشيطان اى سببه حتى هيج غضبى فضربته فهو من اغوائه
قال الحسن لم يكن يحل قتل الكافر يومئذ لان الحال كانت حال الكف عن القتال وقيل معناه ان الامر الذى وقع القتل بسببه من عمل
الشيطان اى حصل بوسوسة الشيطان وذكر المرتضى قدس الله روحه فيه وجهين آخرين احدهما انه اراد ان تزيين قتلى له وتركى لما ندبت
اليه من تاخيره وتفويتي ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان والآخر انه يريد ان عمل المقتول من عمل الشيطان يبين بذلك انه
مخالف لله تعالى مستحق للقتل ثم وصف الشيطان فقال انه عدو لبنى آدم مضل مبين ظاهر العداوة سوال قالوا ان هذا القتل
لا يخلو من ان يكون مستحقا او غير مستحق فان كان غير مستحق فالانبياء لا يجوز عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوة ولا بعدها وان كان
مستحقا فلا معنى لندمه عليه واستغفاره منه والجواب ان القتل انما وقع على سبيل تخليص المومن من يد من اراد ظلمه والبغى عليه
ودفع مكروهه عنه ولم يكن مقصودا فى نفسه وكل الم وقع على هذا الوجه فهو حسن غير قبيح سواء كان القائل مدافعا عن نفسه او عن
غيره وسنذكر الوجه فى استغفاره منه وندمه عليه قوله تعالى قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ
يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي
كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ
يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ خمس آيات اللغة الترقب الانتظار والاستصراخ
طلب الصراخ على العدو بما يدفعه عن الايقاع به والايتمار التشاور والارتياء قال ابن القوم وارتأ وا بعنى قال امرؤ القيس احار
ابن عمرو كانى خمر ويعدو على المرء ما يأتمر وقال النمر ارى الناس قد يحدثوا شيمه وفى كل حادثة يوتمر الاعراب بما انعمت على الباء للقسم
ويجوز ان يكون ما حرفا موصولا فالمعنى بانعامك على ويجوز ان يكون اسما موصولا والضمير العايد محذوف والتقدير الذى انعمته وجواب
القسم ان اكون والفاء لجواب القسم المقدر فى الموصول بالجملة الفعلية ان اراد ان يبطش ان الاولى زايدة وان الثانية مع صلتها
منصوبة الموضع بانها مفعول اراد انى لك من الناصحين لا يجوز ان يتعلق اللام فى ذلك بالناصحين لان الصلة لا تعمل فى ما قبل
الموصول وانما تتعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهر تقديره انى من الناصحين لك المعنى ثم حكى سبحانه ان موسى ع لما قتل القبطى
ندم على ذلك فقال رب انى ظلمت نفسى فى هذا القتل فانهم لو علموا بذلك لقتلونى وقال المرتضى قدس الله روحه انما قاله على
سبيل الانقطاع والرجوع الى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن حقوق نعمته او من حيث حرم نفسه الثواب المستحق بفعل الندب
فاغفر لى فغفر له معناه معنى قول آدم ع ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقبول الاستغفار والتوبة قد
يسمى غفرانا فغفر له انه هو الغفور لعباده الرحيم بهم المنعم عليهم قال موسى رب بما انعمت على اى بنعمتك على من المغفرة وصرف بلاء الاعداء
عنى فلن اكون ظهيرا للمجرمين المعنى فلك على ان لا اكون مظاهرا ومعينا للمشركين عن ابن عباس وفى هذا دلالة على ان مظاهرة
المجرمين جرم ومعصية ومظاهرة المؤمنين طاعة وانما ظاهر موسى ع من كان ظاهره الايمان وخالف من كان ظاهره الكفر وجاء
فى الاثر ان رجلا قال لعطا بن ابى رباح ان فلانا يكتب لفلان ولا يزيد على كتبة دخله وخرجه وان اخذ منه اجرا كان له غنى وان لم
ياخذ اشتد فقره وفقر عياله فقال عطا اما سمعت قول الرجل الصالح رب بما انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين فاصبح موسى فى
اليوم الثانى فى المدينة خائفا يترقب من قتل القبطى يترقب اى ينتظر الاخبار فى قتل القبطى عن ابن عباس يعنى انه خاف من فرعون

عشر

وقومه ان يكونوا عرفوا انه هو الذى قتل القبطى وكان يتجسس وينظر الاخبار فى شانه فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه معناه ان الاسرائيلى الذى كان قد خلصه بالامس ووكز القبطى من اجله يستصرخ موسى ويستعين به على رجل آخر من القبط خاصمه قال ابن عباس لما فشا امر القتيل قيل لفرعون ان بنى اسرائيل قتلت منا رجلا قال اتعرفون قاتله او من يشهد عليه قالوا لا فامرهم بطلبه فبينما هم يطوفون اذ مر موسى ع من الغد فراى ذلك الاسرائيلى يطلب نصرته ويستغيث به قال له موسى انك لغوى مبين اى ظاهر الغواية حيث قاتلت بالامس رجلا وتقاتل اليوم الآخر ولم يرد الغواية فى الدين والمراد ان من خاصم آل فرعون مع كثرتهم فانه غوى اى خايب فيما يطلبه عادل عن الصواب فيما يقصده فلما اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس معناه فلما اخذته الرقة على الاسرائيلى واراد ان يدفع القبطى الذى هو عدو لموسى وللاسرائيلى عنه ويبطش به اى يأخذه بشدة ظن الاسرائيلى ان موسى قصده لما قال له انك لغوى مبين قال اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس عن ابن عباس واكثر المفسرين وقال الحسن هو من قول القبطى لانه قد اشتهر امر القتل بالامس وانه قتله بعض بنى اسرائيل ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض اى ما تريد الا ان تكون عاليا فى الارض بالقتل والظلم قال عكرمة والشعبى لا يكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين بغير حق وما تريد ان تكون من المصلحين ولما قال الاسرائيلى ذلك علم القبطى ان القاتل موسى فانطلق الى فرعون واخبره فامر فرعون بقتل موسى وبعث فى طلبه وجاء رجل من اقصى المدينة اى آخرها فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم الى موسى يسعى اى يسرع فى المشى فاخبره بذلك وانذره وكان الرجل حزبيل مؤمن آل فرعون وهو ابن عم فرعون وقيل اسمه شمعون وقيل شمعان قال يا موسى ان الملأ اى الاشراف من آل فرعون يأتمرون بك اى يتشاورون فيك عن ابى عبيدة وقيل يأمر بعضهم بعضا ليقتلوك فاخرج من ارض مصر انى لك من الناصحين فى هذا المقال نصحته ونصحت له **قوله تعالى** فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ خمس آيات كوفى ست فى غيرهم القراءة قرأ ابو جعفر وابو عمرو وابن عامر حتى يصدر بفتح الياء وضم الدال والباقون يصدر بضم الياء وكسر الدال الحجة من قرا حتى يصدر الرعاء فمعناه حتى يرجعوا من سقيهم وفى التنزيل يصدر الناس اشتاتا ومن قرا حتى يصدر اراد حتى يصدروا مواشيهم من وردهم فحذف المفعول كما قال الشاعر لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات اى اجدا اللغة تلقاء الشئ حذاءه ويقال فعل ذلك من تلقاء نفسه اى من حذاء الى نفسه وسواء السبيل وسط الطريق قال الشاعر حتى اغيب فى سواء الملحد والذود الحبس ذاد شاته او ابله عن الشئ يذودها ذودا اى حبسها عنه بمنعها منه قال سويد بن كراع ابيت على باب القوافى كانما اذود بها سربا من الوحش نزعا قال الفراء لا يقال ذدت فى الناس وانما قال فى الابل والغنم وهذا ليس بشئ يدل عليه قول الكميت يصف بنى هاشم سادة ذادة عن الحرم البيض اذا اليوم كان كالايام والخطب الامر الذى فيه تفخيم ومنه الخُطبة والخِطبة والخطاب كل ذلك فيه معنى العظم وما خطبكما اى ما شأنكما قال الراجز يا عجبا ما خطبه وخطبى والرعاء جمع راع ويجمع على الرعيان والرعاة الاعراب تلقاء ظرف مكان لا نسقى اى لا نسقى الغنم للماء فحذف مفعولا لدلالة الكلام عليه وكذلك قوله فسقى لهما واللام فى قوله لما انزلت يتعلق بفقير تمشى فى موضع نصب على الحال من جاءت وقوله على استحياء فى موضع الحال ايضا من تمشى اى تمشى مستحيية ويجوز ان يكون حالا بعد حال قالت ان ابى يدعوك الجملة يجوز ان تكون بدلا من قوله فجاءته احديهما ويجوز ان يكون فى موضع الحال باضمار قد والعامل فيه جاءت او تمشى المعنى ثم بين سبحانه خروج موسى ع من مصر الى مدين فقال فخرج منها اى من مدينة فرعون خايفا من ان يطلب فيقتل يترقب الطلب قال رب نجنى من القوم الظالمين قال ابن عباس خرج موسى ع متوجها نحو مدين وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه قال رب نجنى من فرعون وقومه وقيل انه خرج بغير زاد ولا ماء ولا ظهر وكان لا ياكل الا من حشيش الصحراء حتى بلغ

خمس

ع ٥

ماء

مکمسین ولما توجه تلقاء مدین التوجه صرف الوجه الی جهة من الجهات وقولهم هذا المعنی یتوجه الی کذا ای هو کالطالب له
بصرف وجهه الیه قال الزجاج معناه ولما سلک فی الطریق الذی یلقی مدین فیها وهی علی مسیرة ثمانیة ایام من مصر نحو ما بین الکوفة
الی البصرة ولم یکن له بالطریق علم ولذلک قال عسی ربی ان یهدینی سوآء السبیل ای یرشدنی قصد الطریق الی مدین وقیل سوآء السبیل
وسطه المودی الی النجاة لان الاخذ یمینا وشمالا تباعد عن طریق الصواب وقیل انه لم یقصد طریقا بعینه ولکنه اخذ فی طریق مدین
وقال عکرمة عرضت لموسی اربعة طرق فلم یدر بایتها یسلک ولذلک قال عند استوآء الطرق له عسی ربی ان یهدینی سوآء السبیل فلما دعا
ربه استجاب له ودله علی الطریق المستقیم الی مدین وقیل جاءه ملک علی فرس بیده عنزة فانطلق به الی مدین وقیل انه خرج حافیا
ولم یصل الی مدین حتی وقع خف قدمیه عن سعید بن جبیر ولما ورد ماء مدین وهو بئر کانت لهم وجد علیه امة من الناس ای
جماعة من الرعاة یسقون مواشیهم من الماء البیر ووجد من دونهم امراتین تذودان ای تحبسان وتمنعان غنمهما من الورد الی
الماء عن السدی وقیل تذودان الناس عن مواشیهما عن قتادة وقیل تکفان الغنم عن ان تختلط باغنام الناس عن الحسن فترک
ذکر الغنم اختصارا قال موسی لهما ما خطبکما ای ما شانکما وما لکما لا تسقیان مع الناس عن ابن اسحق قالتا لا نسقی عند المزاحمة
مع الناس حتی یصدر الرعاء معناه ای حتی ینصرف الناس فانا لا نطیق السقی فننتظر فضول الماء فاذا انصرف الناس سقینا
مواشینا من فضول الحوض عن ابن عباس وقتادة وابونا شیخ کبیر لا یقدر ان یتولی السقی بنفسه من الکبر ولذلک احتجنا ونحن نساء
ان نسقی الغنم وانما قالتا ذلک تعریضا للطلب من موسی ان یعینهما علی السقی وقیل انما قالتا ذلک اعتذارا الی موسی فی الخروج
بغیر محرم فسقی لهما معناه فسقی موسی غنمهما الماء لاجلهما وهو انه زحم القوم عن الماء حتی اخرجهم عنه ثم سقی لهما عن ابن اسحق
وقیل رفع لاجلهما حجرا عن بئر کان لا یقدر علی رفع ذلک الحجر عنها الا عشرة رجال وسالهم ان یعطوه دلوا فناوه دلوه دلوا وقالوا
له انزح ان امکنک وکان لا ینزحها الا عشرة فنزحها وحده وسقی اغنامهما ولم یستق الا ذنوبا واحدا حتی رویت الغنم ثم تولی الی
الظل ای ثم انصرف الی ظل سمرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جایع فقال رب انی لما انزلت الی من خیر فقیر قال ابن عباس سال
نبی الله فلق خبز یقیم به صلبه وقال امیر المومنین علی ع والله ما ساله الا خبزا یاکله لانه کان یاکل بقلة الارض ولقد کانت
خضرة البقل تری من شفیف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه قال الاخفش یقال فقیر الیه وفقیر له قال ابن اسحق رجعتا
الی ابیهما فی ساعة کانتا لا ترجعان فیها فانکر شانهما وسالهما فاخبرتاه الخبر فقال لاحدیهما علی به فرجعت الکبری الی موسی ع
لتدعوه فذلک قوله فجاءته احدیهما تمشی علی استحیاء ای مستحییة معرضة کعادة النساء الخفرات وقیل اراد باستحیائها انها
غطت وجهها بکم درعها عن عمر بن الخطاب وقیل هو بعدها من النداء عن الحسن قال فوالله ما کانت ولاجة ولا خراجة ولکنها
کانت من الخفرات اللاتی لا یحسن المشی بین ایدی الرجال والکلام معهم وقیل اراد انها کانت تمشی عادلة عن الطریق قالت ان
ابی یدعوک لیجزیک اجر ما سقیت لنا ای لیکافیک علی سقیک لغنمنا واکثر المفسرین علی ان اباها شعیب ع وقال وهب وسعید
بن جبیر هو یثرون ابن اخی شعیب وکان شعیب مات قبل ذلک بعد ما کف بصره ودفن بین المقام وزمزم وقیل یثرون وقیل هو
اسم شعیب لان شعیبا اسم عربی قال ابو حازم لما قالت له لیجزیک اجر ما سقیت لنا کره ذلک موسی واراد ان لا یتبعها ولم یجد بدا ان
یتبعها لانه کان فی ارض مسبعة وخوف فخرج معها وکانت الریح تضرب ثوبها فتصف لموسی عجزها فجعل موسی ع یعرض عنها مرة ویغض
اخری فنادیها یا امة کونی خلفی وارینی السمت بقولک فلما دخل علی شعیب ع اذا هو بالعشاء مهیا فقال له شعیب ع اجلس یا شاب
فتعش فقال له موسی اعوذ بالله قال شعیب ع ولم ذاک الست بجایع قال بلی ولکن اخاف ان یکون هذا عوضا لما سقیت لهما
وانا من اهل بیت لا نبیع شیئا من عمل الاخرة بملء الارض ذهبا فقال له شعیب لا والله یا شاب ولکنها عادتی وعادة آبائی نقری الضیف
ونطعم الطعام قال فجلس موسی ع یاکل وذلک قوله فلما جاءه وقص علیه القصص ای فلما جاء موسی شعیبا وقص علیه امره اجمع من
قتل القبطی وانهم یطلبونه لیقتلوه قال له شعیب لا تخف نجوت من القوم الظالمین یعنی فرعون وقومه فلا سلطان له بارضنا و
لسنا فی مملکته **قوله تعالی** قالت احدیهما یا ابت استاجره ان خیر من استاجرت القوی الامین قال انی ارید ان انکحک احدی

ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين
قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من
جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من
شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين خمس آيات القراءة قرا عاصم او جذوة بفتح الجيم
وقرا حمزة وخلف جذوة بضم الجيم والباقون جذوة بالكسر وفي الشواذ قراءة الحسن ايما الاجلين بتخفيف الياء وسكونها الحجة
في الجذوة ثلث لغات على حسب القراءة الثلث واما ايما فهي لغة قال الفرزدق تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي مع الغيث استهلت
مواطره اللغة الجذوة القطعة الغليظة من الحطب فيها النار وجمعها جذى قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير
خوار ولا دعر وشاطئ الوادي جانبه وهو الشط والجمع الشواطئ الاعراب هاتين صفة لابنتي ثماني حجج ظرف زمان ذلك بيني وبينك
ذلك مبتدأ وخبره بيني وبينك ومعناه ما شرطت علي فلك وما شرطت لي فلي كذلك الامر بيننا عن الزجاج اي في معنى الجزاء فهي
منصوبة بقضيت وما زائدة مؤكدة وجوابه فلا عدوان على ان يا موسى ان في موضع نصب وهي مخففة من الثقيلة تقديره نودي بانه
يا موسى وبانه الق عصاك المعنى ثم ذكر سبحانه امر موسى في مدين وانه اجر نفسه فقال قالت احديهما اي احدى ابنتيه واسمها صفورا
وهي التي تزوج بها واسم الاخرى ليا وقيل ان اسم الكبرى صفرا واسم الاخرى صفيرا يا ابت استأجره اي اتخذه اجيرا ان خير من استأجرت القوي
الامين اي خير من استعملت من قوي على العمل وادى الامانة قال عمر بن الخطاب لما قالت المرأة هذا قال شعيب وما علمك بامانته وقوته
قالت اما قوته فانه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا وكذا واما امانته فانه قال لي امشي خلفي فاني اكره ان تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك
وقيل القوي في نزعه الحجر من البئر وكان لا يستطيعه الا النفر والامين في غض طرفه عنهما حين سقى لهما فصدرتا وقد عرفتا قوته وامانته
فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه قال اني اريد ان انكحك اي ازوجك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني
حجج اي على ان تكون اجيرا لي ثماني سنين فان اتممت عشرا فمن عندك اي ذلك تفضل منك وليس بواجب عليك وقيل معناه على
ان تجعل جزائي وثوابي اياك على ان انكحك ابنتي على ان تعمل لي ثماني سنين فزوجه ابنته بمهر واستأجره للرعي ولم يجعل ذلك مهرا وانما
شرط ذلك عليه وهذا على وفق مذهب ابي حنيفة والاول اصح واوفق لظاهر الآية وما اريد ان اشق عليك في هذه الثماني حجج وان
اكلفك خدمة سوى رعي الغنم وقيل ما اشق عليك بان آخذك باتمام عشر سنين ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن
الصحبة والوفاء بالعهد وانما علق الصلاح بمشية الله تعالى لان مراده ان شاء الله تبقيني فمن الجائز ان يخترمه الله ولا يفعل الصلاح
الدنيوي الذي يريده وحكى يحيى بن سلام انه جعل لموسى ع كل سخلة توضع على خلاف شية امها فاوحى الله الى موسى ع في المنام ان الق
العصى في الماء ففعل فولدت كلهن على خلاف شية امهاتهن وقيل انه وعده ان يعطيه من نتاج غنمه تلك السنة كل ادرع
وانها نتجت كلها درعا وروى الحسين بن سعيد عن صفوان عن ابي عبد الله ع قال سئل ايتها التي قالت ان ابي يدعوك قال التي
تزوج بها قيل فاي الاجلين قضى قال اوفاهما وابعدهما عشر سنين قيل فدخل بها قبل ان يمضي الشرط او بعد انقضائه قال قبل ان
ينقضي قيل له فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لابيها اجارة شهرين ايجوز ذلك قال ان موسى ع علم انه سيتم له شرطه قيل كيف قال علم انه
سيبقى حتى يفي قال موسى ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي وصفت وشرطت علي فلك وما شرطت لي من تزويج احديهما فلي وتم
الكلام ثم قال ايما الاجلين من الثماني والعشر قضيت اي اتممت وفرغت منه فلا عدوان علي اي لا ظلم علي بان اكلف اكثر منهما وطالب
بالزيادة عليها والله على ما نقول وكيل اي شهيد فيما بيني وبينك عن ابن عباس فلما قضى موسى الاجل روى الواحدي بالاسناد عن
ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله اي الاجلين قضى موسى ع قال اوفاهما وابطاهما وبالاسناد عن ابي ذر قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه وآله اذا سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما وان سئلت اي المرأتين تزوج فقل الصغرى
منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استأجره وقال وهب تزوج الكبرى منهما وفي الكلام حذف وايجاز وهو فلما قضى الاجل وتسلم
زوجته ثم توجه نحو الشام وسار باهله آنس من جانب الطور نارا وقيل انه لما زوجها منه امر الشيخ ان يعطي موسى عصى يدفع السباع بها

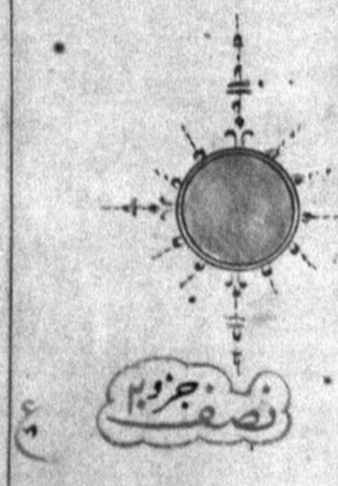
فاعطى العصى وقد ذكرنا حديث العصى فى سورة الاعراف وقيل خرج آدم ع بالعصى من الجنة فاخذها جبرائيل ع بعد موت ادم وكانت
معه حتى لقى بها موسى ليلا فدفعها اليه عن عكرمه وقيل لم تزل الانبياء يتوارثونها حتى وصلت الى شعيب ع فاعطاها موسى ع و
كانت عصى الانبياء عنده وروى عبد الله بن سنان قال سمعت اباعبد الله ع يقول كانت عصى موسى ع قضيب آس من الجنة
آتيه بها جبرائيل ع لما توجه تلقاء مدين وقال السدى كانت تلك العصى استودعها شعيبا ملك فى صورة رجل فامر ابنته ان تاتيه
بعصى فدخلت واخذت العصى واتته بها فلما رآها الشيخ قال لا آتيه بغيرها فالقتها وارادت ان تاخذ غيرها فكان لا يقع فى
يدها الا هى ففعلت ذلك مرارا فاعطاها موسى ع وقوله وسار باهله قيل انه مكث بعد انقضاء الاجل عند صهره عشرا اخرى
فاقام عنده عشرين سنه ثم استاذنه فى العود الى مصر ليزور والدته واخاه فاذن له فسار باهله عن مجاهد وقيل انه لما قضى
العشر سار باهله اى بامراته وباولاد الغنم التى كانت له وكانت قطيعا فاخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامراته فى شهرها
فسار فى البرية غير عارف بالطريق فالجاه المسير الى جانب الطور الايمن فى ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امراته الطلق وضل
الطريق وتفرقت ماشيته واصابه المطر فبقى لا يدرى اين يتوجه فبينا هو كذلك آنس من جانب الطور نارا وروى ابو بصير عن ابى
جعفر ع قال لما قضى الاجل وسار باهله نحو بيت المقدس اخطا الطريق فراى نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى
آتيكم منها بخبر اى بخبر من الطريق الذى اريد قصده وهل انا على صوبه او منحرف عنه وقيل بخبر من النار هل هى لخير نانس به
او لشر نحذره او جذوة من النار اى قطعة من النار وقيل باصل شجرة فيها نار لعلكم تصطلون اى تستدفئون بها فلما اتيها نودى من
شاطئ الوادى الايمن اى نودى موسى من الجانب الايمن فى البقعة المباركة وهى البقعة التى قال الله تعالى فيها لموسى اخلع
نعليك انك بالوادى المقدس طوى وانما كانت مباركة لانها معدن الوحى والرسالة وكلام الله تعالى وقيل مباركة لكثرة الاشجار
والثمار والخير والنعم بها والاول اصح من الشجرة انما سمع موسى ع النداء والكلام من الشجرة لان الله تعالى فعل الكلام فيها وجعل
الشجرة محل الكلام لان الكلام عرض يحتاج الى محل وعلم موسى بالمعجز ان ذلك كلام الله تعالى وهذا على منازل الانبياء اعنى ان
يسمعوا كلام الله من غير واسطه ومبلغ وكان كلامه سبحانه ان يا موسى انى انا الله رب العالمين اى ان المكلم لك هو الله مالك
العالمين وخالق الخلايق اجمعين تعالى وتقدس عن ان يحل فى محل او يكون فى مكان لانه ليس بعرض ولا جسم قوله تعالى
وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ۝ اُسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ
تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي
قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ
لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ۝ خمس آيات القراءة قرا اهل الحجاز والبصرة من الرهب بفتح الراء و
الهاء وقرا حفص عن الرهب بفتح الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء وقرا اهل البصرة وابن كثير فذانك بالتشديد
والباقون بالتخفيف وقرا ابوجعفر ونافع ردا بغير همز والباقون بالهمز وقرا عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع والباقون يصدقنى بالجزم
وفى الشواذ قراءة الحسن عضدك الحجة الرهب والرهب لغتان مثل الرشد والرشد والرهب والرهب مثل الشمع والشمع
والنهر والنهر وقوله فذانك قد مضى القول فيه فيما تقدم وقال الزجاج التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك جعل اللام
بدلا فى ذلك تشديد النون ومن قرا ردا فانه خفف الهمزة وذلك حكم الهمزة اذا خففتها وكان قبلها ساكن ان يحذف ويلقى حركتها
على الساكن قبلها ومن قرا يصدقنى بالرفع جعله صفة للنكرة وتقديره ردءا مصدقا ومن قرا بالجزم على معنى الجزاء اى ان ارسلته
يصدقنى وفى عضد خمس لغات عَضُد وعَضْد وعُضُد وعُضْد وعِضْد وافصحها عَضُد مثل رجل الاعراب قوله الى فرعون يتعلق بما
يتعلق به من من قوله برهانان من ربك ويجوز ان يتعلق بمحذوف كما تقدم ذكره فى قوله فى تسع آيات الى فرعون وهرون عطف بيان
او بدل ردا نصب على الحال والباء فى قوله باياتنا يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يتعلق بيصلون والثانى ان يتعلق بنجعل والثالث ان
يتعلق بقوله الغالبون المعنى ثم بين سبحانه تمام قصة موسى ع فقال وان الق عصاك انما اعاد سبحانه هذه القصة وكررها فى السور

تقريرا للحجة على اهل الكتاب واستمالتهم به الى الحق ومن احب شيئا احب ذكره والقوم كانوا يدعون محبة موسى وكل من ادعى اتباع
سيده مال الى من ذكره بالفضل على ان كل موضع من مواضع التكرار لا يخلو من زيادة فايده وههنا حذف تقديره فالقيها من يده
فانقلبت باذن الله تعالى ثعبانا عظيما تهتز كانها جان فى سرعة حركاتها وشدة اهتزازها فلما راها تهتز اى تتحرك كانها جان ولى
موسى مدبرا ولم يعقب اى لم يرجع الى ذلك الموضع فنودى يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من ضررها وفى انقلاب العصا حية
دلالة على ان الجواهر متماثلة وانها من جنس واحد لانه لا حال ابعد من حال الحيوان من حال الخشب وما يجرى مجرى ذلك من
الجماد فاذا صح قلب الخشب الى حال الحيوان صح ايضا قلب الابيض الى حال الاسود اسلك يدك فى جيبك اى ادخلها فيه تخرج
بيضاء من غير سوء اى من غير برص واضمم اليك جناحك من الرهب اى اضمم يدك الى صدرك من الخوف فلا خوف عليك عن ابن
عباس ومجاهد والمعنى ان الله سبحانه امره ان يضم يده الى صدره فيذهب ما اصابه من الخوف عند معاينة الحية وقيل امره سبحانه بالعزم
على ما اراده منه وحضه على الجد فيه لئلا يمنعه الخوف الذى يغشاه فى بعض الاحوال مما امر بالمضى فيه وليس يريد بقوله اضمم
يدك للضم المزيل الفرجة بين الشيئين عن ابى على الفارسى قال وهذا كما ان اشدد فى قوله اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك ليس
يراد به الشد الذى هو الربط والمراد به تاهب للموت واستعد للقائه حتى لا تهاب لقائه ولا تجزع من وقوعه وقد جاء ذكر اليدين فى مواضع
يراد بها جملة ذى اليد فمن ذلك قولهم لبيك وخير بين يديك ومنه قوله تعالى بما قدمت يداك وفى المثل يداك اوكتا وفوك نفخ ولعله
يقال هذا عند تقريع الجملة وقال ابو عبيدة جناحا الرجل يداه وقال غيره الجناح هنا العضد ويدل على قولهم ان العضد قد يقام مقام
الجملة فى مثل قوله سنشد عضدك باخيك وقد جاء المفرد ويراد به التثنية قال يداك يد احديهما الجود كله وراحتك الاخرى طعان
تغامره والمعنى يداك بدلالة قوله احديهما فعلى هذا يجوز ان يراد بالافراد فى قوله واضمم اليك جناحك التثنية وقيل انه لما
القى العصا وصارت حية بسط يديه كالمتقى وهما جناحاه فقيل له اضمم اليك جناحك اى ما بسطته من يديك والمعنى لا تبسط
يديك خوف الحية فانك آمن من ضررها ويجوز ان يكون معناه اسكن ولا تخف فان من هاله امر ازعجه حتى كانه يطير واكثر الطيران
بالجناح فكانه قد بلغ نهاية الخوف فقيل له ضم منشور جناحك من الخوف واسكن وقيل معناه اذا هالك امر يدك لما تبصر من شعاعها
فاضممها اليك لتسكن فذانك برهانان من ربك معناه فاليد والعصا حجتان من ربك على نبوتك الى فرعون وملائه اى ارسلناك
الى فرعون وملائه بهاتين الآيتين الباهرتين انهم كانوا قوما فاسقين اى خارجين من طاعة الله الى اعظم المعاصى وهو الكفر قال
موسى رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بتلك النفس واخى هرون هو افصح منى لسانا وانما قال ذلك لعقدة كانت
فى لسانه قد مر فيما مضى ذكر سببها وقد كان الله سبحانه ازال اكثرها او جميعها بدعائه فارسله معى ردءا اى معينا لى على تبليغ رسالتك
يقال فلان ردء لفلان اذا كان ينصره ويشد ظهره يصدقنى انى اخاف ان يكذبون اى مصدقا لى على ما اوديه من الرسالة وقد جرت منه
فالمعنى انك ان ترسله معى يصدقنى وانما كان سوآله ذلك بعد ان اذن له فيه لان الانسان لا يعلم ان المصلحة فى ارسال نبيين
واحدا او اثنين الا بالوحى وقال مقاتل معناه لكى يصدقنى فرعون قال سنشد عضدك باخيك هذه استعارة لطيفة والمعنى
سنجعله رسولا معك ونؤيدك بان نقرنه اليك فى النبوة وننصرك به ونجعل لكما سلطانا اى حجة وقوة وبرهانا فلا يصلون
اليكما باياتنا اى لا يصل فرعون وقومه الى الاضرار بكما بسبب ما نعطيكما من الآيات وما نجرى على ايديكما من المعجزات فيخافكما فرعون
وقومه لاجلها وقيل ان قوله باياتنا موضعه التقديم اى ونجعل من المعجزات لكما سلطانا باياتنا فلا يصلون اليكما ثم اخبر ان الغلبة
لهما عليهم فقال انتما ومن اتبعكما الغالبون على فرعون وقومه القاهرون لهم وهذه الغلبة لهما عليهم غير السلطان فان السلطان
بالحجة والغلبة بالقهر حين ملك فرعون وقومه ديارهم وروى عن ابى جعفر ع فى حديث طويل قال فلما رجع موسى ع الى امرأته
قالت من اين جئت قال من عند رب تلك النار قال فغدا الى فرعون فوالله لكانى انظر اليه طويل الباع ذو شعر آدم عليه جبة من
صوف عصاه فى كفه مربوط حقوه بشريط نعله من جلد حمار شراكها من ليف فقيل لفرعون ان على الباب فتى يزعم انه رسول رب
العالمين فقال فرعون لصاحب الاسد خل سلاسلها وكان اذا غضب على احد خلاها فقطعته فخلاها فقرع موسى ع الباب الاول

وكانت تسعة ابواب فلما قرع الباب الاول انفتحت له الابواب التسعة فلما دخل جعلن يبصبصن بين رجليه كانهن جراء فقال
فرعون لجلسائه رأيتم مثل هذا قط فلما اقبل اليه فقال الم نربك فينا وليدا الى قوله وانا من الضالين فقال فرعون لرجل من اصحابه
قم فخذ بيده وقال للآخر اضرب عنقه فضرب جبرائيل ع بالسيف حتى قتل ستة من اصحابه فقال خلوا عنه قال فاخرج يده فاذا
هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه والقى العصى فاذا هي حية فالتقمت الايوان بلحييها فدعاه ان يا موسى اقلني الى غد
ثم كان من امره ما كان قوله تعالى فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا ايها الملأ
ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين
واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين سبع ايات القراءة قرأ ابن كثير قال موسى
بغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون وقال بالواو وقرأ اهل الكوفة غير عاصم من يكون بالياء والباقون بالتاء
وقرأ نافع واهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا يرجعون بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الجيم الحجة قال ابو علي قد مضى القول في
يكون فيما قبل وكذلك في نحو الياء والتاء من يكون وكلاهما حسن وكذلك قد مضى فيما تقدم القول في يرجعون ويرجعون اللغة
الصرح البناء العالي كالقصر واصله من الظهور فالتصريح شدة ظهور المعنى قال بهن نعام بناها الرجال تحسب اعلامهن الصروحا
والنبذ الالقاء والطرح والشيء منبوذ قال ابو الاسود نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا والقبح الابعاد قبحه
الله اى ابعده يقبحه قبحا اذا جعله قبيحا وقيل قبحه فهو مقبوح اهلكه الاعراب بينات نصب على الحال ما سمعنا بهذا يحتمل ان تكون
الباء زائدة ويحتمل ان تكون على اصلها وقوله بغير الحق الجار والمجرور في موضع نصب على الحال والتقدير واستكبر هو وجنوده
مبطلين ويدعون صفة لائمة ويوم القيمة ظرف لفعل يدل عليه قوله من المقبوحين على تقدير قبحوا يوم القيمة لان الصلة لا تعمل فيما
قبل الموصول والالف واللام في المقبوحين موصول وتقديره الذين قبحوا المعنى ثم قال سبحانه فلما جاءهم موسى التقدير فمضى
موسى الى فرعون وقومه فلما جاءهم باياتنا بحججنا البينات ومعجزاتنا الظاهرات قالوا ما هذا الا سحر مفترى اى مختلق مفتعل
لم يبن على اصل صحيح لانه حيلة توهم خلاف الحقيقة فوصفوا الآيات بالسحر والاختلاق على هذا المعنى جهلا منهم وذهابا عن
الصواب وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين اى لم نسمع ما تدعيه وتدعوا اليه في آبائنا الذين كانوا قبلنا وانما قالوا ذلك مع اشتهار
قصة نوح وهود وصالح وغيرهم من النبيين الذين دعوا الى توحيد الله واخلاص عبادته لاحد امرين اما للفترة التي دخلت بين
الوقتين والزمان الطويل واما لان اباءهم ما صدقوا بشيء من ذلك ولا دانوا به فيكون المعنى ما سمعنا باباءنا انهم صدقوا الرسل
فيما جاءوا به ووجه شبهتهم في ذلك انهم قالوا انهم الكبراء فلو كان حقا لادركوه فانه لا يجوز ان يدرك الحق الانقص في الراى
والعقل ولا يدركه الافضل وهذا غلط لان طريقة الاستدلال لا يمتنع ان يصيبها الادون في الراى اذا سلك طريقه ولا يصيبه
الاجل في الراى اذا لم يسلك طريقه وقال موسى ع مجيبا لهم ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار
معناه ربي يعلم اني جئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده فهو شاهد لي على ذلك ان كذبتموني ويعلم ان العاقبة الحميدة
لنا ولاهل الحق والانصاف وهذا كما يقال على سبيل المظاهرة الله اعلم بالمحق منا والمبطل وحجتي ظاهرة فانكرها ان قدرت على ذلك
انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوز بالخير من ظلم نفسه وعصى ربه وكفر نعمه وقال فرعون منكرا لما اتى به موسى من آيات الله لما اعياه الجواب
وعجز عن محاجته يا ايها الملأ يريد اشراف قومه ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين اى فاجج النار على الطين واتخذ
الاجر وقيل انه اول من اتخذ الاجر وبنى به عن قتادة فاجعل لي صرحا اى قصرا وبناء عاليا لعلي اطلع الى اله موسى اى اصعد اليه
واشرف عليه واقف على حاله وهذا تلبيس من فرعون وايهام على العوام ان الذي يدعوا اليه موسى يجري مجراه في الحاجة الى المكان والجهة
واني لاظنه من الكاذبين في ادعائه الها غيري وانه رسوله واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق اى رفع فرعون وجنوده انفسهم

فى الارض فوق مقدارها بالباطل والظلم وانفوا وتعظموا عن قبول الحق فى اتباع موسى وظنوا انهم الينا لا يرجعون اى انكروا البعث وشكوا فيه فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم اى فالقيناهم وطرحناهم فى البحر واهلكناهم بالغرق وعنى باليم نيل مصر وقيل بحر وراء مصر يقال له اساف غرقهم الله فيه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين اى تفكر وتدبر وانظر بعين قلبك كيف اخرجناهم من ديارهم واغرقناهم وجعلناهم ائمة يدعون الى النار وهذا يحتاج الى تأويل لان ظاهره يوجب انه تعالى جعلهم ائمة يدعون الى النار كما جعل الانبياء ائمة يدعون الى الجنة وهذا ما يقول به احد فالمعنى انه اخبر عن حالهم بذلك وحكم بانهم كذلك وقد تحصل الاضافة على هذا الوجه بالتعارف ويجوز ان يكون اراد بذلك انه لما اظهر حالهم على لسان انبيائه حتى عرفوا فكانه جعلهم كذلك و معنى دعائهم الى النار انهم يدعون الى الافعال التى يستحق بها دخول النار من الكفر والمعاصى ويوم القيمة لا ينصرون اى لا ينصر بعضهم بعضا ولا ينصرهم غيرهم يوم القيمة كما كانوا يتناصرون فى الدنيا واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة اى اردفناهم لعنة بعد لعنة وهى البعد عن الرحمة والخيرات وقيل معناه الزمناهم اللعنة فى هذه الدنيا بان امرنا المؤمنين تلعنهم فلعنوهم عن ابى عبيدة ويوم القيمة هم من المقبوحين اى من المهلكين عن الاخفش وقيل من المشوهين فى الخلقة بسواد الوجوه وزرقة الاعين عن الكلبى عن ابن عباس وقيل من المبعدين الملعونين المفضوحين قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون * وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين * ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين * وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون * ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين * فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون * قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين * فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين * ثمانى آيات القراءة قرأ اهل الكوفة سحران بغير الف والباقون ساحران بالالف الحجة قال ابو على حجة من قال سحران انه قال تظاهرا اى المظاهرة المعاونة فى التنزيل وان يظاهروا عليه والمعاونة فى الحقيقة انما تكون للساحرين لا للسحرين والوجه فى قوله سحران انه نسب المعاونة الى السحرين على الاتساع كان كل سحر منهما يقوى الآخر الاعراب قال الزجاج قوله بصائر حال اى آتيناه الكتاب مبينا وانزل فيه انه بدل من الكتاب فان المعرفة يجوز ان يبدل منها النكرة والبصائر فى معنى الحجج ولا يصح معنى الحال فيها اذ لو كان فعلا محضا لا اثر فيه للفعل وقوله اذ قضينا ظرف للمحذوف الذى يتعلق به الباء فى قوله بجانب الغربى فتنادى اجله منصوبة الموضع على الحال ولكن رحمة رحمة منصوبة مفعول لها تقديره ولكنا اوحينا اليك رحمة اى للرحمة كما تقول فعلت ذلك ابتغاء الخير لولا ان تصيبهم مصيبة لولا هذه هى التى معناها امتناع الشئ لوجود غيره وان تصيبهم مبتداء وجواب لولا محذوف تقديره لم يحتج الى ارسال الرسل ولولا الثانية فى قوله فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا هى التى معناها التحضيض بمعنى هلا بغير هدى الجار والمجرور فى موضع نصب على الحال المعنى ثم ذكر سبحانه من اخبار موسى عم ما فيه الدلالة على معجز نبينا صلى الله عليه وآله فقال ولقد آتينا موسى الكتاب يعنى التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اى الجموع التى كانت قبله من الكفار مثل قوم نوح وعاد وثمود ويجوز ان يريد بالقرون قوم فرعون لانه سبحانه اعطاه التورية بعد اهلاكهم بمدة بصائر للناس اى حججا وبراهين للناس وعبرا يعرفون بها امر دينهم وادلة يستدلون بها فى احكام شريعتهم وهدى اى دلالة لمن يتبعه يهتدى بها ورحمة لمن آمن به لعلهم يتذكرون اى يتعظون ويعتبرون وجاءت الرواية بالاسناد عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله قال ما اهلك الله قوما ولا قرنا ولا امة ولا اهل قرية بعذاب من السماء منذ انزل الله التورية على وجه الارض غير اهل القرية الذين مسخوا قردة الم تر ان الله تعالى قال ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس الآية وما كنت بجانب الغربى اى ما كنت يا محمد حاضرا بجانب الجبل الغربى اى فى جانب الغربى من الجبل الذى كلم الله فيه موسى عن قتادة والسدى وقيل بجانب الوادى الغربى عن ابن عباس والكلبى اذ قضينا الى موسى الامر

ای عهدنا الیه واحکمنا الامر معه بالرسالة الی فرعون وقومه وقیل معناه اخبرناه بامرنا ونهینا وقیل اراد کلامه معه فی وصف
نبینا صلی الله علیه وآله ونبوته وما کنت من الشاهدین ای الحاضرین لذلک الامر وبذلک المکان فتخبر قومک عن مشاهدة وعیان
ولکنا اخبرناک به لیکون معجزا لک ولکنا انشأنا قرونا فتطاول علیهم العمر ای خلقناه قرنا بعد قرن فطال عهدهم بالمهلکین
قبلهم وفترت النبوة فحملهم ذلک علی الاعتذار وانکروا نعمة الله رسلهم لجهلهم بامر الرسل فارسلناک رسولا وجعلناک رحمة
للناس کما جعلنا موسی رحمة لا یتم الکلام الا بهذا التقدیر وقیل ان المعنی خلقنا خلقا کثیرا عهدنا الیهم فی نعتک وصفتک وامرنا الاول
بالابلاغ الی الناس الی الثانی فامتد بهم الزمان فنسوا عهدنا الیهم فیک وما کنت ثاویا فی اهل مدین تتلوا علیهم آیاتنا معناه ما کنت
مقیما فی قوم شعیب تتلوا علیهم آیاتنا قال مقاتل معناه ولم تشهد اهل مدین فتقرا علی اهل مکة خبرهم ولکنا کنا مرسلین ارسلناک الی اهل
مکة وانزلنا علیک هذه الاخبار ولولا ذلک لما علمتها قال الزجاج المعنی انک لم تشاهد قصص الانبیاء ولا تلیت علیک ولکنا اوحیناها
الیک وقصصناها علیک حتی تخبر قومک بها فیدل ذلک علی صحة نبوتک وقیل معناه انک لم تشاهد احساننا فی ارسال الرسل
ونصب الآیات وانزال الکتب بالبیان والهدی وهذا کما یقال لم تری ای شیء کان هناک تفخیما للامر ولولا الوحی لما علمت من ذلک
ما علمت ولم تهتد له وما کنت بجانب الطور اذ نادینا ای ولم تکن حاضرا بناحیة الجبل الذی کلمنا علیه موسی وناديناه یا موسی
خذ الکتاب بقوة وقیل اراد بذلک المرة الثانیة التی کلم الله فیها موسی حین اختار من قومه سبعین رجلا لیسمعوا کلام الله
تعالی ولکن رحمة من ربک ای ولکن الله تعالی اعلمک ذلک وعرفک ایاه نعمة من ربک انعم بها علیک وهو ان ابعثک نبیا واختارک
لایتاء العلم بذلک معجزا لک لتنذر قوما ما اتاهم من نذیر من قبلک ای لتنذر العرب الذین لم یأتهم رسول قبلک لعلهم یتذکرون
ای لکی یتفکروا ویعتبروا وینزعوا عن المعاصی وفی هذا دلالة علی وجوب فعل اللطف فان الانذار والدعوة لطف من الله تعالی
مؤثر فی القبول ومقرب منه ولولا ان تصیبهم مصیبة بما قدمت ایدیهم فیقولوا ربنا لولا ارسلت الینا رسولا فنتبع آیاتک ونکون من
المؤمنین معناه لولا ان لهم ان یحتجوا اذا اصابتهم عقوبة بان یقولوا هلا ارسلت الینا رسولا یدعونا الی ما یجب الایمان به فنتبع الرسول
ونأخذ بشریعته ونصدق به لما ارسلنا الرسل ولکنا ارسلنا رسلا لنقطع حجتهم وهو فی معنی قوله لئلا یکون للناس علی الله حجة بعد
الرسل وقیل ان جواب لولا محذوف ای لعجلنا لهم العقوبة وقیل المراد بالمصیبة هنا عذاب الاستیصال وقیل عذاب الدنیا والآخرة عن
ابی مسلم فلما جاءهم الحق من عندنا ای محمد والقرآن والاسلام قالوا لولا اوتی ای هلا اعطی محمد مثل ما اوتی موسی من فلق البحر والید
البیضاء والعصا وقیل معناه هلا اوتی کتابا جملة واحدة وانما قاله الیهود او قریش بتعلیم الیهود فاحتج الله علیهم بقوله اولم یکفروا بما
اوتی موسی من قبل ای فقد کفروا بآیات موسی کما کفروا بآیات محمد وقالوا سحران تظاهرا یعنون التوریة والقرآن عن عکرمة والکلبی
ومقاتل ومن قرأ ساحران فمعناه انهم قالوا تظاهر موسی ومحمد عن ابن عباس وقالوا انا بکل کافرون من التوریة والفرقان قال
الکلبی وکانت مقالتهم هذه حین بعثوا الرهط منهم الی رؤس الیهود بالمدینة فی عید لهم فسألوهم عن محمد فاخبروهم بنعته وصفته
فی کتابهم التوریة فرجع الرهط الی قریش واخبروهم بقول الیهود فقالوا عند ذلک سحران تظاهرا قل فأتوا بکتاب من عند الله هو
اهدی منهما اتبعه ان کنتم صادقین معناه قل یا محمد للکفار قومک فأتوا بکتاب من عند الله هو اهدی من التوریة والقرآن حتی
اتبعه ان صدقتم فی ان التوریة والقرآن سحران وقیل معناه فأتوا بکتاب من عند الله یؤمن معه التکذیب ای لم یکذب به طایفة
من الناس ثم قال لنبیه عم فان لم یستجیبوا لک ای فان لم یأتوا بمثل التوریة والقرآن وقیل فان لم یستجیبوا لک الی الایمان مع ظهور
الحق فاعلم انما یتبعون اهواءهم ای ما یمیل الیه طباعهم لان الهوی میل الطبع الی المشتهی قال الزجاج ای فاعلم ان ما رکبوه من الکفر لا
حجة لهم فیه وانما آثروا فیه الهوی ثم ذمهم فقال ومن اضل ممن اتبع هویه بغیر هدی من الله ای لا احد اضل ممن یتبع هویه بغیر رشاد
ولا بیان جاءه من الله ان الله لا یهدی القوم الظالمین ای طریق الجنة وقیل معناه لا یحکم بهدایتهم وقیل انهم اذا لم یهتدوا بهدی الله
فکانه لم یهدهم قوله تعالی وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ
وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ



خمس

السيئة ومما رزقناهم ينفقون * واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين

خمس آيات اللغة اصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض قال امرؤ القيس درير كخذروف الوليد امره تتابع كفيه بخيط موصل اى موصول بعضه ببعض وهو في الكلام ان يصير بعضه يلي بعضا والدرء الدفع النزول نزل قوله الذين آتيناهم الكتاب وما بعده في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وفي سلمان الفارسي فانهم لما اسلموا نزلت فيهم الآيات عن قتادة وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل الانجيل كانوا مسلمين بالنبي صلى الله عليه وآله قبل مبعثه اثنان وثلثون من الحبشة اقبلوا مع جعفر بن ابي طالب وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام منهم بحيرا الراهب وابرهة والاشرف وعامر وايمن وادريس ونافع وتميم المعنى ثم بين سبحانه صفة القرآن فقال ولقد وصلنا لهم القول اى فصلنا لهم القول وبينا عن ابن عباس ومعناه آتينا باية بعد آية وبيان بعد بيان واخبرناهم باخبار الانبياء والمهلكين من الامم لعلهم يتذكرون اى ليتذكروا ويتفكروا فيعلموا الحق ويحظوا الذين آتيناهم الكتاب من قبلهم اى من قبل محمد هم به اى بمحمد يؤمنون لانهم وجدوا صفته في التورية وقيل معناه من قبل القرآن وهم بالقرآن يصدقون فالمراد بالكتاب التورية والانجيل يعني الذين اوتوا الكتاب واذا يتلى القرآن عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله اى من قبل نزوله مسلمين به وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وآله والقرآن كان مكتوبا عندهم في التورية والانجيل فهؤلاء لم يعاندوا ثم اثنى الله سبحانه عليهم فقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا اى بتمسكهم بدينهم حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وآله فامنوا به وقيل بايمانهم به وقيل بما صبروا على الكتاب الاول وعلى الكتاب الثاني وايمانهم بما فيهما عن قتادة وقيل بما صبروا على دينهم وعلى اذى الكفار وتحمل المشاق ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يدفعون بالحسن من الكلام الكلام القبيح الذي يسمعونه من الكفار وقيل يدفعون بالمعروف المنكر عن سعيد بن جبير وقيل يدفعون بالحلم جهل الجاهل عن يحيى بن سلام ومعناه يدفعون بالمداراة مع الناس اذاهم عن انفسهم وروي مثل ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام ومما رزقناهم ينفقون مر معناه واذا سمعوا اللغو اى السفه من الناس والقبيح من القول والهزء الذي لا فائدة فيه اعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى لا نسأل نحن عن اعمالكم ولا تسألون عن اعمالنا بل كل منا يجازى على عمله وقيل معناه لنا ديننا ولكم دينكم وقيل لنا حلمنا ولكم سفهكم سلام عليكم اى امان منا لكم اى لا نقابل لغوكم بمثله وقيل هي كلمة حلم واحتمال بين المؤمنين والكافرين وهي كلمة تحية بين المؤمنين عن الحسن لا نبتغي الجاهلين اى لا نطلب مجالستهم ومعاونتهم وانما نبتغي الحكماء والعلماء وقيل معناه لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه عن مقاتل وقيل لا نبتغي دين الجاهلين ولا نحبه عن الكلبي

قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين * وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون * وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين * وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون * وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون

عشر ٦٠

خمس آيات القراءة قرأ اهل المدينة ويعقوب وسهل يجبى بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابو عمرو افلا تعقلون بالياء والتاء كيف شئت والباقون بالتاء الحجة قال ابو علي تانيث ثمرات تانيث جمع وليس بتانيث حقيقي فيكون بمنزلة الوعظ والموعظة والصوت والصيحة اذا ذكرت جاز واذا انثت جاز ووجه من قرأ افلا تعقلون بالتاء قوله فما اوتيتم والياء على افلا يعقلون يا محمد اللغة التخطف اخذ الشيء على وجه الاستلاب من كل وجه يقال تخطفه تخطفا واختطفه اختطافا وخطفه يخطفه خطفا قال امرؤ القيس تخطف خزان الانيعم بالضحى وقد جحرت منها ثعالب اوورال يجبى من جبيت الماء في الحوض اى جمعته والجابية الحوض والبطر الطغيان عند النعمة قال ابن الاعرابي البطر سوء احتمال الغنى وقيل ان اصله من قولهم ذهب دمه بطرا اى باطلا عن الكسائي وقيل هو ان يتكبر عند الحق فلا يقبله الاعراب رزقا مصدر وضع موضع الحال تقديره يجبى اليه ثمرات كل شيء مرزوقا ويجوز ان يكون مصدر فعل محذوف تقديره نرزق رزقا ويجوز ان يكون مصدرا من معنى قوله يجبى اليه الثمرات لانه في معنى نرزق فيكون مثل قولهم حمدته شكرا ويجوز ان يكون مفعولا له وقوله من لدنا في موضع نصب على الصفة بقوله رزقا وكم اهلكنا اى كثيرا من القرى اهلكنا فكم في موضع نصب باهلكنا ومن قرية في موضع

نصب

نصب باهلكنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز لان كم الخبرية اذا فصل بينها وبين مميزها بكلام نصب كما ينصب كم الاستفهامية
معيشتها انتصب بقوله بطرت وتقديره في معيشتها فحذف الجار فانتصى الفعل فتلك مساكنهم مبتدأ وخبر لم تسكن في موضع نصب
على الحال والعامل فيه معنى الاشارة في تلك قليلا صفة مصدر محذوف تقديره الا سكونا قليلا او صفة ظرف تقديره وقتا او زمانا قليلا
النزول قيل نزل قوله انك لا تهدي من احببت في ابي طالب فان النبي صلى الله عليه وآله كان يحب اسلامه فنزلت هذه الآية
وكان يكره اسلام وحشي قاتل حمزة فنزل فيه يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فلم يسلم ابو طالب واسلم
وحشي ورووا قاتل حمزة ذلك عن ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما ترى فان النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز ان يخالف الله سبحانه في ارادته
كما لا يجوز ان يخالفه في اوامره ونواهيه واذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد ايمان ابي طالب واراد كفره على ما يزعم واراد النبي صلعم
ايمانه فقد حصل غاية الخلاف بين الرسول والمرسل فكانه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم انك يا محمد تريد ايمانه ولا اريد ايمانه ولا
اخلق فيه الايمان مع تكفله بنصرتك وبذل مجهوده في اعانتك والذب عنك ومحبته لك ونعمته عليك وتكره انت ايمان وحشي
لقتله عمك حمزة وانا اريد ايمانه واخلق فيه قلبه الايمان وفي هذا ما فيه وقد ذكرنا في سورة الانعام ان اهل البيت عليهم السلم قد اجمعوا
على ان ابا طالب مات مسلما وتظاهرت الروايات بذلك عنهم واوردنا هناك طرفا من اشعاره الدالة على تصديقه للنبي صلعم وتوحيده
فان استيفاء جميعه لا يتسع له الطوامير وما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها اكثر من ان يحصى يكاشف فيها من كاشف
النبي صلى الله عليه وآله ويناضل عنه ويصحح نبوته وقال بعض الثقات ان قصايده في هذا المعنى التي تنفث في عقد السحر وتغير في
وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلد واكثر هذا ولا شك في انه لم يختر تمام مجاهرة الاعداء استصلاحا لهم وحسن تدبير في دفع
كيدهم لئلا يلجئوا الرسول الى ما الجأوه اليه بعد موته المعنى لما تقدم ذكر الرسول والقرآن وانه انزل هدى للخلق بين سبحانه انه
ليس عليه الاهتداء وانما عليه البلاغ والاداء فقال انك يا محمد لا تهدي من احببت هدايته وقيل من احببته لقرابته والمراد بالهداية
هنا اللطف الذي يختار عنده الايمان فانه لا يقدر عليه الا الله تعالى لانه اما ان يكون من فعله خاصة او باعلامه ولا يعلم ما يصلح
المرء في دينه الا الله تعالى فان الهداية التي هي الدعوة والبيان قد اضافها سبحانه اليه في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقيل
ان المراد بالآية الاجبار على الاهتداء اي انت لا تقدر على ذلك وقيل معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحق ولكن الله
يهدي من يشاء بلطفه وقيل على وجه الاجبار وهو اعلم بالمهتدين اي القابلين للهدى فيدبر الامور على ما يعلمه من صلاح
العباد ثم قال سبحانه حاكيا عن الكفار وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اي نستلب من ارضنا يعني ارض مكة والحرم قيل
انما قاله الحرث بن نوفل بن عبد مناف فانه قال للنبي صلى الله عليه وآله انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا ان نتبع الهدى معك
ونؤمن بك مخافة ان يتخطفنا العرب من ارضنا ولا طاقة لنا بالعرب فقال الله سبحانه رادا عليه هذا القول اولم نمكن لهم حرما
آمنا اي اولم نجعل لهم مكة في امن وامان قبل هذا وقد تغاضر الناس عنهم حتى كانوا يأمنون فيه فكيف يخافون بعد الآية افلا
نقدر على دفع ضرر الناس عنهم لو آمنوا بك بل حالة الايمان والطاعة اولى بالامن والسلامة من الكفر يجبى اليه ثمرات كل شيء اي
يجمع اليه ثمرات كل ارض وبلد رزقا من لدنا اي عطاء من عندنا جاريا عليهم ولكن اكثرهم لا يعلمون ما انعمنا به عليهم وقيل لا يعلمون
الله ولا يعبدونه فيعلموا ما يفوتهم من الثواب وكم اهلكنا من قرية اي من اهل قرية بطرت معيشتها اي في معيشتها بان اعرضت
عن الشكر وتكبرت والمعنى اعطيناهم المعيشة الواسعة فلم يعرفوا حق النعمة وكفروا فاهلكناهم فتلك مساكنهم لم تسكن من
بعدهم الا قليلا تلك اشارة الى ما يعرفونه هم من ديار عاد وثمود وقوم لوط اي صارت مساكنهم خاوية خالية عن اهلها وهي قريبة
منكم فان ديار عاد انما كانت بالاحقاف وهو موضع بين اليمن والشام وديار ثمود بوادي القرى وديار قوم لوط بسدوم وكانوا هم
يمرون بهذه المواضع في تجاراتهم وكنا نحن الوارثين اي المالكين لديارهم لم يخلفهم احد فيها ثم خاطب سبحانه نبيه صلعم وآله
فقال وما كان ربك يا محمد مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا قيل ان يعني امها ام القرى وهي مكة وقيل يريد معظم القرى من ساير الدنيا
يتلو عليهم آياتنا اي يقرأ عليهم حججنا وبيناتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون لنفوسهم بالكفر والطغيان والعتو والعصيان

ثم خاطب سبحانه خلقه فقال وما اوتيتم من شئ اى وما اعطيتموه من شئ فمتاع الحيوة الدنيا اى هو شئ يتمتعون به فى الحيوة الدنيا
ويتزينون به وما عند الله من الثواب ونعيم الآخرة خير من هذه النعم وابقى لانها فانيه ونعم الآخرة باقيه افلا يعقلون ذلك و
يتفكرون فيه حتى يميزوا بين الفانى والباقى قوله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا
ثم هو يوم القيمة من المحضرين ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هولاء
الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا
العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ست آيات
اللغة المتعه المنفعة وقد فرق بينهما بان المتعة منفعة توجب الالتذاذ فى الحال والمنفعة قد تكون بالم تؤدى عاقبته الى نفع
فكل متعة منفعة وليس كل منفعة متعة والاحضار ايجاد ما به يكون الشئ بحيث يشاهد والزعم القول فى الامر على ظن او علم ولذلك
دخل فى باب علمت واخواتها قال فان تزعمينى كنت اجهل فيكم فانى شريت الحلم عندك بالجهل النزول نزل قوله افمن وعدناه الآية فى
رسول الله صلى الله عليه وآله وفى ابى جهل وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وعلى بن ابى طالب وفى ابى جهل عن محمد بن كعب والسدى
وقيل نزل فى عمار وفى الوليد بن المغيرة والاولى ان يكون عاما فيمن كان بهذه الصفة المعنى لما تقدم ذكر ما اوتوا من الحيوة الدنيا عقبه
سبحانه بالفرق بين من اوتى نعيم الدنيا وبين من اوتى نعيم الآخرة فقال افمن وعدناه وعدا حسنا من ثواب الجنة ونعيمها جزاء على طاعاته
فهو لاقيه اى فهو واصل اليه ومدركه لا محاله كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا من الاموال وغيرها ثم هو يوم القيمة من المحضرين للجزاء
والعقاب وقيل من المحضرين فى النار والمعنى ان يكون حال هذا كحال ذاك اى لا يكون حالهما سواء لان نعم الدنيا مشوبة بالغموم
ومعرض الزوال والفناء ونعم الآخرة خالصه صافيه دائمة لا تتكدر بالشوب ولا تنتقص بالانقضاء ويوم يناديهم اى واذكر يوم
ينادى الله الكفار وهو يوم القيمة وهذا نداء تبكيت وتقريع فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم شركائى فى الالهية وتعبدونهم
وتدعون انهم ينفعونكم قال الذين حق عليهم القول اى حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين والذين اغووا الخلق من الانس
ربنا هولاء الذين اغوينا يعنون اتباعهم اغويناهم كما غوينا اى اضللناهم عن الدين بدعائنا اياهم الى الضلال كما ضللنا نحن
بانفسنا تبرأنا اليك منهم ومن الذين زينوا لهم عبادتنا وقيل افعالهم قال الزجاج برئ بعضهم من بعض وصاروا اعداء كما قال سبحانه
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ما كانوا ايانا يعبدون اى لم يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادتنا
وقيل معناه لم يعبدونا باستحقاق ولا بحجه وقيل ادعوا شركاءكم اى ويقال للاتباع ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله وزعمتم انهم
شركائى لينصروكم ويدفعوا عنكم عذاب الله وانما اضاف الشركاء اليهم لانه لا يجوز ان يكون لله شريك ولكنهم كانوا يزعمون انها شركاء
الله بعبادتهم اياهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اى فيدعونهم فلا يجيبونهم الى ملتمسهم وراوا العذاب اى ويرون العذاب لو انهم كانوا
يهتدون جواب لو محذوف تقديره لو انهم كانوا يهتدون لما اتبعوهم لما راوا العذاب عن الزجاج وقيل معناه لو انهم كانوا يهتدون
لما راوا العذاب اى لاعتقدوا ان العذاب حق وهذا القول اولى لدلالة الكلام على المحذوف ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين اى ما كان جوابكم لهم لدلالة الكلام على المحذوف لمن ارسل اليكم من النبيين وهذا سوال تقرير بالذنب وهو نداء يجمع العلم
والعمل معا فان الرسل يدعون الى العلم والعمل جميعا فكانه قيل لهم ماذا علمتم فعميت عليهم الانباء يومئذ اى خفيت واشتبهت
عليهم طرق الجواب يومئذ فصاروا كالعمى لانسداد طرق الاخبار عليهم كما تنسد طرق الارض على العمى وقيل معناه فالتبست عليهم
الحجج عن مجاهد وسميت حججهم انباء لانها اخبار يخبر بها انهم لا يحتجون ولا ينطقون بحجة لان الله تعالى ادحض حجتهم واكل السنتهم
فسكتوا فذلك قوله فهم لا يتساءلون اى لا يسال بعضهم بعضا عن الحجج وقيل لا يسئل بعضهم بعضا عن العذر الذى يعتذر به فى الجواب
فلا يجيبون وقيل معناه لا يتساءلون بالانساب والقرابة كما فى الدنيا وقيل لا يسئل بعضهم بعضا عن حاله لشغله بنفسه عن الجبائى
وقيل لا يسال بعضهم بعضا ان يحمل ذنوبه عنه عن الحسن قوله تعالى فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو

١٤١

حزب عشر

له الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون اربع آيات المعنى ثم ذكر سبحانه التايب ورغب فى التوبة بعد التخويف فقال
فاما من تاب اى رجع عن المعاصى والكفر وآمن وعمل صالحا اى واضاف الى ايمانه الاعمال الصالحة فعسى ان يكون من المفلحين وانما
اتى بلفظة عسى مع انه مقطوع بفلاحه لانه على رجاء ان يدوم على ذلك فيفلح وقد يجوز ان يزل فيما بعد ذلك فيهلك على انه قد قيل ان عسى من الله
سبحانه لفظة وجوب فى جميع القرآن ولما كان المفلح مختار الله تعالى ذكر عقيبه ان الاختيار الى الله سبحانه والخلق والحكم له لكونه قادرا عالما
على الكمال فقال وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة الخيرة اسم من الاختيار اقيم مقام المصدر والخيرة اسم للمختار ايضا يقال
محمد خيرة الله من خلقه ويجوز التخفيف فيهما واختلف فى الآية وتقديرها على قولين احدهما ان معناه وربك يخلق ما يشاء من
الخلق ويختار تدبيره عباده على ما هو الاصلح لهم ويختار للرسالة من هو الاصلح لعباده ثم قال ما كان لهم الخيرة اى وليس لهم الاختيار
على الله بل لله الخيرة عليهم وعلى هذا يكون ما نفيا ويكون الوقف على قوله ويختار وفيه رد على المشركين الذين قالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم فاختاروا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى من الطايف والآخر ان يكون ما فى الآية بمعنى
الذى اى ويختار ما كان لهم الخيرة فيه فيكون الوقف عند قوله ما كان لهم الخيرة وهذا ايضا فى معنى الاول لان حقيقة المعنى فيهما
انه سبحانه يختار واليه الاختيار ليس لمن دونه الاختيار لان الاختيار يجب ان يكون على العلم باحوال المختار ولا يعلم غيره سبحانه
[...] المختار ولان الاختيار هو اخذ الخير وكيف ياخذ الخير من الاشياء من لا يعلم الخير فيها سبحان الله وتعالى عما يشركون اى تنزه وتقدس
عن ان يكون له شريك فى خلقه واختياره ثم اكد سبحانه البرهان على صحة اختياره بقوله وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
اى وربك يعلم ما يخفونه وما يظهرونه فاليه الاختيار وفى هذا دلالة على ان من لا يعلم السر والجهر فلا اختيار له ثم اكد سبحانه ذلك
بقوله فقال وهو الله لا اله الا هو لا يستحق العبادة سواه له الحمد فى الاولى والآخرة اى له الثناء والمدح والتعظيم على ما انعم به على خلقه
فى الدنيا والعقبى وله الحكم بينهم بما يميز به الحق من الباطل قال ابن عباس يحكم لاهل طاعته بالمغفرة والفضل ولاهل معصيته بالشقاء
والويل واليه اى والى جزائه وحكمه ترجعون **قوله تعالى** قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ
يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ
وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ خمس آيات المعنى ثم بين سبحانه
ما يدل على توحيده فقال لنبيه صلى الله عليه وآله قل يا محمد لاهل مكة الذين عبدوا معه آلهة تنبيها لهم على خطائهم ارايتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا اى دايما الى يوم القيمة لا يكون معه نهار من اله غير الله ياتيكم بضياء كضياء النهار تتصرفون فيه فانهم لا يقدرون على الجواب عن
ذلك الا بانه لا يقدر على ذلك سوى الله فح تلزمهم الحجة بانه لا يستحق العبادة غيره افلا تسمعون اى افلا تقبلون ما وعظتم به وقيل افلا
تسمعون ما بينه الله لكم من ادلته وتتفكرون فيه قل يا محمد لهم ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا اى دايما الى يوم القيمة لا يكون
معه ليل من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه اى تستريحون فيه من الحركة والنصب افلا تبصرون اى افلا تعلمون من البصيرة وقيل
افلا تشاهدون الليل والنهار وتتدبرون فيهما فتعلموا انهما من صنع مدبر حكيم ثم قال ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اى ومن
نعمته عليكم واحسانه اليكم اى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اى فى الليل ولتبتغوا من فضله اى فى النهار ولعلكم تشكرون نعم الله
فى تصريف الليل والنهار وفى ساير انواع النعم ويوم يناديهم فيقول اين شركاى الذين كنتم تزعمون مضى تفسيره وانما كرر ذلك النداء
للمشركين باين شركائى تقريعا لهم بعد تقريع وقيل لان النداء الاول لتقرير اقرارهم على انفسهم بالغى الذى كانوا عليه ودعوا اليه والثانى
للتعجيز عن اقامة البرهان على ما طولبوا به بحضرة الاشهاد ونزعنا من كل امة شهيدا اى واخرجنا من كل امة من الامم رسولها الذى يشهد عليهم
بالتبليغ وبما كان منهم عن مجاهد وقتادة وقيل هم عدول الآخرة ولا يخلو كل زمان منهم يشهدون على الناس بما عملوا فقلنا هاتوا برهانكم
اى حجتكم على صحة ما ذهبتم اليه فعلموا ان الحق لله اى فبهتوا وتحيروا ولما لم يكن لهم حجة يقيمونها وعلموا يقينا ان الحق ما انزله الله وان
الحجة لله ولرسوله فلزمتهم الحجة لان المشهود عليه اذا لم يتخلص من بينة الخصم توجهت القضية عليه ولزمته الحجة وضل عنهم اى ذهب عنهم

خمس ١٠

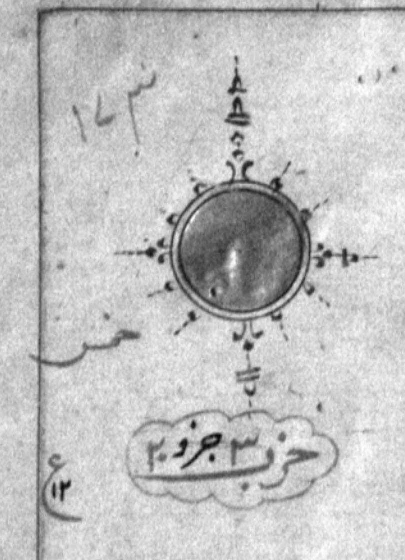
ما كانوا يفترون من الكذب وبطل ما عبدوه من دون الله تعالى النظم انما اتصلت هذه الآيات بما قبلها بانه جرى ذكر معبودي الكفار فلم
لم يغنوا من الله شيئا عقبه سبحانه بانه وصف نفسه بانه المنعم المالك للنفع والضر وقيل لما تقدم ان الحمد لله سبحانه في الدارين ذكر عقيبه ما
يوجب الحمد من النعم السابغة وقيل يتصل بقوله يخلق ما يشاء ويختار اى ويختار لعباده ما هو الاصلح لهم والانفع **قوله تعالى** ان قارون كان
من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب
المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل
عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة
ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون سبع آيات القراءة قرأ حفص عن عاصم ويعقوب وسهل لخسف
بفتح الخاء والسين وقراءة الحسن والاعرج وشيبة ومجاهد والباقون لخسف بضم الخاء وكسر السين وقرأ يعقوب ويك يقف عليها ثم يبتدى
فيقول انه الحجة قال ابو علي من قرأ لخسف بنا بفتح الخاء فلتقدم ذكر الله تعالى ومن قرأ بضم الخاء فبنى الفعل للمفعول به فانه يؤول الى الاول في
المعنى وقال ابن جني في ويكأنه ثلاثة اقوال منهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على وي ومنهم من قال ويك وهو مذهب ابي الحسن والوجه فيه
عندنا هو قول الخليل وسيبويه وهو ان وي اسم سمي به الفعل في الخبر فكانه اسم اعجب ثم ابتدأ فقال كانه لا يفلح الكافرون وكان الله يبسط
الرزق لمن يشاء فوي منفصلة من كان وعليه بيت الكتاب سالتاني الطلاق ان راتاني قل مالي قد جئتماني بنكر وي كان من يكن له نشب
يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر ومما جاءت فيه كان عارية من معنى التشبيه ما انشدناه ابو علي كانني حين امسي لا تكلمني متيم يشتهي
ما ليس موجودا اي انا حين امسي متيم من حالي كذا ومن قال انها ويك فكانه قال اعجب لانه لا يفلح الكافرون واعجب ان الله يبسط الرزق
وهو قول ابي الحسن وينبغي ان يكون الكاف هنا حرف خطاب بمنزلة الكاف في ذلك واولئك ويشهد لهذا قول عنترة ولقد شفى نفسي
واذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر اقدم وقول من قال ويكانه كلمة واحدة انما يريد به انه لا يفصل بعضه عن بعض اللغة البغي
طلب العلو بغير حق ومنه قيل لولاة الجور بغاة والكنز جمع المال بعضه على بعض وصار بالعرف عبارة عما يخبأ تحت الارض ولا يطلق
في الشرع اسم الكنز الا على مال لا تخرج زكوته للوعيد الذي جاء فيه والمفاتح جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح ومعناهما واحد وهو عبارة
عما يفتح به الاغلاق وناء بحمله ينوء نوءا اذا نهض به مع ثقله عليه ومنه اخذت الانواء لانها تنهض من المشرق على ثقل نهوضها وقال
ابو زيد ناءني الحمل اذا اثقلني والعصبة الجماعة الملتف بعضها ببعض يقال ناءت المفاتح بالعصبة واناءت العصبة بمعنى كما يقال ذهبت به
واذهبته بالباء والهمزة يتعاقبان في تعدي الفعل قال سبحانه فاجاءها المخاض اي جاء بها وقال ابو عبيدة هذا من المقلوب ومعنى
قوله لتنوء بالعصبة تنوء العصبة بها كما قال الشاعر ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره معناه يحلى بالعين فقلب وقال آخر كانت
عقوبة ما جنيت كما كان الزناء عقوبة الرجم وقال امرؤ القيس يضيء الكلام وجهها لضجيعها كمصباح زيت في قناديل ذبال اي في ذبال
قناديل وهذا غير صحيح ولا يجوز ان يحمل القرآن عليه لانه يجري مجرى الغلط من العرب ومثل ذلك في شعرهم كثير قال غداة احلت لابن
صرمة طعنة حصين عبيطات السدائف والخمر والعبيطات مفعوله والطعنة فاعله فقلب ومن اغلاطهم قول الراجز به لم تعرف
المرقفا ولم تذق من البقول الفستقا فظن الفستق من البقول فاما قول خداش بن زهير وتركب خيلا لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضيا
طرة الحمر فذهب كثير من العلماء الى ان المعنى وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح فقلب وليس الامر كذلك وانما اراد ان رماحهم تشرف
عن هؤلاء الضياطرة فاذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح لان منزلتها ارفع من ان يطعنوا بها وقال ايضا في قول زهير فتنتج لكم غلمان
اشام كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتتئم انه غلط فنسب الى عاد وانما هو احمر ثمود وهذا ليس بغلط فان ثمود تسمى عادا الاخرة بقوله تعالى
وانه اهلك عادا الاولى وقيل انما سموا ثمودا لان الله تعالى لما اهلك عادا بقيت منهم بقية تناسلوا فهم ثمود واشتق لهم هذا الاسم من

عشر

ع ١١

الثمد وهو الماء القليل لانهم قلوا عن عدد عاد الاولى واذا جاء فى الشعر ما يجرى مجرى الغلط فلا يجوز ان يحمل كلام الله تعالى عليه المعنى
ان قارون كان من قوم موسى اى كان من بنى اسرائيل ثم من سبط موسى وهو ابن خالته عن عطا عن ابن عباس وروى ذلك عن
ابى عبد الله ع وقيل كان ابن عم موسى ع لحا لانه كان قارون بن يصهر بن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث عن ابن جريج وقيل كان موسى
ابن اخيه وقارون عمه عن محمد بن اسحق فبغى عليهم اى استطال عليهم بكثرة كنوزه عن قتادة قال وكان يسمى المنور لحسن صورته ولم
يكن فى بنى اسرائيل اقرأ منه للتورية ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرى فبغى عليهم وقيل كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل
وكان يبغى عليهم ويظلمهم لما كانوا بمصر عن سعيد بن المسيب وابن عباس وقيل انه زاد عليهم فى الثياب شبرا عن الخراسانى وشهر بن
حوشب وآتيناه من الكنوز قال عطا اصاب كنزا من كنوز يوسف ع ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة ما هذه موصولة بمعنى
الذى وصلتها ان مع اسمها وخبرها اى اعطيناه من الاموال المدخرة القدر الذى تنىء مفاتحه العصبة والمفاتح هنا الخزاين فى
قول اكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج كما فى قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب فيكون المراد بمفاتحه خزاين ماله وهو قول ابن عباس
والحسن وقيل هى المفاتح التى يفتح بها الابواب عن قتادة ومجاهد وروى الاعمش عن خيثمة قال كانت مفاتيح قارون من
جلود كل مفتاح مثل الاصبع واختلف فى معنى العصبة فقال ما بين عشرة الى خمسة عشر عن مجاهد وقيل ما بين عشرة الى اربعين
عن قتادة وقيل اربعون رجلا عن ابى صالح وقيل ما بين الثلثة الى العشرة عن ابن عباس وقيل انهم الجماعة يتعصب بعضهم لبعض
اذ قال له قومه من بنى اسرائيل لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين اى لا تاشر ولا تمرح ولا تتكبر بسبب كنوزك ان الله لا يحب
الفرحين من كان بهذه الصفة ويدل على ان الفرح بمعنى البطر قول الشاعر ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه
المتقلب وقول الآخر ولا ارى من الفرح لاذ وابتغ فيما آتيك الله الدار الآخرة وهذا ايضا من مقالة المؤمنين من قوم قارون له
وقيل ان المخاطب له بذلك موسى ع وان ذكر بلفظ الجمع وقيل معناه اطلب فيما اعطاك الله من الاموال الدار الآخرة بان تنفقها
فى سبيل الخير ووجوه البر ولا تنس نصيبك من الدنيا وهو ان تعمل فى الدنيا للآخرة عن اكثر المفسرين ومعناه لا تنس ان تعمل
لآخرتك لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذى يعمل به لآخرته وروى فى معناه عن على ع لا تنس قوتك وشبابك ونشاطك
وغناك ان تطلب بها الآخرة وقيل لم ان يقدم الفضل وان يمسك ما يغنيه عن الحسن وقيل معناه انه كان قتورا شحيحا
فقيل له كل واشرب واستمتع بما آتيك الله من الوجه الذى اباحه الله لك فان ذلك غير محظور عليك واحسن كما احسن الله
اليك اى وافضل على الناس كما افضل الله اليك وقيل احسن فيما افترض الله عليك كما احسن فى انعامه عليك عن يحيى بن
سلام وقيل معناه واحسن الشكر لله تعالى على قدر انعامه عليك وواس عباد الله بمالك ولا تبغ الفساد فى الارض اى لا
تطلب العمل فى الارض بالمعاصى ان الله لا يحب المفسدين ظاهر المعنى قال قارون انما اوتيته على علم عندى اختلف فى معناه
فقيل انما اعطيت هذا المال لفضل وعلم عندى ليس ذلك عندكم عن قتادة يعنى انه قدر ان هذا ثواب من الله تعالى له بفضيلته
كما اخبر سبحانه عن ذلك الكافر بقوله ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وقيل معناه لرضا الله عنى ومعرفته باستحقاقى
عن ابن زيد وهذا قريب من الاول وقيل معناه ان المال حصل لى على علم عندى بوجوه المكاسب وبما لا يهتديها لاحد ان يسلبنيه
من التجارات والزراعات وغيرها وقيل على علم عندى بصنعة الذهب وهو علم الكيميا عن الكلبى وقيل ان موسى ع علم قارون
الثلث من صنعة الكيميا وعلم يوشع الثلث وعلم ابن هرون الثلث منها فخدعهما قارون حتى علم ما عندهما فعمل بالكيميا فكثرت امواله
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون الكافرة بنعمته من هو اشد منه قوة واكثر جمعا كقوم عاد وثمود وقوم لوط و
غيرهم بين سبحانه ان اغتراره بماله وعدده وعدده من الخطار العظيم لانه لا ينتفع بذلك عند نزول العذاب كما ان من كانوا
اغنى منه لم تغن اموالهم وجموعهم عنهم شيئا عند ذلك ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قال قتادة يعنى انهم يدخلون النار بغير
حساب وقال قتادة ان الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا يسألون عنهم لعلامتهم ويأخذونهم بالنواصى والاقدام فيصيرونهم الى
النار وهذا كقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان واما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين فانما ذلك سؤال تقريع وتوبيخ

لا يعلم ذلك من قبلهم عن المجرمين فخرج على قومه فى زينته اى فخرج قارون على بنى اسرائيل فى زينته التى كان يتزين بها من حشمه وتبعه
وقيل انه خرج فى اربعة آلاف دابة عليها اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان عن قتادة والارجوان فى اللغة صبغ احمر وقيل
خرج فى جوار بيض على سرج من ذهب على قطف من ارجوان على بغال بيض عليهن ثياب احمر وحلى من ذهب عن السدى وقيل خرج
فى سبعين الفا عليهم المعصفرات قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من الكفار والمنافقين وضعيفى الايمان بما للمؤمنين عند الله من
ثواب الجنة لما رأوه فى تلك الزينة والجمال يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم اى ذو نصيب وافر من الدنيا والمعنى انهم
تمنوا مثل منزلته ومثل ماله وقال الذين اوتوا العلم وهم المؤمنون المصدقون بوعد الله ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا مما
اوتى قارون وحذف لدلالة الكلام عليه ولا يلقيها الا الصابرون اى ولا يلقى مثل هذه الكلمة ولا يوفق لها الا الصابرون على امر الله
وقيل معناه ولا يعطيها يعنى الجنة فى الآخرة ودل عليها قوله ثواب الله الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا عن الكلبى فخسفنا
به وبداره الارض قال السدى دعا قارون امرأة من بنى اسرائيل بغيا فقال لها انى اعطيك الفين على ان تجئ غدا اذا اجتمعت بنوا
اسرائيل عندى فتقولى يا معشر بنى اسرائيل ما لى ولموسى قد آذانى قالت نعم فاعطاها خريطتين عليهما خاتمه فلما جاءت بيتها ندمت
وقالت يا ويلتى قد عملت كل فاحشة فما بقى الا ان افترى على نبى الله فلما اصبحت اقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بنى اسرائيل
فقالت ان قارون اعطانى هاتين الخريطتين على ان اتى جماعتكم فازعم ان موسى يراودنى عن نفسى ومعاذ الله ان افترى على
نبى الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنوا اسرائيل خاتم قارون فغضب موسى ع فدعا الله عليه فاوحى الله اليه انى امرت
الارض ان تطيعك وسلطتها عليه فمرها فقال موسى ع يا ارض خذيه وهو على سريره وفرشه فاخذته حتى غيبت سريره فلما
راى ذلك قارون ناشده الرحم فاخذته حتى غيبت قدميه ثم اخذته حتى غيبت ركبتيه ثم اخذته حتى غيبت حقويه وهو يناشده
الرحم فاخذته حتى غيبته فاوحى الله اليه يا موسى ناشدك الرحم واستغاثك فابيت ان تغيثه لو اياى دعا واستغاثنى لاغثته
قال مقاتل فلما امر موسى ع الارض فابتلعته قال بنوا اسرائيل انما فعل ذلك موسى ليرث ماله لانه كان ابن عمه فخسف بداره وبجميع
امواله بعده بثلثة ايام فلم يقدر على ماله بعده ابدا فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله اى فما كان له من جماعة منقطعة
اليه يدفعون عنه عذاب الله نعم الذى نزل به وانما قال سبحانه ذلك لانه كان يعتقد ربع نفسه الامتناع بحاشيته وجنوده وما
كان من المنتصرين بنفسه لنفسه واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس حين خرج عليهم فى زينته يقولون ويكان الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر هذه كلمة تندم واعتراف وقد بينا ان عند الخليل وسيبويه لفظة وى مفصولة من كان وان وقعت
فى المصحف موصولة يقول القائل اذا تبين له الخطاء وى كنت على خطاء وقال الفراء اصله ويلك فحذفت اللام وجعلت ان
مفتوحة فى موضع نصب بفعل مضمر كانه قال اعلم ان الله قال وحدثنى شيخ من اهل البصرة قال سمعت اعرابية تقول لزوجها اين
ابنك ويلك فقال لها ويك انه وراء البيت قال معناه اما ترينه وراء البيت وقيل معناه الا كان واما كان وقال الكسائى ويكان
فى التاويل ذلك ان الله وهو قول ابن عباس اى قالوا ذلك ان الله يبسط الرزق لمن يشاء كما بسط لقارون ويقدر اى يضيق
على من يشاء لا لهوان لكن بحسب المصلحة وقال مجاهد وقتادة ويكان معناه الم تعلم لولا ان من الله علينا لخسف بنا اى لولا انه انعم
علينا بنعمه فلم يعطنا ما اعطى قارون لخسف بنا كما خسف به وقيل معناه لولا ان الله تعالى من علينا بالتجاوز عما تمنينا لخسف
بنا كما خسف به لما تمنينا منزلة قرون ويكانه لا يفلح الكافرون اى لا يفوزون بثواب الله وينجو من عقابه الجاحدون لنعمه العابدون
معه سواه النظم انما اتصلت قصة قارون بما قبلها من قوله نتلو عليك من نبأ موسى فكانه قال ومن نبأ موسى الذى وعدنا
تلاوته فى اول السورة قصة قارون معه وقيل اتصل بقوله فما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى فاكد
سبحانه ذلك بحديث قارون وحاله وقيل انه لما تقدم خزى الكفار وافتضاحهم يوم القيمة ذكر عقيبه ان قارون من جملتهم وانه يفتضح
يوم القيمة كما افتضح فى الدنيا قوله تعالى تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ



لرادك الى معاد قل ربى اعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها
آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ست آيات النزول قيل لما نزل النبى صلى الله عليه وآله بالجحفة
فى مسيره الى المدينة لما هاجر اليها اشتاق الى مكة فاتاه جبرائيل فقال اتشتاق الى بلدك ومولدك قال نعم قال جبرئيل فان الله يقول
ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد يعنى مكة ظاهرا عليها فنزلت الاية بالجحفة وليست بمكية ولا مدنية وسميت
مكة معادا لعوده اليها عن ابن عباس المعنى تلك الدار الآخرة يعنى الجنة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض اى تجبرا
وتكبرا على عباد الله واستكبارا عن عبادة الله ولا فسادا اى عملا بالمعاصى عن ابن جريج ومقاتل وروى زاذان عن امير المومنين
على عليه السلم انه كان يمشى فى الاسواق وحده وهو دال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن
ويقرا تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا نزلت هذه الآية فى اهل العدل والتواضع
من الولاة واهل القدرة من سائر الناس وروى ابو سلام الاعرج عن امير المومنين على عم قال ان الرجل ليعجبه شراك
نعله فيدخل فى هذه الآية تلك الدار الآخرة الاية يعنى ان من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علوا فى الارض قال
الكلبى يعنى قوله فسادا الدعاء الى عبادة غير الله وقال عكرمة هو اخذ المال بغير حق والعاقبة للمتقين اى والعاقبة الجميلة
المحمودة من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك والمعاصى وقيل معناه الجنة لمن اتقى عقاب الله باداء فرايضه واجتناب
معاصيه من جاء بالحسنة فله خير منها مضى تفسيره ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون اى
لا يزاد فى عقابهم على قدر استحقاقهم بخلاف زيادة الفضل على الثواب المستحق فانه يكون تفضلا فهو مثل قوله ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها ان الذى فرض عليك القرآن خطاب للنبى صلى الله عليه وآله ان الذى اوجب عليك الامتثال
بما تضمنه القرآن لرادك الى معاد اى يردك الى مكة عن ابن عباس ومجاهد والجبائى وعلى هذا فيكون فى الآية دلالة على صحة
النبوة لانه اخبر به من غير شرط ولا استثناء وجاء المخبر مطابقا للخبر قال القتيبى معاد الرجل بلدة لانه ينصرف فى البلاد ثم يعود اليه
وقيل الى معاد الى الموت عن ابن عباس فى رواية اخرى وابى سعيد الخدرى وقيل الى المرجع يوم القيمة اى يبعثك بعد الموت
كما بداك عن الحسن والزهرى وعكرمة وابى مسلم وقيل الى الجنة عن مجاهد وابى صالح فالمعنى انه مميتك وباعثك ومدخلك
الجنة والظاهر يقتضى ان المقصود الى مكة وان لم يتقدم لها فيها ذكر كما قال حتى توارت بالحجاب ثم ابتدا كلاما آخر فقال قل يا محمد ربى اعلم من جاء
بالهدى الذى يستحق به الثواب ومن هو فى ضلال مبين اى ومن لم يجئ بالهدى وضل عنه اى لا يخفى عليه المومن والكافر ومن
هو على الهدى ومن هو ضال عنه وتاويله قل ربى اعلم انى جئت بالهدى وانكم فى ضلال ظاهر فسينصرنى عليكم ثم ذكر نعمه فقال
وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اى وما كنت يا محمد ترجوا فيما مضى ان يوحى الله اليك ويشرفك بانزال القرآن عليك الا
رحمة من ربك قال الفراء هذا هو الاستثناء المنقطع ومعناه الا ان ربك رحمك وانعم به عليك واراد بك الخير كذلك ينعم عليك
بردك الى مكة فاعرف هذه النعمة وقيل معناه وما كنت ترجوا ان يعلم كتب الاولين وقصصهم تتلوها على اهل مكة ولم تشهدها
ولم تحضرها بدلالة قوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا اى انك تتلوا على اهل مدين قصص موسى ع ولم تكن
هناك ثاويا مقيما وكذلك قوله وما كنت بجانب الغربى وانت تتلوا قصصهم وامرهم فهذه رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا
للكافرين اى معينا لهم وفى هذا دلالة على وجوب معاداة اهل الباطل وهذه الآية وما بعدها وان كان خطابا للنبى صلى الله
عليه وآله فالمراد غيره بتقدير روى عن ابن عباس انه كان يقول القرآن كله اياك اعنى فاسمعى يا جاره ولا يصدنك عن آيات الله
بعد اذ انزلت اليك تعظيما لذكرك وتفخيما لشانك وادع الى ربك اى الى طاعة ربك الذى خلقك وانعم عليك والى توحيده ولا
تكونن من المشركين اى لا تمل اليهم ولا ترض بطريقتهم ولا توال احدا منهم ولا تدع مع الله الها آخر اى لا تعبد معه غيره ولا تستدع
حوايجك من جهة ماسواه لا اله الا هو اى لا معبود الا هو وحده لا شريك له كل شيء هالك الا وجهه اى كل شيء فان فايد الا ذاته وهذا

قصص

كما يقال هذا وجه الراى ووجه الطريق وهذا معنى قول مجاهد الا هو وفى هذا دلالة على ان الاجسام تفنى ثم تعاد على ما قاله الشيوخ
فى الفنا والاعادة وقيل معناه كل شىء هالك الا وجهه اى الا ما اريد به وجهه فان ذلك يبقى ثوابه عن عطا عن ابن عباس وابى العاليه
والكلبى وهو اختيار الفراء وانشد استغفر الله ذنبا لست احصيه رب العباد اليه الوجه والعمل اى اليه اوجه العمل وعلى هذا يكون
وجه الله ما وجه اليه من الاعمال له الحكم اى له الحكم اى له القضاء النافذ فى خلقه وقيل له الفصل بين الخلايق فى الآخرة دون غيره واليه ترجعون
اى تردون فى الاخرة فيجزيكم باعمالكم النظم اتصل قوله تلك الدار الآخرة الآية بما قبله على انه سبحانه كما حرم نعم الدنيا عليهم بالهلاك كذلك
يحرم عليهم نعم الآخرة واما وجه اتصال قوله ان الذى فرض عليك القرآن الآية بما قبله فقد ذكر فيه من حمل المعاد على البعث انه اتصل بقوله
تلك الدار الآخرة ومن حمله على العود الى مكة فقال انه لما بين سبحانه وعده لام موسى برد موسى عليها مع شرف النبوة كذلك وعده برده
الى مكة مع الشرف العظيم وعدا بحق وعده له كما انجز وعده هناك ويكون معنى الكلام ان الذى انزل عليك القرآن بذلك الوعد
سينجز لك هذا الوعد واتصل قوله قل ربى اعلم من جاء بالهدى على معنى انه امره بان يقول لهم ربك اعلم بالصادق والكاذب لا يلتبس عليه
شىء وعليه التوفيق والعصمة تم المجلد السابع من كتاب مجمع البيان بتوفيق الملك المنان ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت مكية كلها فى قول عكرمة وعطا والكلبى ومدنية كلها فى احدى القولين عن ابن عباس وقتادة ومكية الا عشر آيات من اولها فانها مدنية عن الحسن وفى احد القولين عن ابن عباس وهو قول ابن سلام عدد آيها تسع وستون آية بالاجماع اختلافها ثلث آيات الم كوفى وتقطعون السبيل حجازى مخلصين له الدين بصرى شامى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين والمنافقين وروى ابو بصير عن ابى عبد الله ع قال من قرا سورة العنكبوت والروم فى شهر رمضان ليلة ثلث وعشرين فهو والله يا با محمد من اهل الجنة لا استثنى فيه ولا اخاف ان يكتب الله على فى يمينى اثما وان لهاتين السورتين من الله مكانا تفسيرها ختم الله سبحانه سورة القصص بذكر الوعد والوعيد وافتتح هذه السورة بذكر تكليف العبيد فقال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم خمس آيات القراءة قرا على ع فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين بضم اليآء وكسر اللام فيهما وهو المروى عن جعفر بن محمد ومحمد بن عبد الله بن الحسين وروا نفهم الزهرى فى وليعلمن الكاذبين وقرا ايضا وليعلمن المنافقين الحجة معناه ليعرفن الناس من هم فحذف المفعول الاول كما قال سبحانه يوم ندعوا كل اناس باما مهم وقال يعرف المجرمون بسيماهم وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ويجوز ان يكون من قولهم ثوب معلم وفارس معلم بالكسر اذا علم نفسه بالحرب فيكون معناه وليشهرن فرجع الى المعنى الاول لانه على تقدير حذف المفعول ويجوز ان يكون على حذف المفعول الثانى اى وليعلمن الصادقين ثواب صدقهم والكاذبين عقاب كذبهم الاعراب قال الزجاج موضع ان الاولى نصب اسم حسب وخبره وموضع ان الثانية نصب من جهتين اجودهما ان تكون منصوبة بتركوا فيكون المعنى احسب الناس ان يتركوا لان يقولوا او بان يقولوا فلما حذف الخفض وصل يتركوا الى ان فنصب ويجوز ان يكون ان الثانية العامل فيها حسب اى احسب الناس ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قاله ابو على اما ما ذكره من انه نصب بيتركوا فبين السقوط لان ترك فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا بنى للمفعول لم يتعد الى آخر فان يقولوا لا يتعلق به ولا يتعدى اليه حتى يقدر حرف ثم يقدر الحذف فيصل الفعل واما ما ذكره من انتصابه بحسب فلا يخلوا اذا قدر انتصابه به من ان يكون مفعولا اول او ثانيا او صفة او بدلا فلا يكون مفعولا اول لتعديه الى المفعول الذى قبله وهو الترك ولا يجوز ان يكون مفعولا ثانيا من وجهين احدهما ان باب ظننت ونحوه اذا تعدى الى هذا الضرب من المفعول لم يتعد الى مفعول ثان ظاهر فى اللفظ والآخر ان المفعول الثانى هو الاول فى المعنى وليس القول الترك ولا يكون ايضا بدلا لانه ليس الاول ولا بعضه ولا مشتملا عليه ولا يكون ايضا صفة لان الثانية تحسب وعمله فيها لا يخلوا مما ذكرنا واذا لم يستقم حمله على شىء مما ذكرنا تبينت موضع اغفاله من المسئلة والقول وبالله التوفيق ان البدل هنا يجىء فانه اذا قال احسبوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون جملة فى موضع الحال فكانه قال احسبوا ان يدعوا الايمان غير مختبرين ممتحنين بمشاق التكليف فيكون التقدير فى معنى الآية احسبوا ان يتركوا احسبوا ان يهملوا ولا شك ان الاهمال فى معنى الترك فيكون الثانى فى معنى الاول بعينه واما الوجه الاول فانك اذا قدرت اللام فقلت لان يقولوا او البا فقلت بان يقولوا فلا شك ان الحرف يتعلق بيتركوا فان الجار والمجرور فى موضع نصب به فتساهل الزجاج فى العبارة عن الجر فيها بانه منصوب بقوله بيآء ما يحكمون ما هذه تحتمل وجهين احدهما ان يكون اسما مفردا نكرة فى موضع النصب على التمييز والتقدير ساء حكما يحكمون والثانى ان يكون حرفا موصولا ويحكمون صلته وتقديره ساء الحكم حكمهم النزول قيل نزلت الآية فى عمار بن ياسر وكان يعذب فى الله عن ابن جريج وقيل نزلت فى اناس مسلمين كانوا بمكة فكتب اليهم من فى المدينة انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا الى المدينة فاتبعهم المشركون فآذوهم وقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا عن الشعبى وقيل انه اراد بالناس الذين آمنوا بمكة

سلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم عن ابن عباس المعنى الم احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون اى اظن الناس ان يقنع منهم بان يقولوا انا مؤمنون فقط ونقتصر منهم على هذا القدر ولا يمتحنون بما يبين
به حقيقة ايمانهم هذا لا يكون وهذا استفهام انكار وتوبيخ وقيل ان معنى يفتنون يبتلون فى انفسهم واموالهم عن مجاهد وهو المروى
عن ابى عبد الله عم ويكون المعنى ولا يشدد عليهم التكليف والتعبد ولا يؤمرون ولا ينهون وقيل معناه ولا يصابون بشدايد الدنيا ومصائبها
اى انها لا تندفع بقولهم آمنا وقال الحسن معناه احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا لا اله الا الله ولا يختبروا اصدقوا ام كذبوا
يعنى ان مجرد الاقرار لا يكفى والاولى حمله على الجميع اذ لا تنافى فان المؤمن يكلف بعد الايمان الشرايع ويمتحن فى النفس والمال ويمنى بالشدايد
والهموم والمكاره فينبغى ان يوطن نفسه على هذه الفتنة ليكون الامر ايسر عليه اذا نزل به ثم اقسم سبحانه فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم
اى ولقد ابتلينا الذين من قبل امة محمد من سالف الامم بالفرايض التى افترضناها عليهم او بالشدايد والمصايب على حسب اختلافهم
وذكر ذلك تسلية للمؤمنين قال ابن عباس منهم ابرهيم خليل الرحمن وقوم كانوا معه ومن بعده نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا
عنه وقال غيره يعنى بنى اسرائيل ابتلوا بفرعون وقومه يسومونهم سوء العذاب فليعلمن الله الذين صدقوا فى ايمانهم وليعلمن الكاذبين فيه
وانما قال فليعلمن مع ان الله سبحانه كان عالما فيما لم يزل بان المعلوم سيحدث لانه لا يصح وصفه سبحانه فيما لم يزل بانه عالم بانه حادث
وانما يعلمه حادثا اذا حدث وقيل ان معناه فليميزن الله الذين صدقوا من الذين كذبوا بالجزاء والمكافاة وعبر عن الجزاء والتمييز بالعلم
لان كل ذلك انما يحصل بالعلم فاقام السبب مقام المسبب ومثله فى اقامة السبب مقام المسبب قوله تعالى كانا ياكلان الطعام فهذا
سبب قضاء الحاجة فكنى بذكره عنها ومعنى صدقوا ثبتوا على الشدايد وكذبوا اى لم يثبتوا ومنه قول زهير اذا ما الليث كذب عن
اقرانه صدقا ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ام هذه استفهام منقطع عما قبله وليست التى هى معادلة الهمزة والمعنى
بل احسب الذين يعملون الكفر والقبايح ان يفوتونا فوت السابق لغيره ويعجزونا فلا نقدر على اخذهم والانتقام منهم ساء ما يحكمون اى بئس
الشئ الذى يحكمون ظنهم انهم يفوتوننا وروى العياشى بالاسناد عن ابى الحسن عم قال جاء العباس الى امير المؤمنين عليه السلام فقال امش
حتى يبايع لك الناس فقال اتراهم فاعلين قال نعم قال فاين قول الله الم احسب الناس ان يتركوا الايات من كان يرجو لقاء الله اى
من كان يامل لقاء ثواب الله وقيل معناه من كان يخاف عقاب الله عن سعيد بن جبير والسدى والرجاء قد يكون بمعنى الخوف كما فى قول
الشاعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل والمعنى من كان يخشى ويخاف الجزاء والحساب او يامل الثواب فليبادر
بالطاعة قبل ان يلحقه الاجل فان اجل الله لات اى الوقت الذى وقته الله للثواب والعقاب جاء لا محالة وهو السميع لاقوالكم العليم
بما فى ضمايركم قوله تعالى وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ
جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝ خمس آيات الاعراب
حسنا مفعول فعل محذوف تقديره وصينا الانسان بان يفعل بوالديه حسنا اى ما يحسن ما ليس لك به علم موصول وصلة فى موضع
نصب بانه مفعول تشرك النزول قال الكلبى نزلت الآية الاخيرة فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى وذلك انه اسلم فخاف اهل بيته فهاجر
الى المدينة قبل ان يهاجر النبى صلى الله عليه وآله فحلفت امه اسماء بنت مخرمة بن ابى جندل التميمى ان لا تاكل ولا تشرب ولا تغسل راسها
ولا تدخل كنا حتى يرجع اليها فلما رأى ابناها ابو جهل والحرث ابنا هشام وهما اخوا عياش لامه جزعها ركبا فى طلبه حتى اتيا المدينة فلقياه
وذكرا له القصة فلم يزالا به حتى اخذ عليهما العهود والمواثيق ان لا يصرفاه عن دينه وتبعهما وقد كانت امه صبرت ثلثة ايام ثم اكلت
وشربت فلما خرجوا من المدينة اخذاه واوثقاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة حتى برئ من دين محمد جزعا من الضرب وقال ما لا
ينبغى فنزلت الآية وكان الحرث اشدهما عليه فحلف عياش لئن قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا الى مكة مكثوا حينا
ثم هاجر النبى صلى الله عليه وآله والمؤمنون الى المدينة وهاجر عياش وحسن اسلامه واسلم الحرث بن هشام وهاجر الى المدينة وبايع

عشر

النبی صلی الله علیه وآله علی الاسلام ولم یحضر عیاش فلقیه عیاش یوما بظهر قبا لم یشعر باسلامه فضرب عنقه فقیل ان الرجل قد اسلم
فاسترجع عیاش وبکی ثم اتی النبی صلی الله علیه وآله فاخبره بذلک فنزل وما کان لمؤمن ان یقتل مؤمنا الا خطأ الآیة وقیل نزلت
الآیة فی ناس من المنافقین یقولون آمنا فاذا اوذوا رجعوا الی الشرک عن الضحاک وقیل نزلت فی قوم ردهم المشرکون الی مکة عن قتادة
المعنی لما رغب سبحانه فی تحقیق الرجا والخوف بفعل الطاعة عقبه بالترغیب فی المجاهدة فقال ومن جاهد فانما یجاهد لنفسه
ای ومن جاهد الشیطان بدفع وسوسته واغوائه وجاهد اعداء الدین لاحیائه وجاهد نفسه التی هی اعدا اعدائه فانما یجاهد لنفسه
لان ثواب ذلک عاید علیه وواصل الیه دون الله تعالی ان الله لغنی عن العالمین غیر محتاج الی طاعتهم فلا یأمرهم ولا ینهاهم
لمنفعة ترجع الیه بل لمنفعتهم والذین آمنوا وعملوا الصالحات لنکفرن عنهم سیآتهم التی اقترفوها قبل ذلک ای لنبطلنها حتی تصیر
کانهم لم یعملوها ولنجزینهم احسن الذی کانوا یعملون ای نجزیهم باحسن اعمالهم وما امروا به من العبادات والطاعات والمعنی
لنکفرن سیآتهم السابقة منهم فی حال الکفر ولنجزینهم بحسناتهم التی عملوها فی الاسلام ولما امر سبحانه بمجاهدة الکفار وعبادته بین
حال الابوین فی ذلک فقال ووصینا الانسان بوالدیه ای امرناه ان یفعل بوالدیه حسنا والزمناه ذلک ثم خاطب سبحانه
کل واحد من الناس فقال وان جاهداک ای وان جاهداک ابواک ایها الانسان والزماک واستفرغا مجهودهما فی دعائک لتشرک
بی فی العبادة ما لیس لک به علم ولیس لاحد به علم فلا تطعهما فی ذلک فامر سبحانه بطاعة الوالدین فی الواجبات حتما وفی المباحات
ندبا ونهی عن طاعتهما فی المحظورات ونفی العلم به کنایة عن نفیه من الادلة اذا لم یکن علیه حجة ودلیل لم یحصل العلم به فلا یحسن
اعتقاده الی مرجعکم ای الی حکمی مصیرکم فانبئکم بما کنتم تعملون ای اخبرکم باعمالکم فاجازیکم علیها روی عن سعد بن ابی وقاص قال
کنت رجلا برا بامی فلما اسلمت قالت یا سعد ما هذا الدین الذی احدثت لتدعن دینک هذا او لا اکل ولا اشرب حتی اموت فتعیر بی فیقال
یا قاتل امه قلت لا تفعلی یا امه انی لا ادع دینی هذا الشیء قال فمکثت یوما لا تاکل ولیلة ثم مکثت یوما اخر ولیلة فلما رایت ذلک قلت
یا امه لو کانت لک مایة نفس فخرجت نفسا نفسا ما ترکت دینی هذا فکلی وان شئت فلا تاکلی فلما رات ذلک اکلت فنزلت هذه وان
جاهداک وامه حمنة بنت ابی سفیان بن امیة بن عبد شمس وروی عن بهز بن حکیم عن ابیه عن جده قال قلت للنبی صلعم یا رسول الله من
ابر قال امک قلت ثم من قال ثم امک قلت ثم من قال ثم اباک ثم الاقرب فالاقرب وعن انس عن النبی صلی الله علیه وآله قال الجنة تحت
اقدام الامهات ثم قال سبحانه والذین آمنوا ای صدقوا بوحدانیة الله تعم واخلاص العبادة له وعملوا الصالحات لندخلنهم
فی الصالحین ای فی زمرتهم وجملتهم فی الجنة ولما ذکر سبحانه والذین آمنوا ای صدقوا بوحدانیة الله تعم واخلاص العبادة له وعملوا
الصالحات خیار المؤمنین عقبه بذکر ضعفائهم ثم عقبه بذکر المنافقین فقال ومن الناس من یقول آمنا بالله بلسانه فاذا اوذی
فی الله ای فی ذات الله جعل فتنة الناس کعذاب الله والمعنی فاذا اوذی بسبب دین الله رجع عن الدین مخافة عذاب الناس
کما ینبغی ان یترک الکافر دینه مخافة عذاب الله فیسوی بین عذاب فانه منقطع وبین عذاب دائم غیر منقطع ابدا لقلة تمیزه وسمی
اذیة الناس فتنة لما فی احتمالها من المشقة ولئن جاء نصر من ربک یا محمد ای ولئن جاء نصر من الله للمؤمنین ودولة لاولیاء الله
علی الکافرین لیقولن انا کنا معکم ای لیقولن هؤلاء المنافقون للمؤمنین انا کنا معکم علی عدوکم طمعا فی الغنیمة ثم کذبهم الله فقال
او لیس الله باعلم بما فی صدور العالمین من الایمان والنفاق فلا یخفی علیه کذبهم فیما اتوا قوله تعالی ولیعلمن الله الذین آمنوا ولیعلمن
المنافقین وقال الذین کفروا للذین آمنوا اتبعوا سبیلنا ولنحمل خطایاکم وما هم بحاملین من خطایاهم من شیء انهم لکاذبون ولیحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ولیسئلن یوم القیمة عما کانوا یفترون ولقد ارسلنا نوحا الی قومه فلبث فیهم الف سنة الا خمسین عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجیناه
واصحاب السفینة وجعلناها آیة للعالمین خمس آیات اللغة الثقل متاع البیت وجمعه اثقال وهو من الثقل یقال ارتحل القوم بثقلهم
وثقلتهم ای بامتعتهم ومنه الحدیث انی تارک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی اهل بیتی وانهما لن یفترقا حتی یردا علی الحوض قال ثعلب
سمیا بذلک لان الاخذ بموجبهما ثقیل وقال غیره ان العرب تقول لکل شیء خطیر نفیس ثقل فسماها ثقلین تفخیما لشانهما وکل شیء یتنافس
فیه فهو ثقل ومنه سمی الجن والانس ثقلین لما فضلا علی غیرهما من الخلق والطوفان الماء الکثیر الغامر لانه یطوف بکثرته فی نواحی الارض قال

ع ۱۳ خمس

الرجل

١٤٦

الراجز انما هم طوفان موت جارف شبه الموت فى كثرته بالطوفان الاعراب قوله بحاملين من خطاياهم من شئ تقديره وما هم بحاملين
من شئ من خطاياهم فى الوصل صفة لشئ تقدم عليه فصار فى موضع نصب على الحال الف سنة نصب على الظرف خمسين نصب
على الاستثناء المعنى ثم اقسم سبحانه فقال وليعلمن الله الذين آمنوا بالله على الحقيقة ظاهرا وباطنا وليعلمن المنافقين
فيجازيهم بحسب اعمالهم قال الجبائى معناه وليميزن الله المؤمن من المنافق فوضع العلم موضع التمييز توسعا وقد مر بيانه وفى هذه الآية
تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم التى استسروا بها وتوهموا انهم قد نجوا من ضررها باخفائها فبين انها ظاهرة عند من يملك
الجزاء عليها وانه يحصل الفضيحة العظمى بها وقال الذين كفروا نعم الله وجحدوها للذين آمنوا اى صدقوا بتوحيده وصدق رسله اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم اى ونحن نحمل آثامكم عنكم ان قلتم ان لكم فى اتباع ديننا اثما ويعنون بذلك انه لا اثم عليكم فى اتباع ديننا لانه لا يكون
بعث ولا نشور فلا يلزمنا شئ مما ضمنا والامر فى قوله ولنحمل هو المتكلم به فى نفسه فخرج اللفظ والمراد به الزام النفس هذا المعنى كما
يلزم الشئ بالامر وفيه معنى الجزاء وتقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم عنكم ثم قال سبحانه وما هم بحاملين من خطاياهم من
شئ اى لا يمكنهم حمل ذنوبهم عنهم يوم القيمة فان الله سبحانه عدل لا يعذب احدا بذنب غيره فلا يصح اذا ان يحمل احد ذنب غيره وهذا
مثل قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يجرى هذا المجرى تحمل الدية عن الغير لان الغرض فى الدية اداء
الارش عن نفس المقتول فلا فرق بين ان يؤديه زيد عنه وبين ان يؤديه عمرو فانه بمنزلة قضاء الدين انهم لكاذبون فيما ضمنوا من
حمل خطاياهم وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يعنى انهم يحملون خطاياهم واوزارهم فى انفسهم التى لم يعملوها لغيرهم ويحملون
الخطايا التى ظلموا بها غيرهم وقيل معناه يحملون عذاب ضلالهم وعذاب اضلالهم غيرهم ودعائهم لهم الى الكفر وهذا كقوله من سن
سنة سيئة الخبر وهذا كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون
ومعناه انهم يسئلون سؤال تعنيف وتوبيخ وتبكيت وتقريع لا سؤال استعلام واستخبار ولقد ارسلنا نوحا الى قومه يدعوهم
الى توحيد الله عز وجل فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فلم يجيبوه وكفروا به فاخذهم الطوفان جزاء على كفرهم فهلكوا وهم ظالمون
لانفسهم بما فعلوه من الشرك والعصيان فانجيناه واصحاب السفينة اى فانجينا نوحا من ذلك الطوفان والذين ركبوا معه فى
السفينة من المؤمنين به وجعلناها اى وجعلنا السفينة آية للعالمين اى علامة للخلائق اجمعين يعتبرون بها الى يوم القيمة لانها
فرقت بين المؤمنين والكافرين والابرار والفجار وهى دلالة للخلق على صدق نوح ع وكذب قومه النظم انما اتصل قوله وقال
الذين كفروا بما تقدمه من ذكر المنافقين فانه سبحانه لما بين حالهم عند ايراد الشبهة عليهم بين فى هذه الآية ان من الواجب ان لا تغتر
المؤمنين بما يورده اهل الكفر عليهم من الشبهة الفاسدة وقد ذكر فى اتصال قصة نوح بما قبلها وجوه احدها انه لما قال فتنا
الذين من قبلهم فصل ذلك فبدا بقصة نوح ع ثم بما يليها وثانيها انه لما ذكر حال المجاهد الصابر ذكر من كان مثلا فذكر قصة نوح ع
وصبره على اذى قومه وتكذيبهم تلك المدة الطويلة ثم ذكر ذلك بذكر غيره من الانبياء وثالثها انه لما امر ونهى ووعد واوعد على امتثال
اوامره وارتكاب نواهيه اكد ذلك بقصص الانبياء عليهم السلم قوله تعالى وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له
اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض
فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير خمس آيات القراءة قرا حمزة والكسائى وخلف اولم تروا بالتاء والباقون
بالياء وروى عن ابى بكر بالتاء والياء جميعا وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بفتح الشين ممدودة حيث وقع وقرا الباقون النشأة بسكون
الشين غير ممدودة وفى الشواذ قراءة السلمى وزيد بن على ع وتخلقون افكا الحجة قال ابو على حجة التاء فى اولم تروا ان قبلها وان
تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وحجة الياء ان المعنى قل لهم اولم يروا والنشاءة والنشأة مثل الرأفة والرافة والكأبة والكآبة وقال
ابو زيد نشأت انشأ نشأ اذا نشئت ونشأت السحابة نشأ ولم يذكر النشأة واما تخلقون فانه على وزن تكذبون وفى معناه الاعراب
كيف يبدئ الله الخلق كيف فى موضع نصب على الحال من الله والتقدير امبدعا يبدئ الله الخلق ام لا يجوز ان يكون حالا من الخلق فيكون

حزب عشر

تقديره ابدعا يبدئ الله الخلق امرلا ويجوز ان يكون فى موضع نصب والتقدير اى ابداء يبدئ ومثله كيف بداء الخلق و
النشأة منصوبة على المصدر ومفعول ينشئ محذوف تقديره ينشئ الخلق المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وابرهيم اى
وارسلنا ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اى اطيعوا الله وخافوه بفعل طاعاته واجتناب معاصيه ذلكم خير لكم اى ذلك
التقوى خير لكم ان كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا فى هذا الموضع كافر والمعنى انكم
تعبدون اصناما من حجارة لا تضر ولا تنفع وتخلقون افكا اى تفتعلون كذبا بان تسموا هذه الاوثان الهة عن السدى وقيل
معناه وتصنعون اصناما بايديكم وسميتموها افكا لادعائهم انها آلهة عن مجاهد وقتادة وابى على الجبائى ثم ذكر عجز آلهتهم عن الرزق
على عابديها فقال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا اى لا يقدرون على ان يرزقوكم والملك قدرة القادر على ما له
ان يتصرف فيه اتم التصرف وليس ذلك الا الله على الحقيقة فان الانسان انما يملك ما يملكه الله تعالى ويأذن له فى التصرف فيه
فاصل الملك لجميع الاشياء لله فمن لا يملك ان يرزق غيره لا يستحق العبادة لان العبادة تجب باعلى مراتب النعمة ولا يقدر
على ذلك غير الله تعالى فلا يستحق العبادة سواه فابتغوا عند الله الرزق اى اطلبوا الرزق من عنده دون من سواه واعبدوه
واشكروا له على ما انعم به عليكم من اصول النعم من الحيوة والرزق وغيرهما اليه ترجعون اى الى حكمه تصيرون يوم القيمة
فيجازيكم على قدر اعمالكم ثم خاطب العرب فقال وان تكذبوا اى وان تكذبوا محمدا فقد كذب امم من قبلكم انبياءهم الذين
بعثوا اليهم وما على الرسول الا البلاغ المبين اى ليس عليه الا التبليغ الظاهر البين وليس عليه حمل من ارسل اليه على الايمان
اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده يعنى كفار مكة والذين انكروا البعث واقروا بان الله هو الخالق فقال اولم يتفكروا
فيعلموا كيف ابداء الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانيا اذا اعدمهم بعد وجودهم قال ابن عباس يريد الخلق الاول والخلق
الآخر ان ذلك على الله يسير غير متعذر لان من قدر على الانشاء والابتداء فهو على الاعادة اقدر ثم خاطب محمدا صلى الله عليه وآله فقال
قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق وتفكروا فى آثار من كان قبلكم والى اى شئ صار امرهم لتعتبروا بذلك ويؤديكم
ذلك الى العلم به وقيل معناه انظروا وابحثوا هل تجدون خالقا غير الله فاذا علموا انه لا خالق ابتداء الا الله لزمتهم الحجة فى الاعادة
وهو قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة اى ثم الله الذى خلقها ابتداء ينشئها نشأة ثانية ومعنى الانشاء الايجاد من غير سبب ان
الله على كل شئ قدير اى ان الله على الانشاء والافناء والاعادة وعلى كل شئ يشاؤه قدير قوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم
من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه
اولئك يئسوا من رحمتى واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجيه الله من النار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون
وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم بالرفع والاضافة وقرا حمزة وحفص بنصب مودة مضمومة منونة فى الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر

بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين

خمس آيات القراءة قرا ابن كثير واهل البصرة والكسائى مودة بينكم بالرفع والاضافة وقرا حمزة وحفص بنصب مودة منصوبة منونة
بينكم بالنصب الا الشمونى والبرجمى فانهما قرآ مودة مرفوعة منونة بينكم بالنصب الحجة قال ابو على يجوز فى قول من قال مودة
بينكم ان يجعل ما اسم ان ويضمر ذكر يعود اليها كما جاء فى قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا فيكون التقدير ان الذين اتخذتموهم اوثانا مودة
ذو مودة بينكم ويكون دخول ان على ما لانه بمنزلة الذى كقوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين ويجوز الذكر العائد ويجوز ان
يضمر هو ويجعل مودة بينكم خبرا عنه والجملة فى موضع خبر ان ومن قرا مودة بينكم بالنصب جعل ما مع ان كلمة ولم يعد اليها ذكرا
كما اعاد فى الوجه الاول وجعل الاوثان منتصبا باتخذتم وعداه ابو عمرو الى مفعول واحد كقوله قل اتخذتم عند الله عهدا والمعنى
انما اتخذتم من دون الله اوثانا الهة فحذف كما ان قوله ان الذين اتخذوا العجل الها فحذف وانتصب مودة على انه مفعول له وبينكم
نصب على الظرف والعامل فيه المودة ومن قال مودة بينكم اضاف المودة الى البين واتسع بان جعل الظرف اسما لما اضاف اليه ومثل
ذلك قراءة من قرا لقد تقطع بينكم ومن قال مودة بينكم فى الحيوة الدنيا جاز فى قوله بينكم اذا نون مودة ضربان احدهما ان يجعله ظرفا
متعلقا بالمصدر لان الظرفين احدهما من المكان والآخر من الزمان وانما الذى يمتنع ان يتعلق به ظرفين من الزمان او ظرفين من المكان

١٤٦

فاما اذا اختلفا فسايغ فقوله فى الحيوة الدنيا ظرف زمان لان المعنى فى وقت الحيوة الدنيا ولا ذكر فى واحد من الظرفين كما انك اذا قلت
لقيت زيدا اليوم فى السوق كان كذلك فان جعلت الظرف الاول صفة للنكرة كان متعلقا بمحذوف وصار فيه ذكر يعود الى الموصوف
واذا جعلته صفة للمصدر جاز ان يكون قوله فى الحيوة الدنيا فى موضع حال والعامل فيه الظرف الذى هو صفة للنكرة وفيه يعود
الى ذى الحال وذو الحال الضمير الذى فى الظرف العايد الى الموصوف الذى هو مودة وهو هى فى المعنى فان قلت هل يجوز ان يتعلق الظرف
الذى ... جاز ان يكون حالا بالمودة مع انه قد وصف بقوله بينكم قيل لا يمتنع ذلك لانك اذا وصفته بمعنى الفعل قايم فيه والظرف
يتعلق بمعنى الفعل واما الذى يمتنع ان يعمل فيه اذا وصف المفعول به فاما الحال والظرف فلا يمتنع ان يتعلق كل واحد منهما به وان
كان قد وصف به وقد جاء فى الشعر ما يعمل عمل الفعل اذا وصف عاملا فى المفعول به فاذا جاز عمله فى المفعول به فلا نظر فى جواز عمله
فيما ذكرناه من الظرف والحال فمن ذلك قوله اذا فاقد خطباء فرخين رجعت ذكرت سليمى فى الخليط المباين والتحقير فى ذلك بمنزلة الوصف
لو قال هذا ضويرب زيدا لقبح كما يقبح ذلك فى الصفة ولم يجئ ذلك فى حال السعة والاختيار المعنى ثم ذكر سبحانه الوعد والوعيد
فقال يعذب من يشاء معناه انه المالك للثواب والعقاب وان كان لا يشاء الا الحكمة والعدل وما هو الاحسن من الافعال
فيعذب من يشاء ممن يستحق العذاب ويرحم من يشاء ممن هو اهل الرحمة بان يغفر لهم بالتوبة وبغير التوبة واليه تقلبون معاشر الخلق
... تحولون يوم القيمة والقلب الرجوع والرد فمعناه انكم تردون الى حال الحيوة فى الآخرة حيث لا يملك النفع والضر فيه
الا الله وهذا يتعلق بما قبله كان المنكرين للبعث قالوا اذا كان العذاب غير كاين فى الدنيا فلا نبالى به فقال واليه تقلبون وكانهم
قالوا اذا صرنا الى حكم الله فررنا فقال وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء اى ولستم بفايتين عن الله فى الدنيا ولا فى الآخرة فاحذروا
مخالفته ومتى قيل كيف وصفهم بذلك وليسوا من اهل السماء فالجواب عنه من وجهين احدهما ان المعنى لستم بمعجزين فرارا فى الارض
ولا فى السماء لو كنتم فى السماء كقولك ما يفوتنى فلان ههنا ولا بالبصرة لو صار الى البصرة يعنى قطرب وهو معنى قول مقاتل والآخر ان المعنى ولا من
فى السماء بمعجزين فحذف من لدلالة الكلام عليه كما قال حسان امن يهجوا رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء فكانه قال ومن يمدحه
وينصره سواء ام لا يتساويان عن الفراء وهذا ضعيف عند البصريين وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ينصركم ويدفع عذاب الله
عنكم فلا تغتروا بان الاصنام تشفع لكم وقيل ان الولى الذى يتولى المعونة بنفسه والنصير يتولى النصرة تارة بنفسه وتارة بان
يامر غيره به والذين كفروا بايات الله اى جحدوا بالقرآن وبادلة الله ولقائه اى وجحدوا بالبعث بعد الموت اولئك يئسوا من رحمتى
اخبار انه تعالى ايسهم من رحمته وجنته او يكون معناه يجب ان ييئسوا من رحمتى واولئك لهم عذاب اليم اى مولم وفى هذا دلالة على
ان المؤمن بالله واليوم الآخر لا ييأس من رحمة الله ثم عاد سبحانه الى قصة ابرهيم عم فقال فما كان جواب قومه يعنى حين دعاهم
الى الله تعالى ونهيهم عن عبادة الاصنام الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وفى هذا تسفيه لهم اذ قالوا حين انقطعت حجتهم لا تحاجوه ولكن
اقتلوه او حرقوه لتخلصوا منه فانجيه الله من النار وههنا حذف تقديره ثم اتفقوا على احراقه فاججوا نارا فالقوه فيها فانجاه الله
منها ان فى ذلك لايات اى علامات واضحات وحججا بينات لقوم يؤمنون بصحة ما اخبرناه به وبتوحيد الله وكمال قدرته وقال ابرهيم
لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم اى لتتوادوا بها فى الحيوة الدنيا وقد تقدم بيانه فى الحجة ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ان يتبرا القادة من الاتباع ويلعن بعضكم بعضا اى ويلعن الاتباع القادة لانهم زينوا لهم الكفر وقال قتادة كل خلة يوم
القيمة منقلب عداوة الا خلة المتقين قال سبحانه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وماويكم النار اى ومستقركم ومأواكم
النار وما لكم من ناصرين يدفعون عنكم عذاب الله قوله تعالى فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَلُوطًا إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۞ خمس آيات القراءة
قرا اهل الكوفة غير حفص ائنكم لتاتون الفاحشة ائنكم لتاتون الرجال بهمزتين فيهما وقرا ابو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة ائنكم

عشر ١٥

وقرا الباقون انكم لتأتون الفاحشة بكسر الهمزة من غير استفهام ائنكم لتاتون الرجال بالاستفهام الا ابن كثير وورشا ويعقوب فانهم قرأوا بهمزة
واحدة غير ممدودة وابن عامر وحفص بهمزتين واهل المدينة غير ورش بهمزة واحدة ممدودة اللغة هاجر القوم من دار الى دار معناه
تركوا الاولى للثانية قال الازهري اصل المهاجرة خروج البدوي من البادية الى المدن وتهجر اى تشبه بالمهاجرين ومنه حديث عمر هاجروا
ولا تهجروا اى اخلصوا الهجرة لله والنادي والندى المجلس اذا اجتمعوا فيه وتنادى القوم اذا اجتمعوا فى النادي ودار الندوة دار قصي بن
كلاب كانوا يجتمعون فيه للمشاورة تبركا به والاصل من النداء لان القوم ينادي بعضهم بعضا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال
فآمن له لوط اى تصدق بابرهيم لوط ع وهو ابن اخته وكان ابرهيم خاله عن ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين وهو اول من صدق ابرهيم ع
وقال ابرهيم انى مهاجر الى ربى اى خارج من جملة الظالمين على جهة الهجر لهم لقبيح اعمالهم الى حيث امرنى ربى وقيل معناه قال لوط انى مهاجر
الى ربى عن الجبائي وخرج ابرهيم ع ومعه لوط وامراته سارة وكانت ابنة عمه من كوثى وهى قرية من سواد الكوفة الى الشام عن قتادة ومثل
هذا هجرة المسلمين من مكة الى ارض الحبشة اولا ثم الى المدينة ثانيا لانهم هجروا ديارهم واوطانهم بسبب اذى المشركين اياهم انه هو العزيز الذى
لا يذل من نصره الحكيم الذى لا يضيع من حفظه ووهبنا له اى لابرهيم من بعد اسمعيل اسحق ويعقوب من وراء اسحق وجعلنا فى ذريته
النبوة والكتاب وذلك ان الله سبحانه لم يبعث من بعد ابرهيم ع الا من صلبه فالتورية والانجيل والزبور والفرقان كلها انزلت على
اولاده وآتيناه اجره فى الدنيا وهو الذكر الحسن والولد والولد الصالح عن ابن عباس وقيل هو رضا اهل الاديان به فكلهم يحبونه
ويتولونه عن قتادة وقيل هو الذى ارى مكانه فى الجنة عن السدى وقال بعض المتأخرين هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره
من الانبياء وقال البلخي وفى هذا دلالة على انه يجوز ان يثيب الله فى دار التكليف ببعض الثواب وانه فى الآخرة لمن الصالحين يعنى
ان ابرهيم مع ما اعطى من الاجر والثواب فى الدنيا يحشره الله فى جملة الصالحين العظيمى الاقدار مثل آدم ونوح ولوطا اذ قال لقومه
اى وارسلنا لوطا ويجوز ان يريد واذكر لوطا حين قال لقومه ائنكم لتاتون الفاحشة من قرا بلفظ الاستفهام اراد به الانكار دون الاستعلام
ومن قرا انكم على الخبر اراد ان لوطا اخبرهم بذلك منكرا لفعلهم لا مفيدا معلما لهم لانهم قد علموا ما فعلوه والفاحشة ههنا ما كانوا يفعلونه
من اتيان الذكران ما سبقكم بها اى بهذه الفاحشة من احد من العالمين اى احد من الخلائق ثم فسر الفاحشة بقوله ائنكم لتاتون الرجال
اى تنكحونهم وتقطعون السبيل قيل فيه وجوه احدها تقطعون سبيل الولد باختياركم الرجال على النساء وثانيها انكم تقطعون
الناس عن الاسفار باتيان هذه الفاحشة فانهم كانوا يفعلون هذا الفعل بالمجتازين فى ديارهم وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالخذف
فايهم اصابه كان اولى به ويأخذون ماله وينكحونه ويغرمونه ثلثة دراهم وكان لهم قاض يقضى بذلك وثالثها انهم كانوا يقطعون الطريق
على الناس كما يفعل قطاع الطريق فى زماننا وتاتون فى ناديكم المنكر قيل فيه ايضا وجوه احدها هو انهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم
من غير حشمة ولا حياء عن ابن عباس وروى ذلك عن الرضا ع وثانيها انهم كانوا يأتون الرجال فى مجالسهم يرى بعضهم بعضا عن مجاهد
وثالثها كانت مجالسهم تشتمل على انواع من المناكير والقبايح مثل الشتم والسخف والصفع والقمار وضرب المخاريق وحذف الاحجار على
من مر بهم وضرب المعازف والمزامير وكشف العورات واللواط قال الزجاج وفى هذا اعلام انه لا ينبغى ان يتعاشر الناس على المناكير
ولا ان يجتمعوا على المناهى ولما انكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من الفضايح قالوا له استهزاء ائتنا بعذاب الله وذلك قوله فما كان
جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وعند ذلك قال لوط رب انصرنى على القوم المفسدين الذين فعلوا
المعاصى وارتكبوا القبايح وافسدوا فى الارض قوله تعالى وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ
أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ
رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنْزِلُونَ
عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة
غير عاصم ويعقوب لننجينه خفيفة الجيم ساكنة النون والباقون لننجينه بالتشديد وقرا ابن كثير واهل الكوفة غير حفص ويعقوب انا منجوك
بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد والباقون منزلون بالتخفيف الحجة قال ابو على حجة من قرا لننجينه

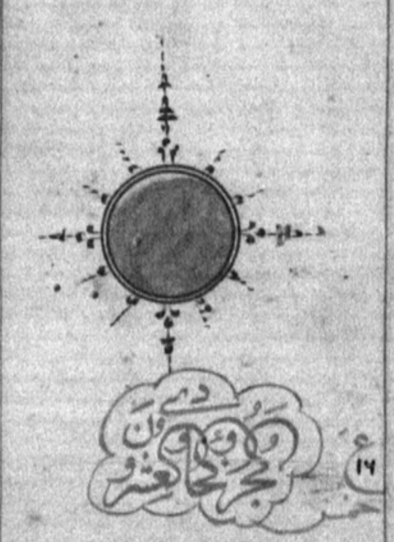
خمس

وانا

وانا منجوك قوله فانجيه الله من النار وحجة من ثقل قوله ونجينا الذين آمنوا يقال نجا زيد ونجيته وانجيته مثل فرحته وافرحته
وكذلك قوله نزل اذ عديته قلت نزلته وانزلته المعنى ثم بين سبحانه انه استجاب دعا لوط ع وبعث جبرائيل ع ومعه
الملائكة لتعذيب قومه بقوله ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى اى يبشرونه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية يعنون قوم لوط ع وانما قالوا هذا لان قريتهم كانت قريبة من قرية ابرهيم ع ان اهلها كانوا ظالمين
[illegible] ركين مرتكبين للفواحش قال ابرهيم ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا في جوابه نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
اى لنخلصن لوطا من العذاب باخراجه منها ولنخلصن ايضا اهله المؤمنين منهم الا امرأته فانها تبقى في العذاب لا تنجوا منه
وذلك قوله كانت من الغابرين اى من الباقين في العذاب ولما ان جاءت رسلنا لوطا ان هذه مزيدة سيء بهم معناه
جيء لوط بالملائكة اى ساءه مجيئهم لما رآهم في احسن صورة لما كان يعلمه من خبث فعل قومه عن قتادة وقيل معناه سيء بقومه
لما علم من عظيم البلاء النازل بهم وضاق بهم ذرعا اى ضاق قلبه وقيل ضاقت حيلته فيما اراد من حفظهم وصيانتهم عن
لحباني فلما رأى الملائكة حزنه وضيق صدره قالوا لا تخف علينا وعليك ولا تحزن بما نفعله بقومك وقيل لا تخف ولا تحزن علينا
فانا رسل الله لا يقدرون علينا انا منجوك واهلك من هذا العذاب الا امرأتك الكافرة كانت من الغابرين اى الباقين
في العذاب انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا اى عذابا من السماء بما كانوا يفسقون اى يخرجون من طاعة الله الى معصيته
اى جزاء بفسقهم ولقد تركنا منها آية بينة اى تركنا من تلك القرية عبرة واضحة ودلالة على قدرتنا قال قتادة هي الحجارة التى
امطرت عليهم وقال ابن عباس هي آثار منازلهم الخربة وقال مجاهد هي الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون ذلك و
يبصرونه ويتفكرون فيه ويتعظون به فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله واتخاذ شريك معه في العبادة قوله تعالى والى مدين
اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون
وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون خمس آيات اللغة الرجفة زعزعة الارض تحت القدم يقال رجف
السطح من تحت اهله يرجف رجفا ورجفة شديدة والبحر رجاف لاضطرابه وارجف الناس بالشيء اى اخبروا بما يضطرب لاجله
من غير تحقق به والحاصب الريح العاصف التى فيها الحصباء وهي الحصى الصغار ويشبه به البرد والجليد قال الفرزدق مستقبلين
شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور وقال الاخطل ولقد علمت اذا العشار تروحت هدج الرئال تكبهن شمالا
ترمى العضاه بحاصب من ثلجها حتى يبيت على العضاه جفالا والخسف سؤوخ الارض بما عليها يقال خسف الله به الارض
وخسف القمر باذهاب نوره والخسوف للقمر والكسوف للشمس الاعراب اخاهم ينتصب بفعل مضمر والتقدير وارسلنا الى مدين
اخاهم وعادا منصوب بفعل مضمر تقديره واهلكنا عادا وثمودا وقد تبين فاعله مضمر تقديره وقد تبين اهلاكهم لكم وكانوا
مستبصرين في موضع نصب على الحال ليظلمهم اللام لتاكيد النفي ولا يجوز اظهار ان بعده المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم
فقال والى مدين اى وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا وهذا مفسر فيما مضى قال يا قوم اعبدوا الله بدأ بالدعاء الى التوحيد و
العبادة وارجوا اليوم الآخر اى واملوا ثواب اليوم الآخر واخشوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب السيئات ولا تعثوا في الارض
مفسدين اى لا تعثوا في الارض بالفساد ثم اخبر ان قومه كذبوه ولم يقبلوا منه فعاقبهم الله وذلك قوله فاخذتهم الرجفة
وقد مر بيانه فاصبحوا في دارهم جاثمين اى باركين على ركبهم ميتين وعادا وثمودا اى واهلكنا ايضا عادا وثمودا جزاء لهم على كفرهم
وقد تبين لكم معاشر الناس كثير من مساكنهم وقيل معناه وقد ظهر لكم يا اهل مكة من منازلهم بالحجر واليمن آية في هلاكهم وزين
لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اى فمنعهم عن طريق الحق وكانوا مستبصرين وكانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحق و
الباطل ولكنهم اغفلوا ولم يتدبروا وقيل معناه انهم كانوا مستبصرين عند انفسهم فيما كانوا عليه من الضلالة يحسبونه انهم على هدى

عشر

عن قتادة والكلبي وقارون اي واهلكنا قارون وفرعون وهامان ولقد جآءهم موسى بالبينات اي بالحجج الواضحات من
قلب العصى واليد البيضا وفلق البحر وغيرها فاستكبروا اي طلبوا التجبر في الارض ولم ينقادوا للحق وما كانوا سابقين اي فائتين
الله كما يفوت السابق فكلا اخذنا بذنبه اي فاخذنا كلا من هؤلاء بذنبه وعاقبناهم بتكذيبهم الرسل فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا اي حجارة وقيل ريحا فيها حصباء وهم قوم لوط عن ابن عباس وقتادة وقيل هم عاد ومنهم من اخذته الصيحة وهم ثمود
قوم شعيب عن ابن عباس وقتادة والصيحة العذاب وقيل صاح بهم جبرائيل فهلكوا ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون
ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم فيعذبهم على غير ذنب او قبل ازاحة العلة ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بكفرهم وتكذيبهم الرسل وفي هذا دلالة واضحة على فساد مذهب اهل الجبر فان الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمونه
لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك **قوله تعالى** مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن
دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن
دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ خمس آيات **القراءة** قرا اهل البصرة وعاصم الا الاعشى والبرجمي ما يدعون بالياء والباقون بالتاء **الحجة** قال ابو علي
التاء على قوله قل لهم ان الله يعلم ما تدعون لا يكون الا على هذا لان المسلمين لا يخاطبون بذلك وما استفهام وموضعه نصب
بيدعون ولا يجوز ان يكون نصبا بيعلم ولكن صار الجملة التي هي منها في موضع نصب بيعلم ولا يكون يعلم بمعنى يعرف كقوله ولقد علمتم
الذين اعتدوا منكم في السبت لان ذلك لا يلغى وما لا يلغى لا يعلق ويبعد ذلك دخول من في الكلام وهي انما يدخل في نحو قولك هل من
طعام وهل من رجل ولا يدخل في الايجاب وهذا قول الخليل وكذلك قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار المعنى فستعلمون
المسلم تكون له عاقبة الدار ام الكافر وكل ما كان من هذا فهكذا القول فيه وهو قياس قول الخليل **اللغة** جمع العنكبوت عناكب وتصغيره
عنيكب ووزنه فعللوت وهو يذكر ويؤنث قال الشاعر على هطالهم منهم بيوت كان العنكبوت هو ابتناها ويقال في غير العنكباء
المعنى ثم شبه سبحانه حال الكافرين الذين اتخذوا من دونه آلهة بحال العنكبوت فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
اي شبه من اتخذوا الاصنام آلهة يريدون نصرها ونفعها وضرها والرجوع اليها عند الحاجة كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
لنفسها لتأوي اليه فكما ان بيت العنكبوت لا يغني عنها شيئا لكونه في غاية الوهن والضعف ولا يجدي نفعا كذلك الاصنام لا تملك
لهم خيرا ولا شرا ولا نفعا وضرا والولي هو المتولي للنصرة وهو ابلغ من الناصر لان الناصر قد يكون ناصرا بان يأمر غيره بالنصرة والولي هو
الذي يتولى النصرة بنفسه وان اوهن البيوت اي اضعفها لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون صحة ما اخبرناهم به ويتحققونه ولو متعلقة
بقوله اتخذوا اي لو علموا ان اتخاذهم الاولياء كاتخاذ العنكبوت بيتا ضعيفا لم يتخذوهم اولياء ولا يجوز ان يكون متعلقة بقوله وان
اوهن البيوت لبيت العنكبوت لانهم كانوا يعلمون ان بيت العنكبوت واه ضعيف ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء
وهذا وعيد منه سبحانه ومعناه انه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفار وما يتخذونه من دونه اربابا وهو العزيز الذي لا يغالب فيما
يريده الحكيم في جميع افعاله وتلك الامثال نضربها وهي الاشباه والنظاير يعني امثال القرآن نضربها للناس اي نذكرها لهم
لندعوهم الى المعرفة والتوحيد ونعرفهم قبح ما هم فيه من عبادة الاصنام وما يعقلها الا العالمون اي وما يفهمها الا من يعلم
وجه الشبه بين المثل والممثل به وقيل معناه وما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله وروى الواحدي بالاسناد
عن جابر قال تلى النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية وقال العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ثم بين سبحانه
ما يدل على الهيته واستحقاقه للعبادة فقال خلق الله السموات والارض اي اخرجهما من العدم الى الوجود ولم يخلقهما عبثا
بل خلقهما ليسكنهما خلقه وليستدلوا بهما على اثباته ووحدانيته بالحق اي على وجه الحكمة وقيل معناه للحق واظهار الحق ان في
ذلك لآية للمؤمنين لانهم المنتفعون بذلك ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني القرآن اي اقراه على



المكلفين

المكلفين واعمل بما تضمنه واقم الصلوة اى ادها بحدودها فى مواقيتها ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفى هذا دلالة على ان
فعل الصلوة لطف للمكلف فى ترك القبيح والمعاصى التى ينكرها العقل والشرع فان انتهى عن القبيح يكون توفيقا والا فقد اتى
المكلف من قبل نفسه وقيل ان الصلوة بمنزلة الناهى بالقول اذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر وذلك لان فيها التكبير والتسبيح والقراءة
والوقوف بين يدى الله تعالى وغير ذلك من صنوف العبادة وكل ذلك يدعوا الى شكله ويصرف عن ضده فيكون مثل الامر والنهى
بالقول وكل دليل مؤد الى المعرفة بالحق فهو داع اليه وصارف عن الباطل الذى هو ضده وقيل معناه ان الصلوة تنهى صاحبها
عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل معناه انه ينبغى ان تنهاه كقوله ومن دخله كان آمنا وقال ابن عباس فى الصلوة منتهى ومزدجر
عن معاصى الله فمن لم تنهه صلوته عن المعاصى لم تزده من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء
والمنكر فليست صلوته بصلوة وهى وبال عليه وروى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وآله قال من لم تنهه صلوته عن الفحشاء
والمنكر لم تزده من الله الا بعدا وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله قال لا صلوة لمن لم يطع الصلوة وطاعة الصلوة
ان ينتهى عن الفحشاء والمنكر ومعنى ذلك ان الصلوة اذا كانت ناهية عن المعاصى فمن اقامها ثم لم ينته عن المعاصى
لم تكن صلوته بالصفة التى وصفها الله بها فان تاب من بعد وترك المعاصى فقد تبين ان صلوته كانت نافعة له ناهية
وان لم ينته الا بعد زمان وروى انس ان فتى من الانصار كان يصلى الصلوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ويرتكب
الفواحش فوصف ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال ان صلوته تنهيه يوما ما وعن جابر قال قيل لرسول الله
صلى الله عليه وآله ان فلانا يصلى بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروى اصحابنا عن ابى عبد الله عليه السلام
قال من احب ان يعلم قبلت صلوته ام لم تقبل فلينظر هل منعته صلوته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعته قبلت منه
ولذكر الله اكبر اى ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته عن ابن عباس وسلمان وابن مسعود ومجاهد وقيل معناه ذكر
العبد لربه اكبر مما سواه وافضل من جميع اعماله عن سلمان فى رواية اخرى وقتادة وابن زيد وروى ذلك عن ابى الدرداء وعلى
هذا فيكون تاويله ان اكبر شئ فى النهى عن الفواحش ذكر العبد ربه وامره ونواهيه وما اعده من الثواب والعقاب
فانه اقوى لطف يدعوا الى الطاعة وترك المعصية وهو اكبر من كل لطف وقيل معناه ذكر الله العبد فى الصلوة اكبر من الصلوة
عن ابى مالك وقيل ان ذكر هو التسبيح والتهليل وهو اكبر واحرى بان ينهى عن الفحشاء والمنكر عن الفراء اى من كان ذاكرا لله فيجب
ان ينهاه ذكره عن الفحشاء والمنكر وروى عن ثابت البنانى قال ان رجلا اعتق اربع رقاب فقال رجل آخر سبحان الله و
الحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ثم دخل المسجد فاتى حبيب بن ارقى السلمى واصحابه فقال ما تقولون فى رجل اعتق اربع رقاب
وانى اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فايهما افضل فنظروا هنيئة وقالوا ما نعلم شيئا افضل من ذكر الله وعن
معاذ بن جبل قال ما عمل ادمى عملا انجى له من عذاب الله من ذكر الله قيل ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد قال الله عز وجل
ولذكر الله اكبر وعنه قالت سال رسول الله صلى الله عليه وآله اى الاعمال احب الى الله عز وجل قال ان تموت ولسانك رطب
من ذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وآله يا معاذ ان السابقين الذين يسهرون بذكر الله عز وجل ومن احب ان يرتع فى
رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وروى عن عطا بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال ابن عباس ارايت قول الله عز
وجل ولذكر الله اكبر قال قلت ذكر الله بالقران حسن وذكره بالصلوة حسن وبالتسبيح والتكبير وافضل من ذلك ان يذكر الرجل ربه
عند المعصية فينحجز عنها فقال ابن عباس لقد قلت قولا عجيبا وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه والله يعلم ما تصنعون
من خير وشر فيجازيكم بحسبه **قوله تعالى** ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى
انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون
به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو
آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين

عشر

خمس آيات القراءة قرا ابن كثير واهل الكوفة غير حفص وقتيبة آية من ربه على التوحيد والباقون آيات على الجمع الحجة قال ابو على
الافراد قوله فليأتنا باية وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية وحجة الجمع ان فى حرف ابى زعموا
لولا يأتينا بآيات من ربه قل انما الآيات، وقد يقع آية على لفظ الواحد ويراد به الكثرة كما جاء وجعلنا ابن مريم وامه آية وليس فى قوله
قل انما الآيات عند الله دلالة على ترجيح من قرأ آيات لانهم لما اقترحوا آية قيل الآيات عند الله والمعنى الآية التى اقترحتموها وآيات اخر
لم تقترحوها اللغة اصل الجدال شدة الفتل يقال جدلته اجدله جدلا اذا فتلته فتلا شديدا والجدال فتل الخصم عن مذهب بطريق
الحجاج فيه وقيل ان اصله من الجدالة وهى الارض فان كل واحد من الخصمين يروم ان يلقى صاحبه بالجدالة والخط معروف والارتياب
والريبة شك مع تهمة الاعراب الذين ظلموا منهم فى محل نصب على الاستثناء من اهل الكتاب وكذلك انزلنا اليك الكتاب تقديره
وكما انزلنا الى اهل الكتاب الكتاب انزلنا اليك الكتاب اذا لارتاب المبطلون اللام للقسم وفى الكلام حذف تقديره ولو خططته
بيمينك او تلوت قبله كتابا اذا لارتاب والله اعلم به من ربه فى موضع رفع بانه صفة آية المعنى لما تقدم الامر بالدعاء الى الله سبحانه بين
عقيبه كيف يدعوهم وكيف يجادلهم فقال ولا تجادلوا اهل الكتاب وهم نصارى بنى نجران وقيل اليهود والنصارى الا بالتى هى احسن
اى بالطريقة التى هى احسن فانما يكون احسن اذا كانت المناظرة برفق ولين لارادة الخير والنفع ومثله قوله فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشى والاحسن الاعلى فى الحسن من جهة قبول العقل له وقد يكون ايضا الاعلى فى الحسن من جهة قبول الطبع وقد
يكون فى الامرين جميعا وفى هذا دلالة على وجوب الدعاء الى الله تعالى على احسن الوجوه والطفها واستعمال القول الجميل فى
التنبيه على آيات الله وحججه الا الذين ظلموا منهم اى الا من ابى ان يقر بالجزية منهم ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا
او يعطوا الجزية عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل الا الذين ظلموا منهم بالعناد وكتمان صفة نبينا صلى الله عليه وآله بعد العلم
به عن ابى مسلم وقيل الا الذين ظلموا منهم بالاقامة على الكفر بعد قيام الحجة عليهم عن ابن زيد والا وجدان يكون معناه الا الذين
ظلموك فى جدالهم او فى غيره مما يقتضى الاغلاظ لهم فيجوز ان تسلكوا معهم طريقة الغلظة وقيل ان الآية منسوخة بآية السيف
عن قتادة والصحيح انها غير منسوخة لان الجدال على الوجه الاحسن هو الواجب الذى لا يجوز غيره وقولوا لهم فى الجدال لهم وفى
الدعوة الى الدين آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم اى بالكتاب الذى انزل الينا والكتاب الذى انزل اليكم والهنا والهكم
واحد لا شريك له ونحن له مسلمون اى مخلصون طائعون وكذلك اى ومثل ما انزلنا الكتاب على عيسى وموسى انزلنا
اليك الكتاب وهو القرآن فالذين آتيناهم الكتاب اى علم الكتاب فحذف المضاف يؤمنون به يعنى مؤمنى اهل الكتاب
مثل عبد الله بن سلام ونظرائه ومن هؤلاء يعنى كفار مكة من يؤمن به يعنى من اسلم منهم ويجوز ان يكون الهاء فى به راجعة
الى النبى صلى الله عليه وآله ويجوز ان تكون راجعة الى القرآن ويحتمل ايضا ان يريد بقوله الذين آتيناهم الكتاب المسلمين
والكتاب القرآن ومن هؤلاء يعنى من اليهود والنصارى من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون اى وما ينكر دلالاتنا
الا الكافرون ولا يضرك جحودهم ثم خاطب نبيه ع فقال وما كنت تتلوا من قبله من كتاب اى وما كنت يا محمد تقرأ قبل
القرآن كتابا والمعنى انك لم تكن تحسن القراءة قبل ان يوحى اليك بالقرآن ولا تخطه بيمينك معناه ولا كنت ايضا تكتبه بيدك
اذا لارتاب المبطلون اى ولو كنت تقرأ كتابا او تكتبه لوجد المبطلون طريقا الى اكتساب الشك فى امرك والقاء الريبة
لضعفة الناس فى نبوتك ولقالوا انما يقرأ علينا ما جمعه من كتب الاولين فلما ساويتهم فى المولد والمنشأ ثم أتيت بما عجزوا
عنه وجب ان يعلموا انه من عند الله تعالى وليس من عندك اذ لم تجر العادة ان ينشأ الانسان بين قوم يشاهدون احواله
من عند صغره الى كبره ويرونه فى حضره وسفره لا يتعلم شيئا من غيره ثم يأتى من عنده بشئ يعجز الكل عنه وعن بعضه ويقرأ عليهم
اقاصيص الاولين قال السيد الاجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه هذه الآية تدل على ان النبى ع ما كان يحسن
الكتابة قبل النبوة فاما بعد النبوة فالذى نعتقده فى ذلك التجويز لكونه عالما بالقراءة والكتابة والتجويز لكونه غير عالم بهما من
غير قطع على احد الامرين وظاهر الآية يقتضى ان النفى قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ولان التعليل فى الآية يقتضى

اختصاص النبي بما قبل النبوة لان المبطلين انما يرتابون في نبوته عم لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة فاما بعد النبوة
فلا يتعلق له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون تعلمها من جبرائيل عم بعد النبوة ثم قال سبحانه بل هو آيات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم يعني ان القرآن دلالات واضحات في صدور العلماء وهم النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون به لانهم حفظوه
ووعوه ورسخ معناه في قلوبهم عن الحسن وقيل هم الائمة من آل محمد عم عن ابي جعفر وابي عبد الله عم وقيل ان هو كناية
عن النبي صلى الله عليه وآله اي ان في كونه اميا لا يقرأ ولا يكتب آيات بينات في صدور العلماء من اهل الكتاب لانه منعوت
في كتبهم بهذه الصفة عن الضحاك وقال قتادة المراد به القرآن واعطي هذه الامة الحفظ ومن كان قبلها لا يقرؤن الكتاب
الا نظرا فاذا اطبقوه لم يحفظوا ما فيه الا النبيين وما يجحد بآياتنا الا الظالمون الذين ظلموا انفسهم بترك النظر فيها والعناد
لها بعد حصول العلم لهم بها وقيل يريد بالظالمين كفار اليهود وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه آية من ربه اراد به
الآيات التي اقترحوها في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات وان تجعل الصفا ذهبا وقيل
انهم سألوا آية كآية موسى عم فلق البحر وقلب العصا حية وجعلوا ما اتى به من المعجزات غير آية وجهة القاء للشبهة بين
العوام فقال الله تعالى قل يا محمد لهم انما الآيات عند الله ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده وينزل على كل نبي
منها ما هو اصلح له ولامته ولذلك لم تتفق آيات الانبياء كلها وانما جاء كل نبي ببعض منها وانما انا نذير مبين اي منذر مخوف
من معصية الله مظهر طريقي الحق والباطل وقد فعل الله ما يشهد بصدقي من المعجزات قوله تعالى أولم يكفهم أنا أنزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون * قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات
والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون * ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب
وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون * يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين * يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون * خمس آيات القراءة قرأ نافع واهل الكوفة ويقول بالياء والآخرون
بالنون الحجة قال ابو علي ويقول اي ويقول الموكل بعذابهم ذوقوا كقوله والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اي يقولون
لهم ومن قرأ بالنون فلان ذلك لما كان بامره سبحانه جاز ان ينسب اليه والمعنى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون وانما قيل ذوقوا
الوصول ذلك الى المعذبين واتصاله بهم كوصول الذوق الى الذائق قال دونك ما جنيته فاحس وذق الاعراب يتلى في موضع
نصب على الحال من الكتاب اي يتلو عليهم يعلم ما في السموات يجوز ان يكون صفة لقوله شهيدا ويجوز ان يكون حالا ويجوز
ان يكون جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وليأتينهم اللام جواب قسم مقدر بغتة منصوب على الحال يوم يغشاهم ظرف
بقوله لمحيطة المعنى لما تقدم طلبهم للآيات اجابهم سبحانه فقال اولم يكفهم انا انزلنا عليك يا محمد الكتاب اي القرآن يتلى عليهم
بين سبحانه ان في انزال القرآن دلالة واضحة ومعجزة لائحة وحجة بالغة تنزاح معها العلة وتقوم به الحجة فلا يحتاج في الوصول
الى العلم بصحة نبوته الى غيره على ان اظهار المعجزات مع كونها ازاحة للعلة يراعى فيه المصلحة فاذا كانت المصلحة في
اظهار نوع منها لم يجز اظهار غيرها ولو اظهر الله سبحانه الآيات التي اقترحوها ثم لم يؤمنوا لاقتضت الحكمة اهلاكهم بعذاب
الاستئصال كما اقتضت ذلك في الامم السالفة وقد وعد الله سبحانه ان لا يعذب هذه الامة بالاستئصال وفي هذا دلالة على ان
القرآن كاف في المعجز وانه في اعلى درجات الاعجاز لانه جعله كافيا عن جميع المعجزات والكفاية بلوغ حد يغني عن الحاجة ان في
ذلك معناه ان في القرآن لرحمة اي نعمة عظيمة الموقع لان من تبعه وعمل به نال الثواب وفاز بالجنة وذكرى اي وتذكيرا وعظة
لقوم يؤمنون اي يصدقون به وقيل ان قوما من المسلمين كتبوا اشياء من كتب اهل الكتاب فهددهم سبحانه في هذه الآية ونهاهم
عنه وقال النبي صلى الله عليه وآله جئتكم بها بيضاء نقية قل يا محمد كفى بالله بيني وبينكم شهيدا لي بالصدق والابلاغ وعليكم
بالتكذيب والعناد وشهادة الله له قوله محمد رسول الله وهو في كلام معجز قد ثبت انه من الله سبحانه وقيل ان شهادة الله له
اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه يعلم ما في السموات والارض فيعلم اني على الهدى وانكم على الضلالة والذين آمنوا

بالباطل اى صدقوا بغير الله عن ابن عباس وقيل بعبادة الشيطان عن مقاتل وكفروا بالله جحدوا وحدانية الله اولئك هم
الخاسرون خسروا ثواب الله بارتكاب المعاصي والجحود بالله ويستعجلونك بالعذاب يا محمد اى يسئلونك نزول العذاب عاجلا
لجحودهم صحة ما يتوعدهم به كما قال النضر بن الحارث امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى اى وقت قدره الله تعالى ان
يعاقبهم فيه وهو يوم القيمة او اجل قدره الله ان يبقيهم اليه لضرب من المصلحة لجاءهم العذاب الذى استحقوه وليأتينهم العذاب
بغتة وهم لا يشعرون بإتيانه ووقت مجيئه ثم ذكر ان موعد عذابهم النار فقال يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين يعنى العذاب وان لم يأتهم فى الدنيا فان جهنم محيطة بهم اى جامعة لهم وهم معذبون فيها لا محالة يوم يغشيهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم يعنى ان العذاب يحيط بهم كلا انه يصل الى موضع منهم دون موضع فلا يبقى جزء منهم الا وهو معذب
فى النار عن الحسن وهذا كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون اى جزاء عملكم وافعالكم القبيحة

قوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياى فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا
وعلى ربهم يتوكلون وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم خمس آيات القراءة

قرا ابو جعفر يرجعون بالياء ويحيى عن ابى بكر وهشام والباقون بالتاء وقرا اهل الكوفة غير عاصم لنثوينهم بالثاء والباقون
لنبوئنهم بالباء الحجة قال ابو على اما يرجعون بالياء فلان الذى قبله على لفظ الغيبة وترجعون بالتاء على انه انتقل من
الغيبة الى الخطاب مثل اياك نعبد بعد قوله الحمد لله وحجة من قرا لنبوئنهم بالباء قوله ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق واذ بوأنا
لابرهيم مكان البيت وتكون اللام هنا زائدة كزيادتها فى قوله ردف لكم ويجوز ان يكون بوأنا الدعاء ابرهيم ويكون المفعول محذوفا
اى بوأنا الدعاء ناسا مكان البيت ومن قرا لنثوينهم فحجته قوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين اى مقيما نازلا فيهم قال الاعشى اثوى
وقصر ليلة ليزودا ومضى واخلف من قتيلة موعدا وقال حسان ثوى فى قريش بضع عشرة حجة اى اقام فيهم فاذا تعدى بحرف
جر فيه زيدت عليه الهمزة وجب ان يتعدى الى المفعول الثانى بحرف جر وليس فى الآية حرف جر قال ابو الحسن قراءة الاعمش
لنثوينهم من الجنة غرفا ولا يعجبنى لانك لا تقول اثويته الدار قال ابو على ووجهه انه كان فى الاصل لنثوينهم من الجنة فى غرف
كما تقول لننزلنهم من الجنة فى غرف وحذف الجار كما حذف من قولك امرتك الخير فافعل ما امرت ويقوى ذلك ان الغرف وان
كانت اماكن مختصة فقد اجريت المختصة من هذه الحروف مجرى غير المختص نحو قوله كما عسل الطريق الثعلب ونحو ذهبت
الشام عند سيبويه الاعراب خالدين نصب على الحال من الهاء والميم الذين صبروا فى موضع جر صفة للعاملين ويكون المخصوص
بالمدح محذوفا اى نعم اجر العاملين الصابرين المتوكلين اجرهم ويجوز ان يكون المضاف محذوفا اى نعم اجر العاملين اجر
الذين صبروا فحذف المخصوص بالمدح واقام المضاف اليه مقامه وكاين من دابة لا تحمل رزقها موضع كاين مرفوع ومن دابة
فى موضع التبيين له وقوله لا تحمل رزقها صلة المجرور ويكون قوله الله مبتدأ ويرزقها خبره والجملة خبر كاين النزول قيل نزلت
الآية الاولى فى المستضعفين من المؤمنين بمكة امروا بالهجرة عنها عن مقاتل والكلبى وقوله وكاين من دابة لا تحمل رزقها فى جماعة كانوا
بمكة يؤذيهم المشركون فامروا بالهجرة الى المدينة فقالوا كيف نخرج اليها وليس لنا بها دار ولا عقار ومن يطعمنا ومن يسقينا المعنى
ثم بين سبحانه انه لا عذر لعباده فى ترك طاعته فقال يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة بعد اقطارها فاهربوا من ارض
يمنعكم اهلها من الايمان والاخلاص فى عبادتى وقال ابو عبد الله ع معناه اذا عصى الله فى ارض انت بها فاخرج منها الى غيرها
وقيل معناه ان ارض الجنة واسعة عن الجبائى واكثر المفسرين على القول الاول فاياى فاعبدون اى اعبدونى خالصا ولا تطيعوا
احدا من خلقى فى معصيتى واياى منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده وتقدير بيانه وقيل ان دخول الفاء للجزاء والتقدير ان ضاق
بكم موضع فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى ان ارضى واسعة امر سبحانه المؤمنين اذا كانوا فى بلدة لا يتهيأ لهم فيه امر دينهم ان ينتقلوا عنه
الى غيره ثم خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فقال كل نفس ذائقة الموت اى كل نفس احياها الله بحيات خلقها فيها ذائقة مرارة الموت

عشر

١٦٧

بأي ارض كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت ثم الينا ترجعون بعد الموت فيجازيكم باعمالكم ثم ذكر سبحانه ثواب من هاجر فقال والذين آمنوا وعملوا الصلحات يعني المهاجرين لنبوئنهم اي لننزلنهم من الجنة غرفا اي علالي عاليات تجري من تحتها الانهار قال ابن عباس لنسكننهم غرف الدر والزبرجد والياقوت ولننزلنهم قصور الجنة خالدين فيها يبقون فيها ببقاء الله نعم اجر العاملين لله الغرف ثم وصفهم فقال الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه لشدة نالتهم واذى لحقهم وصبروا على مشاق الطاعات وعلى ربهم يتوكلون في مهمات امورهم ومهاجرة دورهم ثم قال وكاين من دابة لا تحمل رزقها اي وكم من دابة لا يكون رزقها مدخرا معها الحسن وقيل معناه لا تطيق حمل رزقها لضعفها وتاكل باقواهها عن مجاهد وقيل ان الحيوان اجمع من البهايم والطيور وغيرها مما يدب على وجه الارض لا تدخر القوت لغدها الا ابن آدم والنملة والفارة بل تاكل منه قدر كفايتها فقط عن ابن عباس الله يرزقها واياكم اي يرزق تلك الدواب الضعيفة التي لا تقدر على حملها رزقها ويرزقكم ايضا فلا تتركوا الهجرة بهذا السبب وعن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر وياكل فقال يا ابن عمر مالك لا تاكل فقلت لا اشتهيه يا رسول الله قال لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولو شئت لدعوت ربي فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت مع قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم اي السميع لاقوالكم عند مفارقة اوطانكم العليم باحوالكم لا يخفى عليه شيء من سركم وعلانيتكم

قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون ۝ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ۝ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون ۝ وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ۝ فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون ۝ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ۝ اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ۝ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين ۝ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين تسع آيات القراءة

قرا ابن كثير وقالون واهل الكوفة غير عاصم الا الاعشى والبرجمي وليتمتعوا ساكنة اللام والباقون وليتمتعوا بكسر اللام الحجة قال ابو علي من كسر اللام وجعلها الجارة كانت متعلقة بالاشراك المعنى يشركون ليكفروا اي لا فائدة لهم في الاشراك الا الكفر وليس يرد عليه الشرك نفعا الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة ومن قال ليكفروا واراد الامر كان على معنى التهديد والوعيد كقوله واستفزز من استطعت واعملوا ما شئتم ويدل على ذلك في موضع آخر فتمتعوا فسوف تعلمون والاسكان في لام الامر سائغ اللغة قال ابو عبيدة الحيوان والحيوة واحد وهما مصدران حي حيوة وحيوانا والحيوان عرض يصير الاجزاء بمنزلة الشيء الواحد حتى يصح ان يكون قادرا عالما وخاصية الحيوة الادراك والتخطف تناول الشيء بسرعة ومنه اختطاف الطير لصيده الاعراب انى في قوله فانى يؤفكون منصوب الموضع فيجوز ان يكون حالا من يؤفكون والتقدير امنكرين تؤفكون ويجوز ان يكون مصدرا تقديره اي افك يؤفكون ويتخطف الناس من حولهم جملة في موضع الحال المعنى ثم عجب سبحانه رسوله والمؤمنون من ايمان المشركين بالباطل مع اعترافهم بان الله هو الخالق الفاعل فقال ولئن سألتهم اي ان سألت يا محمد هؤلاء المشركين من خلق السموات والارض اي من انشاهما واخرجهما من العدم الى الوجود وسخر الشمس والقمر اي من ذللهما سيرهما في دورانهما على طريقة واحدة لا تختلف ليقولن في جواب ذلك الله الفاعل لذلك لانهم كانوا يقولون بحدوث العالم والنشاة الاولى فانى يؤفكون اي فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء ويقدر اي ويضيق ذلك على حسب ما يقتضيه المصلحة وانما خص بذكر الرزق على الهجرة لئلا يخلفهم عنها خوف العيلة ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالح عباده فيرزقهم بحسبها ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن في الجواب عن ذلك الله قل يا محمد عند ذلك الحمد لله على كمال قدرته وتمام نعمته وعلى ما وفقنا للاعتراف بتوحيده والاخلاص في عبادته ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون توحيد

ع ٣

خمس

نصف الحزب

ربهم مع اقرارهم بانه خالق الاشياء ومنزل المطر من السماء لانهم لا يتدبرون ويعمون عن الطريق المفضى الى الحق بعد لعنه لكانهم لا يعقلون
وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب لانها تزول كما يزول اللهو واللعب ويستمتع بها الانسان مدة ثم تنصرم وتنقطع وان الدار
الآخرة يعنى الجنة لهى الحيوان اى الجنة على الحقيقة لانها الدائمة الباقية التى لا زوال لها ولا موت فيها تقديره وان الدار الآخرة لهى
دار الحيوان فان الحيوان مصدر كالنزوان والغليان فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والمعنى ان حيوة الدار الآخرة هى
الحيوة التى لا تنغيص فيها ولا تكدر لو كانوا يعلمون الفرق بين الحيوة الفانية والحيوة الباقية الدائمة اى لو علموا لرغبوا فى الباقى
وزهدوا فى الفانى ولكنهم لا يعلمون ذلك فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اخبر سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال
انهم اذا ركبوا فى السفن فى البحر وهاجت به الرياح وتلاطمت الامواج وخافوا الهلاك اخلصوا الدعاء لله موقنين انه لا
يكشف السوء الا هو وتركوا شركاءهم فلم يطلبوا منهم انجاءهم فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اى فلما خلصهم الى البر وامنوا
الهلاك عادوا الى ما كانوا عليه من الاشراك معه فى العبادة ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ان جعلت اللام
لام الامر فمعناه التهديد اى ليجحدوا نعم الله فى انجائه اياهم وليتمتعوا بها فى عمرهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وان جعلتها
لام كى فالمعنى انهم يشركون ليكفروا وقد مر معناه اولم يروا اى الم يعلم هؤلاء الكفار انا جعلنا حرما آمنا يأمن اهله فيه من
القتل والغارة ويتخطف الناس من حولهم اى يقتل بعضهم بعضا ويسبى بعضهم بعضا فيما حولهم وهم آمنون فى الحرم ذكرهم
سبحانه النعمة بذلك ليذعنوا له بالطاعة ويزجروا عن عبادة غيره ثم قال مهددا لهم افبالباطل يؤمنون اى ايصدقون بعبادة
الاصنام وهى باطلة مضمحلة وبنعمة الله التى انعم بها عليهم هم يكفرون ثم قال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا ظالم اظلم
ممن اضاف الى الله ما لم يقله من عبادة الاصنام وغيرها او كذب بالحق اى بالقرآن وقيل بمحمد لما جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين
هذا استفهام تقرير اى ما لهؤلاء الكفار المكذبين مأوى فى جهنم وهذا مبالغة فى ايجاب الوعيد لهم والذين جاهدوا فينا اى جاهدوا
الكفار ابتغاء مرضاتنا وطاعة لنا وجاهدوا انفسهم فى هواها خوفا منا وقيل معناه اجتهدوا فى عبادتنا رغبة فى ثوابنا ورهبة من
عقابنا لنهدينهم سبلنا اى لنهدينهم السبل الموصلة الى ثوابنا عن ابن عباس وقيل لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم وقيل
معناه والذين جاهدوا فى اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقيل معناه والذين يعملون بما يعلمون لنهدينهم الى ما لا يعلمون وان الله
لمع المحسنين بالنصر والمعونة فى دنياهم والثواب والمغفرة فى عقباهم وبالله التوفيق سورة الروم وهى مكية قال الحسن الا
قوله فسبحان الله حين تمسون وحين الآية عدد آيها تسع وخمسون آية مكى والمدنى الاخير والباقون ستون آية اختلافها
اربع آيات الم كوفى غلبت الروم غير المكى والمدنى الاخير فى بضع سنين غير الكوفى والمدنى الاول يقسم المجرمون المدنى الاول فضلها
ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال ومن قرأها كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض
وادرك ما ضيع فى يومه وليلته تفسيرها اجمل فى آخر العنكبوت ذكر المجاهدين ثم فصل فى هذه السورة فقال بسم الله الرحمن الرحيم
الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون سبع آيات اللغة قال الزجاج الغلب والغلبة مصدر غلبت مثل الجلب والجلبة
والغلبة الاستيلاء على القرن بالقهر والبضع القطعة من العدد ما بين الثلثة الى العشرة فهو من بضعته اذا قطعته تبضيعا ومنه
البضاعة القطعة من المال تعد فى التجارة قال المبرد البضع ما بين العقدين فى جميع الاعداد والفرح والسرور نظيران ونقيضهما
الغم وليس شئ من ذلك بمعنى والصحيح من جنس الاعتقاد الاعراب من بعد غلبهم تقديره من بعد ان غلبوا فالمصدر مضاف الى
المفعول وعد الله مصدر مؤكد لان قوله سيغلبون وعد من الله المؤمنين والمعنى وعد الله ذلك وعدا المعنى الم مر تفسيره
غلبت الروم قال المفسرون غلبت فارس الروم وظهروا عليهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وفرح بذلك كفار قريش من
حيث ان اهل فارس لم يكونوا اهل الكتاب وساء ذلك المسلمين وكان بيت المقدس لاهل الروم كالكعبة للمسلمين فدفعهم فارس عنه

وقوله في ادنى الارض اى في ادنى الارض من ارض العرب عن الزجاج وقيل في اذنى الارض من ارض الشام الى ارض
فارس يريد الجزيرة وهى اقرب ارض الروم الى فارس عن مجاهد وقيل يريد اذرعات وكسكر عن عكرمة وهم يعنى الروم
من بعد غلبهم سيغلبون اى من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس في بضع سنين وهذه من الآيات الدالة على ان
القرآن من عند الله عز وجل لان فيه انباء ما سيكون ولا يعلم ذلك الا الله عز وجل لله الامر من قبل ومن بعد اى من قبل ان
غلبت الروم ومن بعد ما غلبت فان شاء جعل الغلبة لاحد الفريقين على الآخر وان شاء جعل الغلبة للفريق الآخر عليهم وان
شاء اهلكهما جميعا ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله اى ويوم يغلب الروم فارسا يفرح المؤمنون بدفع الروم فارسا
عن بيت المقدس لا بغلبة الروم على بيت المقدس فانهم كفار ويفرحون ايضا لوجه آخر وهو اغتمام المشركين بذلك و
لتصديق خبر الله عز وجل وخبر رسوله ولانه مقدمة لنصرهم على المشركين ينصر الله من يشاء من عباده وهو العزيز في الانتقام
من اعدائه الرحيم بمن اناب اليه من خلقه وعد الله اى وعد الله ذلك لا يخلف الله وعده بظهور الروم على فارس
ولكن اكثر الناس يعنى كفار مكة لا يعلمون صحة ما اخبرنا لجهلهم بالله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن
الآخرة هم غافلون اى يعلمون منافع الدنيا ومضارها ومتى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يجمعون وكيف
يبنون وهم جهال بالآخرة فعمروا دنياهم وخربوا آخرتهم عن ابن عباس وقال الحسن بلغ والله من علم احدهم بدنياه
انه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن ان يصلى وسئل ابى عبد الله عم عن قوله ظاهرا من الحيوة الدنيا فقال
منه الزجر والنجوم القصة قال كان المشركون يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون ان الروم اهل كتاب وقد غلب
عليهم الفرس وانتم تزعمون انكم تغلبون بالكتاب الذى انزل على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم فانزل الله تعالى
الم غلبت الروم الى قوله في بضع سنين قال فاخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان ابا بكر ناحب بعض
المشركين قبل ان يحرم القمار على شئ ان لم يغلب فارس في سبع سنين فقال رسول الله صم وآله لم فعلت فكل ما دون
العشر بضع فكان ظهور فارس على الروم في تسع سنين ثم اظهر الله الروم على فارس من الحديبية ففرح المسلمون بظهور
اهل الكتاب وروى ابو عبد الله الحافظ بالاسناد عن ابن عباس في قوله الم غلبت الروم قال قد مضى كان ذلك في اهل فارس
والروم وكانت فارس قد غلبت عليهم ثم غلبت الروم بعد ذلك ولقى نبى الله مشركى العرب والتقت الروم وفارس فنصر الله
النبى صم ومن معه من المسلمين على مشركى العرب ونصر اهل الكتاب على مشركى العجم ففرح المؤمنون بنصر الله اياهم ونصر
اهل الكتاب على العجم قال عطية وسألت ابا سعيد الخدرى عن ذلك فقال التقينا مع رسول الله صم ومشركوا العرب
والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركى العرب ونصر اهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله ايانا على مشركى العرب
ونصر اهل الكتاب على المجوس فذلك قوله يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وقال سفين الثورى سمعت انهم ظهروا يوم
بدر وقال مقاتل لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة واخبر الله رسوله ان الروم غلبت فارسا ففرح المؤمنون بذلك وروى
انهم استردوا بيت المقدس وان ملك الروم مشى اليه شكرا بسطت له الرياحين فمشى عليها وقال الشعبى لم تمض تلك المدة
التى عقدها ابو بكر مع ابى بن خلف حتى غلبت الروم فارسا وربطوا خيلهم بالمدائن وبنوا الرومية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثته
وجاء به الى رسول الله صم وآله فتصدق به وروى ان ابا بكر لما اراد الهجرة تعلق به ابى واخذ ابنه عبد الله بن ابى بكر كفيلا فلما اراد ان
يخرج الى الحرب احد تعلق به عبد الله بن ابى بكر واخذ منه ابنه كفيلا وجرح ابى في احد وعاد الى مكة فمات من تلك الجراحة
جرحه رسول الله صم وجاءت الرواية عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لفارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعدها ابدا والروم
ذات القرون كلما ذهب قرن خلف قرن هبهب الى آخر الابد والمعنى ان فارس تنطح نطحة او نطحتين فيبطل ملكها ويزول امرها
قوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس
بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض و

عمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى

ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ثلث آيات القرآءة قرا اهل الكوفة غير البرجمي والشموني عن ابي بكر عاقبة بالنصب

والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي من نصب عاقبة جعلها خبر كان ونصبها متقدمة كما قال وكان حقا علينا نصر المؤمنين

فاما اسمها على هذه القراءة فيجوز ان يكون احد شيئين والسوءى والتقدير ثم كان السوء عاقبة الذين اساؤا ويكون ان كذبوا

مفعولا له اى لان كذبوا ولا يجوز ان يكون كذبوا متعلقا بقوله اساؤا على هذا لانك تفصل بين الصلة والموصول باسم كان والثاني

يكون ان كذبوا اسم كان والتقدير كان التكذيب عاقبة الذين اساؤا ويكون السوءى على هذا مصدر الاساؤا لان فعلى من

ابنية المصادر كالرجعى والشورى والبشرى ويدل على ان السوء والسوءى بمنزلة المصدر ما انشده ابو عمرو انى جزوا عامرا سوءة

بفعلهم ام كيف يجزونني السوءى من الحسن ومن رفع عاقبة جاز ان يكون الخبر احد شيئين السوءى وان كذبوا كما جاز في النصب

ان يكون كل واحد منهما الاسم ومعنى الذين اساؤا الذين اشركوا والمعنى ثم كان عاقبة المسئ التكذيب بآيات الله اى لم يظفر

في كفره وشركه بشئ الا بالتكذيب واذا جعلت ان كذبوا نفس الخبر جعلت السوءى في موضع نصب بانه مصدر وقد يجوز ان

يكون السوءى صفة لموصوف محذوف كانه قال الخلة السوءى او الخلال السوءى المعنى ثم حث سبحانه على التفكر والتدبر فيما

يدل على توحيده من خلق السموات والارض ثم في احوال القرون الخالية والامم الماضية فقال اولم يتفكروا في انفسهم اي

في حال الخلوة لان في تلك الحالة تمكن الانسان من نفسه ويحضره ذهنه وقيل معناه اولم يتفكروا في خلق الله انفسهم والمعنى

افلم يتفكروا فيعلموا وحذف لان في الكلام دليلا عليه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق قال الزجاج معناه الا

للحق اى لاقامة الحق ومعناه للدلالة على الصانع والتعريض للثواب واجل مسمى اى ولوقت معلوم توفى فيه كل نفس ما كسبت

وقيل معناه خلقها في اوقات قدرها اقتضت المصلحة خلقها فيها ولم يخلقها عبثا عن الجبائي سؤال قالوا كيف يعلم المتفكر

في نفسه انه سبحانه لم يخلق شيئا الا بالحق وكيف يعلم الآخرة جوابه قلنا اذا علم بالنظر في نفسه انه محدث مخلوق وان له

محدثا قديما قادرا عالما حيا وانه لا يفعل القبيح وانه حكيم علم انه لم يخلقه عبثا وانما خلقه لغرض وهو التعريض للثواب وذلك

لا يتم الا بالتكليف فلا بد اذا من الجزاء فاذا لم يوجد في الدنيا فلا بد من دار اخرى يجازى فيها فيعلم اذا خلق ما لا ينتفع بنفسه فلا

بد ان يكون الغرض ان ينتفع الحي به وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اى بلقاء جزاء ربهم بالبعث يوم القيمة لجاحدون

غير معترفين ثم نبههم سبحانه دفعة اخرى فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم

قوة فهلكوا وبادوا فيعتبروا بهم لعلمهم انهم اهلكوا بتكذيبهم واثاروا الارض اى قلبوها وحرثوها للعمارة عن مجاهد وعمروها

اكثر مما عمروها اى اكثر مما عمروها هؤلاء الكفار لانهم كانوا اطول اعمارا واكثر اعدادا فحفروا الانهار وغرسوا الاشجار وبنوا الدور وشيدوا

القصور ثم تركوها وصاروا الى القبور والى الهلاك والثبور وجاءتهم رسلهم بالبينات اى اتتهم رسلهم بالدلالات من عند الله

وفي الكلام حذف تقديره فجحدوا الرسل وكذبوا بتلك الآيات فاهلكهم الله بالعذاب فما كان الله ليظلمهم بان يهلكهم من غير

استحقاق ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان جحدوا رسل الله واشركوا في العبادة معه سواه حتى استحقوا العقاب عاجلا وآجلا ثم كان

عاقبة الذين اساؤا الى نفوسهم بالكفر وتكذيب رسله وارتكاب معاصيه السوءى اى الخلة التي تسوء صاحبها اذا ادركها

وهي عذاب النار عن ابن عباس وقتادة ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن اى لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها

قوله عز وجل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم

شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة

يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين

تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض

بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون عشر آيات القرآءة قرا يرجعون

عشر ٤

خمس

عشر ٥

بالياء ابو عمرو وغير عباس وابو بكر وسهل وحماد ويحيى مختلف عنهما والباقون بالتاء وقرا حمزة والكسائي وكذلك تخرجون بفتح
التاء والباقون بضمها وفتح الراء وفي الشواذ قراءة عكرمة حينا تمسون وما بعده [الحجة] قال ابو علي حجة الياء ان المتقدم
ذكره غيبة يبدأ الخلق ثم يعيده والخلق هم المخلوق في المعنى وجاء قوله ثم يعيده على لفظ الخلق وقوله واليه يرجعون على المعنى
ولم يرجع على لفظ الواحد ووجه التاء انه صار الكلام من الغيبة الى الخطاب ووجه من قرا تخرجون قوله تخرجون من الاجداث
وقوله الى ربهم ينسلون ووجه تخرجون من بعثنا من مرقدنا وقوله كذلك تخرج الموتى واليه تقلبون واما قوله حينا تمسون
فالمراد تمسون فيه فحذف فيه تخفيفا على مذهب صاحب الكتاب في نحوه ومثله قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا اي لا تجزي فيه قال ابن جني قال سيبويه حذف فيه فتبسط الحرف الجر والضمير لدلالة الفعل عليهما وقال ابو الحسن حذف
في فبقي تجزيه لانه اوصل الفعل اليه ثم حذف الضمير بعد فهما حذفان مبنيان شيئا على شيء [اللغة] الابلاس اليأس من
الخير وقيل هو التحير عند لزوم الحجة قال العجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا والحبرة المسرة ومنه الحبر العالم
والحبر الجمال وفي الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه والتحبير التحسين الذي يسر به وخص ذكر الروضة
ههنا لانه ليس عند العرب شيء احسن منها قال الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل يوما باطيب منه نشر رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الاصل [الاعراب]
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يوم ظرف ليتفرقون ويومئذ بدل منه وموضع الكاف من كذلك نصب بقوله تخرجون
[المعنى] ثم ذكر سبحانه قدرته على الاعادة فقال الله يبدؤ الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت
احياء كما كانوا ثم اليه يرجعون فيجازيهم باعمالهم ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اي يوم القيمة ييأس الكافرون من
رحمة الله ونعمه ونعمته التي يفيضها على المؤمنين وقيل يتحيرون وتنقطع حججهم بظهور دلائل آيات الآخرة التي يقع عندها
علم الضرورة ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء اي لم يكن لهم من اوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء تشفع لهم او
تدفع عنهم كما زعموا انا نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكانوا بشركائهم كافرين يعني ان المشركين يتبرؤن عن الاوثان و
ينكرون كونها الهة ويقرون بالله لا شريك له عن الجبائي وابي مسلم ويوم تقوم الساعة اي تظهر القيمة يومئذ يتفرقون
فيصير المؤمنين اصحاب اليمين والمشركين اصحاب الشمال فيتفرقون تفرقا لا يجتمعون بعده وقال الحسن لئن كانوا اجتمعوا
في الدنيا ليتفرقن يوم القيمة هؤلاء في اعلى عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون اي في الجنة ينعمون ويسرون سرورا يبين اثره عليهم عن قتادة ومجاهد ومنه قيل كل
حبرة يتبعها عبرة والروضة البستان المتناهي منظرا وطيبا وقال ابن عباس يحبرون اي يكرمون وقيل يلذذون بالسماع
عن يحيى بن ابي كثير والاوزاعي اخبرنا ابو الحسن عبيد الله بن محمد بن احمد البيهقي قال اخبرنا جدي الامام ابو بكر احمد بن
الحسين البيهقي قال حدثنا ابو سعيد عبد الملك بن ابي عثمن الزاهد قال اخبرنا ابو الحسن علي بن بندار قال حدثنا جعفر
بن محمد بن الحسين الفريابي قال حدثنا سليمن بن عبد الرحمن الدمشقي قال حدثنا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن
خالد بن معدان عن ابي امامة الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند
رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه
وعن ابي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي القوم اعرابي
فجثا لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء يتغنين
باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي سألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وعن
ابرهيم ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار
فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ثم اخبر عن حال الكفار فقال واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء

عمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى
ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون ثلث آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير البرجمي والشموني عن ابي بكر عاقبة بالنصب
والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي من نصب عاقبة جعلها خبر كان ونصبها متقدمة كما قال وكان حقا علينا نصر المؤمنين
فاما اسمها على هذه القراءة فيجوز ان يكون احد شيئين والسوءى والتقدير ثم كان السوء عاقبة الذين اساءوا ويكون ان كذبوا
مفعولا له اى لان كذبوا ولا يجوز ان يكون كذبوا متعلقا بقوله اساءوا على هذا لانك تفصل بين الصلة والموصول باسم كان او
يكون ان كذبوا اسم كان والتقدير كان التكذيب عاقبة الذين اساءوا ويكون السوءى على هذا مصدر الاساءوا لان فعلى من
ابنية المصادر كالرجعى والشورى والبشرى ويدل على ان السوء والسوءى بمنزلة المصدر ما انشده ابو عمرو انى جزوا عامرا سوءا
بفعلهم ام كيف يجزونني السوءى من الحسن ومن رفع عاقبة جاز ان يكون الخبر احد شيئين السوءى وان كذبوا كما جاز في النصب
ان يكون كل واحد منهما الاسم ومعنى الذين اساءوا الذين اشركوا والمعنى ثم كان عاقبة المسيء التكذيب بآيات الله اى لم يظفر
في كفره وشركه بشيء الا بالتكذيب واذا جعلت ان كذبوا نفس الخبر جعلت السوءى في موضع نصب بانه مصدر وقد يجوز ان
يكون السوءى صفة لموصوف محذوف كانه قال الخلة السوءى او الخلال السوءى المعنى ثم حث سبحانه على التفكر والتدبر فيما
يدل على توحيده من خلق السموات والارض ثم في احوال القرون الخالية والامم الماضية فقال اولم يتفكروا في انفسهم اي
في حال الخلوة لان في تلك الحالة تمكن الانسان من نفسه ويحضره ذهنه وقيل معناه اولم يتفكروا في خلق الله انفسهم والمعنى
افلم يتفكروا فيعلموا وحذف لان في الكلام دليلا عليه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق قال الزجاج معناه الا
للحق اى لاقامة الحق ومعناه للدلالة على الصانع والتعريض للثواب واجل مسمى اى لوقت معلوم توفى فيه كل نفس ما كسبت
وقيل معناه خلقها في اوقات قدرها اقتضت المصلحة خلقها فيها ولم يخلقها عبثا عن الجبائي سؤال قالوا كيف يعلم المتفكر
في نفسه ان الله سبحانه لم يخلق شيئا الا بالحق وكيف يعلم الآخرة جوابه قلنا اذا علم بالنظر في نفسه انه محدث مخلوق وان له
محدثا قديما قادرا عالما حيا وانه لا يفعل القبيح وانه حكيم علم انه لم يخلقه عبثا وانما خلقه لغرض وهو التعريض للثواب وذلك
لا يتم الا بالتكليف فلا بد اذا من الجزاء فاذا لم يوجد في الدنيا فلا بد من دار اخرى يجازى فيها ويعلم اذا خلق ما لا ينتفع بنفسه فلا
بد ان يكون الغرض ان ينتفع الحي به وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اى بلقاء جزاء ربهم بالبعث ويوم القيمة لجاحدون
غير معترفين ثم نبههم سبحانه دفعة اخرى فقال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم
قوة فهلكوا وبادوا فيعتبروا بهم ليعلمهم انهم اهلكوا بتكذيبهم واثاروا الارض اى قلبوها وحرثوها للعمارة عن مجاهد وعمروها
اكثر مما عمروها اى اكثر مما عمروها هؤلاء الكفار لانهم كانوا اطول اعمارا واكثر اعدادا فحفروا الانهار وغرسوا الاشجار وبنوا الدور وشيدوا
القصور ثم تركوها وصاروا الى القبور والى الهلاك والثبور وجاءتهم رسلهم بالبينات اى اتتهم رسلهم بالدلالات من عند الله
وفي الكلام حذف تقديره فجحدوا الرسل وكذبوا بتلك الآيات فاهلكهم الله بالعذاب فما كان الله ليظلمهم بان يهلكهم من غير
استحقاق ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان جحدوا رسل الله واشركوا في العبادة معه سواه حتى استحقوا العقاب عاجلا وآجلا ثم كان
عاقبة الذين اساءوا الى نفوسهم بالكفر وتكذيب رسله وارتكاب معاصيه السوءى اى الخلة التى تسوء صاحبها اذا ادركها
وهي عذاب النار عن ابن عباس وقتادة ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون اى لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها

قوله تعالى الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض
بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون عشر آيات القراءة قرا يحيى

عشر ٤

خمس

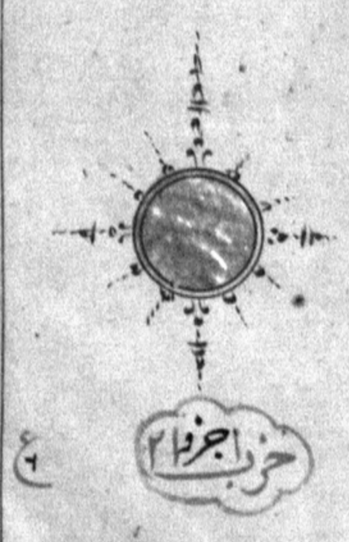
عشر ٥

بالياء

باليآء ابو عمرو وغير عباس واو بكر وسهل وحماد ويحيى مختلف عنهما والباقون بالتآء وقرا حمزة والكسائي وكذلك تخرجون بفتح
التآء والباقون بضمها وفتح الرآء وفي الشواذ قراءة عكرمة حينا تمسون وما بعده الحجة قال ابو علي حجة اليآء ان المتقدم
ذكره غيبة يبدؤ الخلق ثم يعيده والخلق هم المخلوق في المعنى وجآء قوله ثم يعيده على لفظ الخلق وقوله واليه يرجعون على المعنى
ولم يرجع على لفظ الواحد ووجه التآء انه صار الكلام من الغيبة الى الخطاب وحجة من قرا تخرجون قوله يخرجون من الاجداث
وقوله الى ربهم ينسلون وحجة تخرجون من بعثنا من مرقدنا وقوله كذلك نخرج الموتى واليه تقلبون واما قوله حينا تمسون
فالمراد تمسون فيه فحذف فيه تخفيفا على مذهب صاحب الكتاب في نحوه ومثله قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا اي لا تجزي فيه قال ابن جني قال سيبويه حذف فيه فحذف الحرف الجر والضمير لدلالة الفعل عليهما وقال ابو الحسن حذف
في فبقي تجزيه لانه اوصل الفعل اليه ثم حذف الضمير من بعد فهما حذفان بينهما شيئا على شيء اللغة الابلاس اليأس من
الخير وقيل هو التحير عند لزوم الحجة قال العجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا والحبرة المسرة ومنه الحبر العالم
والحبر الجمال وفي الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه والتحبير التحسين الذي يسر به وخص ذكر الروضة
هاهنا لانه ليس عند العرب شيء احسن منها قال الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل يوما باطيب منه نشر رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الاصل الاعراب
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يوم ظرف ليتفرقون ويومئذ بدل منه وموضع الكاف من كذلك نصب بقوله تخرجون
المعنى ثم ذكر سبحانه قدرته على الاعادة فقال الله يبدؤ الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت
احياء كما كانوا ثم اليه ترجعون فيجازيهم باعمالهم ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اي يوم القيمة ييأس الكافرون من
رحمة الله نعم ونعمته التي يفيضها على المؤمنين وقيل يتحيرون وينقطع حجتهم بظهور جلائل آيات الآخرة التي يقع عندها
علم الضرورة ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء اي لم يكن لهم من اوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء تشفع لهم او
تدفع عنهم كما زعموا انا نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكانوا بشركائهم كافرين يعني ان المشركين يتبرؤن عن الاوثان و
ينكرون كونها الهة ويقرون بالله لا شريك له عن الجبائي وابي مسلم ويوم تقوم الساعة اي تظهر القيمة يومئذ يتفرقون
فيصير المؤمنين اصحاب اليمين والمشركين اصحاب الشمال فيتفرقون تفرقا لا يجتمعون بعده وقال الحسن لئن كانوا اجتمعوا
في الدنيا ليتفرقن يوم القيمة هؤلاء في اعلى عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون اي في الجنة ينعمون ويسرون سرورا يبين اثره عليهم عن قتادة ومجاهد ومنه قيل كل
حبرة يتبعها عبرة والروضة البستان المتناهي منظرا وطيبا وقال ابن عباس يحبرون اي يكرمون وقيل يلذذون بالسماع
عن يحيى بن ابي كثير والاوزاعي اخبرنا ابو الحسن عبيد الله بن محمد بن احمد البيهقي قال اخبرنا جدي الامام ابو بكر احمد بن
الحسين البيهقي قال حدثنا ابو سعيد عبد الملك بن ابي عثمان الزاهد قال اخبرنا ابو الحسن علي بن بندار قال حدثنا جعفر
بن محمد بن الحسين الفريابي قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال حدثنا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن
خالد بن معدان عن ابي امامة الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند
رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه
وعن ابي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي القوم اعرابي
فجثا لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء يتغنين
باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي سألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وعن
ابرهيم ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله رياحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار
فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ثم اخبر عن حال الكفار فقال واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء

الآخرة اى بدلا يلنا والبعث والقيمة فاولئك فى العذاب محضرون اى فيه محصلون ولفظة الاحضار لا تستعمل الا فيما
يكرهه الانسان يقال احضر فلان مجلس القضاء اذا جيء به لما لا يؤثره ومنه حضور الوفاة ثم ذكر سبحانه ما يدرك به الجنة فقال
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون هذا خبر والمراد به الامر اى
سبحوه ونزهوه عما لا يليق به او ينافى تعظيمه من صفات النقص بان تصفوه بما يليق به من الصفات والاسماء والمساء الدخول فى
المساء وهو مجيء ظلام الليل والاصباح نقيضه وهو الدخول فى الصباح وهو مجيء ضياء النهار وله الثناء والمدح فى السموات والارض
اى هو المستحق لحمد اهلها لانعامه عليهم وعشيا اى وفى العشي وحين تدخلون فى الظهيرة وهى نصف النهار وانما خص بهم
هذه الاوقات فى الذكر بالحمد وان كان حمده واجبا فى جميع الاوقات لانها احوال تذكر باحسان الله وذلك ان انقضاء
احسان اول الى احسان ثان يقتضي الحمد عند تمام الاحسان الاول والاخذ فى الآخر كما اخبر سبحانه عن حمد اهل الجنة بقوله
وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين بان ذلك حال الانتقال من نعيم الدنيا الى الجنة وقيل ان الآية تدل على الصلوات
الخمس فى اليوم والليلة لان قوله حين تمسون يقتضي المغرب والعشاء الآخرة وحين تصبحون يقتضي صلوة الصبح وعشيا
يقتضي صلوة العصر وحين تظهرون يقتضي صلوة الظهر عن ابن عباس ومجاهد وهو الاحسن لانه خص هذه الاوقات
بالذكر وقيل انما خص صلوة الليل باسم التسبيح وصلوة النهار باسم الحمد لان الانسان فى النهار متقلب فى احوال توجب حمد
الله عليها وفى الليل على احوال توجب تنزيه الله تعالى من الاسواء فيها فلذلك صار الحمد بالنهار اخص فسميت به صلوة النهار والتسبيح
بالليل اخص فسميت به صلوة الليل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ان يخرج الانسان من النطفة ويخرج النطفة
من الانسان عن ابن عباس وابن مسعود وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن عن مجاهد وقد ذكرناه فيما تقدم
ويحيي الارض بعد موتها بالنبات بعد جدوبها وكذلك تخرجون اى كما احيى الارض بالنبات كذلك يحييكم بالبعث
وتخرجون من قبوركم احياء ومن آياته اى ومن دلالاته على وحدانيته وكمال قدرته ان خلقكم اى خلق آدم الذى هو ابوكم
واصلكم من تراب ثم خلقكم منه وذلك قوله ثم اذا انتم بشر تنتشرون اى ثم اذا انتم ذريته بشر من لحم ودم تنبسطون فى الارض
وتتصرفون على ظهرها وتتفرقون فى اطرافها فدلكم ذلك على انه لا يقدر على ذلك غيره تعالى وانه لا يستحق العبادة سواه
قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات
لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم
بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من
السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون خمس آيات القراءة قرا حفص للعالمين بكسر اللام الاخيرة والباقون بفتحها
قال ابو على حجة العالمين فى رواية حفص ان الآية لكافة الناس عالمهم وجاهلهم لان العالم لما تدبر فاستدل بما
شاهده على ما لم يشاهده استدل عليه غيره صار كانه ليس باية لغير العالم لذهابه عنها وتركه الاعتبار بها ومن قال للعالمين فلان
ذلك فى الحقيقة دلالة وموضع اعتبار وان ترك تاركون لغفلتهم او لجهلهم التدبر والاستدلال بها الاعراب فى قوله
ومن آياته يريكم البرق اقوال احدها ومن آياته ان يريكم فلما حذفت ان ارتفع الفعل كقول طرفة الا ايهذا الزاجري احضر الوغا
وان اشهد اللذات هل انت مخلدي وفى المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وثانيها ان التقدير ومن آياته انه يريكم البرق
بها ثم حذف لدلالة من عليها ومثله من الشعر وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اى فمنهما تارة
اموتها اى اموت فيها وثالثها ان يكون التقدير ويريكم البرق خوفا وطمعا من آياته فيكون عطف الجملة على جملة وقوله خوفا وطمعا
منصوبان على تقدير اللام والتقدير لتخافوا خوفا ولتطمعوا طمعا ثم اذا دعاكم دعوة من الارض الجار متعلق بمحذوف
فى موضع الحال من الكاف والميم اى دعاكم خارجين من الارض وان شئت كان وصفا للنكرة اى دعوة ثابتة من هذه الجهة ولا يجوز

ان يتعلق بتخرجون لانه ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها المعنى ثم عطف سبحانه على ما قدمه من تنبيه العبيد على دلائل
التوحيد فقال ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم اى جعل لكم من شكل انفسكم ومن جنسكم ازواجا وانما من سبحانه علينا بذلك
لان الشكل الى الشكل اميل عن ابى مسلم وقيل معناه ان حوى خلقت من ضلع آدم عن قتادة وقيل ان المراد بقوله من انفسكم ان
النساء خلقهن من نطف الرجال لتسكنوا اليها اى لتطمئنوا اليها وتألفوا بها ويستأنس بعضكم ببعض وجعل بينكم مودة ورحمة
يريد بين المرأة وزوجها جعل سبحانه بينهما المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شئ احب الى احدهما من الآخر من غير رحم
بينهما عن السدى المودة المحبة والرحمة الشفقة ان فى ذلك اى فى خلق الازواج مشاكلة للرجال لآيات اى لدلالات واضحات
لقوم يتفكرون فى ذلك ويعتبرون به ثم نبه سبحانه على آية اخرى فقال ومن آياته الدالة على توحيده خلق السموات والارض
وما فيهما من عجايب خلقه وبدايع صنعه مثل ما فى السموات من النجوم والشمس والقمر وجريها فى مجاريها على غاية
الاتساق والنظام وما فى الارض من انواع الجماد والنبات والحيوان المخلوقة على وجه الاحكام واختلاف السنتكم والوانكم
فالالسنة جمع لسان واختلافها هو ان بناها الله تعالى مختلفة فى الشكل والهيئة والتركيب فتختلف نغماتها واصواتها حتى
لا يشبه صوتان من نفسين هما اخوان وقيل ان اختلاف الالسنة هو اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما ولا شئ
من الحيوانات متفاوت لغاتها كتفاوت لغات الانسان فان كانت اللغات توقيفا من الله تعالى فهو الذى فعلها وابتداها
وان كانت مواضعة من قبل العباد فهو الذى يسرها والوانكم اى واختلاف الوانكم من البياض والحمرة والصفرة والسمرة وغيرها
فلا يشبه احد احدا مع التشاكل فى الخلقة وما ذلك الا للتراكيب البديعة واللطائف العجيبة الدالة على كمال قدرته وحكمته
حتى لا يشتبه اثنان من الناس ولا يلتبسا مع كثرتهم ان فى ذلك لآيات اى ادلة واضحات للعالمين اى للمكلفين ومن
آياته الدالة على توحيده واخلاص العبادة له منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله بالنهار هذا تقديره اى تصرفكم
فى طلب المعيشة والمنام والنوم بمعنى واحد وقد قيل ان الليل والنهار معا وقت للنوم ووقت لابتغاء الفضل لان من الناس
من يتصرف فى كسبه ليلا وينام نهارا فيكون معناه ومن دلائله النوم الذى جعله الله راحة لابدانكم بالليل وقد تنامون بالنهار
فاذا انتبهتم انتشرتم لابتغاء فضل الله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ذلك ويقبلونه ويتفكرون فيه لان من لا يتفكر فيه
لا ينتفع به فكانه لم يسمعه ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا معناه ومن دلالته ان يريكم النار تنقدح من السحاب يخاف المسافر
ويطمع فيه المقيم عن قتادة وقيل خوفا من الصواعق وطمعا فى الغيث عن الضحاك وقيل خوفا من ان يخلف فلا يمطر وطمعا
فى المطر عن ابى مسلم وينزل من السماء ماء اى غيثا ومطرا فيحيى به اى بذلك الماء الارض بعد موتها اى بعد انقطاع الماء عنها
وجدوبها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون اى للعقلاء المكلفين ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره بلا دعامة تدعمها
ولا علاقة تتعلق بها بامره لهما بالقيام كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقيل بامره اى بفعله وامساكه
الا ان افعال الله عز اسمه تضاف اليه بلفظ الامر لانه ابلغ فى الاقتدار فان قول القايل اراد فكان ابلغ فى الدلالة على الاقتدار
من ان يقول فعل فكان ومعنى القيام الثبات والدوام ويقال السوق قائمة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اى من القبر عن ابن
عباس يأمر الله عز اسمه اسرافيل ع فينفخ فى الصور بعد ما يصور الصور فى القبور فيخرج الخلايق كلهم من قبورهم اذا انتم تخرجون
من الارض احياء وقيل انه سبحانه جعل النفخة دعاء لان اسرافيل يقول اجيبوا داعى الله فيدعو بامر الله وقيل ان معناه اخرجكم
من قبوركم بعد ان كنتم امواتا فيها فعبر عن ذلك بالدعاء اذ هو بمنزلة الدعاء وبمنزلة كن فيكون فى سرعة تأتى ذلك وامتناع
التعذر وانما ذكر سبحانه هذه المقدرات على اختلافها ليدل عباده على انه القادر الذى لا يعجزه شئ العالم الذى لا يعزب
عنه شئ وتدل هذه الآيات على فساد قول من قال ان المعارف ضرورية لان ما يعرف ضرورة لا يمكن الاستدلال عليه
قوله تعالى وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ



كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ۝ بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدى من اضل الله وما لهم
من ناصرين ۝ فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ خمس آيات الاعراب

عشر

هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء لكم مجار والمجرور فى موضع رفع بانه خبر المبتداء والمبتداء من شركاء ومن مزيدة ومن فى قوله مما
ملكت يتعلق بما يتعلق به اللام ويجوز ان يتعلق بمحذوف فيكون فى موضع نصب على الحال والعامل فى الحال ما يتعلق به
اللام فانتم فيه سواء جملة فى موضع النصب لانه جواب قوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء وتقديره فتستووا وقوله تخافونهم
اى تخافون ان يساووكم كخيفتكم مساواة بعضكم بعضا حنيفا نصب على الحال فطرة الله منصوب بمعنى اتبع فطرة الله لان معنى
فاقم وجهك للدين القيم اتبع الدين القيم فيكون بدلا من وجهك فى المعنى المعنى ثم قال سبحانه بعد ان ذكر الدلالات
الدالة على توحيده وله من فى السموات والارض من العقلاء يملكهم ويملك التصرف فيهم وانما خص العقلاء لان ما عداهم
فى حكم التبع لهم ثم اخبر عن جميعهم فقال كل له قانتون اى كل له مطيعون فى الحيوة والبقاء والموت والبعث وان عصوا فى العبادة
عن ابن عباس وهذا مفسر فى سورة البقرة وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده اى يخلقهم انشاء ويخترعهم ابتداء ثم يعيدهم
بعد الافناء فجعل سبحانه ما ظهر من ابتداء خلقه دليلا على ما خفى من اعادته استدلالا بالشاهد على الغائب ثم اكد ذلك بقوله
وهو اهون عليه هو يعود الى مصدر يعيده بالمعنى والاعادة اهون عليه وقيل فيه اقوال احدها ان معناه وهو هين عليه
كقوله الله اكبر اى كبير لا يدانيه فى كبريائه احد وكقول الشاعر لعمرك ما ادرى وانى لاوجل على اينا تاتى المنية اول فمعنى لاوجل لوجل وقال
الفرزدق ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول اى عزيزة طويلة وقد قيل انه اعز واطول من بيوت العرب وقال الاخر
تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد اى بواحد هذا قول اهل اللغة والثانى انه انما قال اهون عليه
لما تقرر فى العقول ان اعادة الشئ اهون من ابتدائه ومعنى اهون ايسر واسهل ولم كانوا مقرين بالابتداء فكانه قال لهم كيف
تقرون بما هو اصعب عندكم وتنكرون ما هو اهون عندكم والثالث ان الهاء فى عليه تعود الى الخلق وهو المخلوق اى و
الاعادة على المخلوق اهون من النشاءة الاولى لانه انما يقال له فى الاعادة كن فيكون وفى النشاءة الاولى كان نطفة ثم علقة
ثم مضغة ثم عظاما ثم كسيت العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فهذا على المخلوق صعب والانشاء اهون عليه وهذا قول
الجبائى ومثله يروى عن ابن عباس قال وهو اهون على المخلوق لانه يقول له يوم القيمة كن فيكون واما ما يروى عن مجاهد انه
قال الانشاء اهون عليه من الابتداء فقول مرغوب عنه لانه سبحانه لا يكون عليه شئ اهون من شئ وله المثل الاعلى اى وله
الصفة العليا فى السموات والارض وهى انه لا اله الا هو وحده لا شريك له لانها دائمة يصفه بها الثانى كما يصفه بها الاول
عن قتادة وقيل هى انه ليس كمثله شئ عن ابن عباس وقيل هى جميع ما يختص به عز اسمه من الصفات العلى التى لا يشاركه فيها
سواه والاسماء الحسنى التى تفيد التعظيم كالقاهر والاله وهو العزيز فى ملكه الحكيم فى خلقه ثم احتج سبحانه على عبدة الاوثان
فقال ضرب لكم ايها المشركون مثلا من انفسكم اى بين لكم شبها لحالكم ذلك المثل من انفسكم ثم بينه فقال هل لكم مما ملكت
ايمانكم من عبيدكم واماءكم من شركاء فيما رزقناكم من المال والاملاك والنعم هل يشاركونكم فى اموالكم وهو قوله فانتم فيه سواء
اى فانتم وشركاءكم من عبيدكم فيما رزقناكم شرع سواء تخافونهم ان يشاركوكم فيما ترثونه من ابائكم كخيفتكم انفسكم
اى كما يخاف الرجل الحر شريكه الحر فى المال يكون بينهما ان ينفرد دونه فيه بامر فهو يخاف شريكه يعنى ان هذه الصفة لا تكون
بين المالكين والمملوكين كما تكون بين الاحرار ومعنى انفسكم ههنا امثالكم من الاحرار كقوله ولا تلمزوا انفسكم وكقوله ظن
المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا اى بامثالكم من المؤمنين والمعنى انكم اذا لم ترضوا فى عبيدكم ان يكونوا شركاءكم فى
اموالكم واملاككم فكيف ترضون لربكم ان يكون له شريكا فى العبادة قال سعيد بن جبير لانه كانت تلبية قريش لبيك اللهم
لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فانزل الله الاية ردا عليهم وانكارا لقولهم كذلك اى كما ميزنا لكم هذه
الادلة نفصل الايات اى الادلة لقوم يعقلون فيتدبرون ذلك ثم قال سبحانه مبينا انهم انما اتبعوا اهواءهم فيما اشركوا به

فقال

١٨٥

فقال بل اتبع الذين ظلموا اى اشركوا بالله اهواءهم فى الشرك بغير علم يعلمونه جاءهم من الله فمن يهدى من اضل الله اى
فمن يهدى الى الثواب والجنة من اضله الله عن ذلك عن الجبائى وقيل معناه من اضل عن الله هو الذى خالقه ورازقه ورب
والمنعم عليه ما نصبه له من الادلة فمن يهديه بعد ذلك عن ابى مسلم قال وهو من قولهم اضل فلان بعيره قال الشاعر
هبونى امرء منكم اضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير وانما المعنى ضل بعيره عنه وما لهم من ناصرين ينصرونهم ويدفعون عنهم عذاب
الله تعالى اذا حل بهم ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله والمراد جميع المكلفين فقال فاقم وجهك للدين اى اقم قصدك
للدين بالمعنى كن معتقدا للدين وقيل معناه اثبت ودم على الاستقامة وقيل معناه اخلص دينك عن سعيد بن جبير وقيل معناه
سدد عملك فان الوجه ما يتوجه اليه وعمل الانسان ودينه ما يتوجه الانسان اليه لتسديده واقامته حنيفا اى مائلا اليه
ثابتا عليه مستقيما فيه لا يرجع عنه الى غيره فطرة الله التى فطر الناس عليها فطرة الله الملة وهى الدين والاسلام والتوحيد التى خلق
الناس عليها ولها وبها اى لاجلها والتمسك بها فيكون كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو كما يقول القائل
لرسوله بعثتك على هذا ولهذا او بهذا والمعنى واحد ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه
هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل معناه اتبع من الدين ما دل عليه فطرة الله وهو ابتداء خلقه للاشياء لانه خلقهم
ثم ركبهم وصورهم على وجه يدل على ان لهم صانعا قادرا عالما حيا قديما واحدا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شىء عن ابى مسلم لا تبديل
لخلق الله اى لا تغيير لدين الله الذى امر الناس بالثبات عليه من التوحيد والعدل واخلاص العبادة لله عن الضحاك
ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابرهيم وابن زيد وقالوا ان لا هنا بمعنى النهى اى لا تبدلوا دين الله الذى امرتم بالثبات عليها
وقيل المراد به النهى عن الخصاء عن ابن عباس وعكرمة وقيل معناه لا تبديل لخلق الله فيما دل عليه بمعنى انه فطره على وجه يدل على
صانع حكيم فلا يمكن ان يجعله خلقا لغير الله حتى يبطل وجه الاستدلال عن ابى مسلم والمعنى ان ما دلت عليه الفطرة لا يمكن
فيه التبديل ذلك الدين القيم اى ذلك الدين المستقيم الذى يجب اتباعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون صحة ذلك لعدولهم عن
النظر فيه قوله تعالى منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا كل حزب بما لديهم فرحون واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم
بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
خمس آيات القراءة قرا حمزة والكسائى فارقوا بالالف والباقون فرقوا وقد مضى بيانه فى سورة الانعام وفى الشواذ قراءة
ابى العالية فيمتعوا فسوف يعلمون ومعناه تطول اعمارهم على كفرهم فسوف يعلمون تهددا على ذلك اللغة الانابة
الانقطاع الى الله بالطاعة واصله على هذا القطع ومنه الناب لانه قاطع وينيب فى الامر اذا نشب فيه كما ينشب الناب
القاطع ويجوز ان يكون من ناب ينوب اذا رجع مرة بعد مرة فتكون الانابة التوبة التى يجددها مرة بعد مرة والشيع الفرق
لكل فرقة شيعة على حدة سموا بذلك لان بعضهم يشيع بعضا على مذهبه فشيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق وكذلك
شيعة امير المؤمنين ع هم الذين اجتمعوا معه على الحق المعنى ثم قال سبحانه منيبين اليه قال الزجاج زعم جميع النحويين
ان معناه فاقيموا وجوهكم منيبين اليه لان مخاطبة النبى عليه وآله السلام يدخل معه فيها الامة والدليل على ذلك قوله يا ايها
النبى اذا طلقتم النساء فقوله فاقم وجهك معناه فاقيموا وجوهكم منيبين اى راجعين الى كل ما امر به مع التقوى واداء الفرايض
وهو قوله واتقوه واقيموا الصلوة ثم اخبر سبحانه انه لا ينفع ذلك الا بالاخلاص فى التوحيد فقال ولا تكونوا من المشركين من
الذين فرقوا دينهم اى لا تكونوا من اهل الشرك من جملة الذين فرقوا دينهم عن الفراء ويجوز ان يكون قوله من الذين فارقوا دينهم
وكانوا شيعا ابتداء كلام ومعناه الذين اوقعوا فى دينهم الاختلاف وصاروا ذوى اديان مختلفة فصار بعضهم يعبد وثنا و
بعضهم يعبد نارا وبعضهم شمسا الى غير ذلك وقد تقدم تفسيره فى سورة الانعام كل حزب بما لديهم فرحون اى كل اهل ملة
بما عندهم من الدين راضون عن مقاتل وقيل كل فريق بدينهم معجبون مسرورون يظنون انهم على الحق واذا مس الناس

حس

ضر دعوا ربهم اى اذا اصابهم مرض او فقر او شدة دعوا الله تعالى منيبين اليه اى منقطعين اليه مخلصين فى الدعاء ثم اذا اذاقهم
منه رحمة بان يعافيهم من المرض او يغنيهم من الفقر او ينجيهم من الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون اى يعودون الى عبادة غير الله
على خلاف ما يقتضيه العقل من مقابلة النعمة بالشكر ثم بين سبحانه انهم يفعلون ذلك ليكفروا بما آتيناهم من النعم اذ لا غرض فى
الشرك الا الكفران بنعم الله سبحانه وقيل ان هذه اللام للامر على معنى التهديد مثل قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم قال سبحانه
يخاطبهم تهديدا لهم فتمتعوا بهذه الدنيا واستمتعوا بنعيمها الفانى فسوف تعلمون عاقبة كفركم ام انزلنا عليهم سلطانا
هذا استفهام مستانف معناه بل انزلنا عليهم برهانا وحجة يتسلطون بذلك على ما ذهبوا اليه فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اى فذلك
البرهان يتكلم بصحة شركهم ويحتج لهم والمعنى انهم لا يقدرون على تصحيح ذلك ولا يمكنهم ادعاء برهان وحجة عليه

قوله تعالى وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ
زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

خمس آيات القراءة قرا ابن كثير وما اتيتم من ربا مقصورة الالف غير ممدودة والباقون آتيتم بالمد وقرا اهل المدينة ويعقوب
لتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو والباقون ليربوا بالياء وفتحها ونصب الواو الحجة قال ابو على معنى ما آتيتم من ربا ما آتيتم
من هدية اهديتموها لتعوضوا ما هو اكثر منها وتكاثروا ما هو اريد منه فلا يربوا عند الله لانكم انما قصدتم الى زيادة العوض فلم
تبتغوا فى ذلك وجه الله ومثل هذا فى المعنى قوله ولا تمنن تستكثر فمن مد آتيتم فلذلك المعنى اعطيتم ومن قصر فانه يؤول فى المعنى الى
قول من مد الا ان اتيتم على لفظ جئتم كما تقول جئت زيدا فكانه قال ما جئتم من ربا ومجيئهم لذلك انما هو على وجه الاعطاء له كما
تقول اتيت الخطاء واتيت الصواب قال الشاعر اتيت الذى ياتى السفيه لغيه الى ان علا وخط من الشيب مفرقى فاتيانه الذى ياتيه
السفيه انما هو فعل منه له قال ولم يختلفوا فى مد وما آتيتم من زكوة فهو كقوله وايتاء الزكوة وان كان لو قال اتيت الزكوة لجاز ان
يعنى به فعلها ولكن الذى جاء منه فى التنزيل وفى سائر الكلام الايتاء وقال ليربوا فان فاعله الربوا المذكور فى قوله وما اتيتم من ربا فقدر
المضاف وحذفه كانه فى اجتلاب اموال الناس واجتذابه ونحو ذلك وكانه سمى هذا المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربوا الزيادة ما
ياخذ على ما اعطى فسمى والمدفوع ليس فى الحقيقة ربوا وانما المحرم الزيادة التى ياخذها ابدا على ما اعطى فسمى باسم الزيادة والربوا هو
الزيادة بذلك سمى المحرم المتوعد فاعله ربوا لما كان العوض فيه الاستزادة لجميع ربوا فكذلك ما اعطاه الواهب او المهدى لاستجلاب
الزيادة سمى ربوا لمكان الزيادة المقصودة فى المكافاة فوجه ليربوا ما اتيتم فلا يربوا عند الله لانه لم يقصد به وجه البر
والقربة انما قصد به اجتلاب الزيادة ولو قصد به وجه الله تعالى لكان كقوله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم
المضعفون اى صاروا ذوى اضعاف من الثواب على ما اتوا من الزكوة يعطون بالحسنة عشرا كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
تقول نافع لتربوا اى لتصيروا ذوى زيادة فيما آتيتم من اموال الناس اى تستدعونها وتجتلبونها وكانه من اربى اذا صار ذا زيادة
مثل اقطف واجرب المعنى لما تقدم ذكر المشركين عقبه سبحانه بذكر احوالهم فى البطر عند النعمة واليأس عند الشدة فقال واذا اذقنا
الناس رحمة اى اذا اتيناهم نعمة من عافية وصحة جسم او سعة رزق او امن ودعة فرحوا بها اى سروا بتلك الرحمة وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم اى وان اصابهم بلاء وعقوبة بذنوبهم التى قدموها وسمى ذلك سيئة توسعا لكونه جزاء على السيئة عن الجبائى
وقيل ان يصيبهم قحط او انقطاع مطر وشدة وسميت سيئة لانها تسوء صاحبها اذا هم يقنطون اى ييأسون من رحمة الله وانما
قال بما قدمت ايديهم ولم يقل بما قدموا على التغليب للاكثر الاظهر فان اكثر العمل لليدين والعمل للقلب وان كان كثيرا فانه اخفى
ثم نبههم سبحانه على توحيده فقال اولم يروا ان الله يبسط الرزق اى يوسعه لمن يشاء ويقدر اى ويضيق لمن يشاء على حسب
ما تقتضيه مصالح العباد ان فى ذلك اى ان فى بسط الرزق لقوم وتضييقه لقوم آخرين لآيات اى دلالات لقوم يؤمنون بالله

عشر

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال وآت ذى القربى حقه اى واعط ذوى قرباك يا محمد حقوقهم التى جعلها الله لهم
من الاخماس عن مجاهد والسدى وروى ابو سعيد الخدرى وغيره انه لما نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وآله اعطى فاطمة
عليها السلام فدكا وسلمه اليها وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله ع وقيل انه خطاب له ع ولغيره والمراد بالقربى قرابة الرجل وهو امر
بصلة الرحم بالمال والنفس عن الحسن والمسكين وابن السبيل معناه وآت المسكين والمسافر المحتاج ما فرض الله لهم فى مالك ذلك
خير اى اعطاء الحقوق مستحقيها خير للذين يريدون وجه الله بالاعطاء دون الريا والسمعة واولئك هم المفلحون اى الفائزون
بثواب الله وما آتيتم من ربا ليربوا فى اموال الناس فلا يربوا عند الله قيل فى الربا المذكور فى الآية قولان احدهما انه ربا حلال وهو
ان يعطى الرجل العطية او يهدى الهدية ليثاب اكثر منها فليس فيه اجر ولا وزر عن ابن عباس وطاوس وهو المروى عن ابى جعفر ع
والقول الآخر انه الربا المحرم عن الحسن والجبائى فعلى هذا يكون كقوله يمحق الله الربوا ويربى الصدقات وما آتيتم من زكوة
اى وما اعطيتم اهله على وجه الزكوة تريدون بذلك وجه الله اى ثواب الله ورضاه ولا تطلبون بها المكافاة فاولئك هم
المضعفون اى فاهلها هم المضعفون يضاعف لهم الثواب وقيل المضعفون ذوو الاضعاف فى الحسنات كما يقال رجل
مقوى ذو قوة وموسر ذو يسار وقيل هم المضعفون للمال فى العاجل وللثواب فى الآجل لان الله سبحانه جعل الزكوة سببا لزيادة
المال ومنه الحديث ما نقص مال من صدقة وقال امير المؤمنين ع فرض الله تعالى الصلوة تنزيها عن الكبر والزكوة تسبيبا للرزق
والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق وصلة الارحام منماة للعدد فى كلام طويل وبدأ سبحانه فى الآية بالخطاب ثم ثنى بالخبر وذلك
معدود فى الفصاحة ثم عاد الى دليل التوحيد فقال الله الذى خلقكم اى اوجدكم وانشا خلقكم ثم رزقكم اى اعطاكم انواع
النعم ثم يميتكم بعد ذلك ليصح ايصالكم الى ما عرضكم له من الثواب الدائم ثم يحييكم ليجازيكم على افعالكم هل من شركائكم التى تعبدونها
من دونه من يفعل من ذلكم من شىء او يقدر عليه فيجوز لذلك توجيه العبادة ثم نزه نفسه من ان يشرك معه فى العبادة فقال
سبحانه وتعالى عما يشركون قوله تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون
قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتى يوم لا
مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين خمس آيات اللغة الصدع الشق وتصدع القوم تفرقوا قال وكنا كندمانى جذيمة
حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا المعنى ثم ذكر سبحانه ما اصاب الخلق بسبب ترك التوحيد فقال ظهر الفساد فى البر والبحر
معناه ظهر قحط المطر وقلة النبات فى البر حيث لا يجرى نهر وهو البوادى والبحر وهو كل قرية على شاطئ نهر عظيم بما كسبت ايدى
الناس يعنى كفار مكة عن ابن عباس وليس المراد بالبر والبحر فى الآية كل بر وبحر فى الدنيا انما المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النبى ص وآله
فعلى هذا يكون التقدير ظهر عقوبة الفساد فى البر والبحر قال الفراء اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوبهم وكان ذلك ليذوقوا
الشدة فى العاجل ويجوز ايضا ان يسمى الهلاك والخراب فسادا كما يسمى العذاب سوءا وان كان ذلك حكمة وعدلا وقيل البر ظهر الارض
والبحر المعروف والفساد ارتكاب المعاصى عن ابى العالية وقيل فساد البر قتل قابيل بن آدم اخاه وفساد البحر اخذ السفينة غصبا
عن مجاهد وقيل الفساد ولاة السوء فى البر والبحر وقيل فساد البر ما يحصل فيه من المخاوف المانعة من سلوكه ويكون ذلك بخذلان
الله لاهله والعقاب به وفساد البحر اضطراب امره حتى لا يكون للعباد متصرف فيه وكل ذلك ليرتدع الخلق عن معاصيه وقيل البر
البرية والبحر الريف والمواضع الخصبة واصل البر من البر لانه يبر بصلاح المقام فيه وكذلك البر لانه يبر بصلاحه فى الغذاء اتم صلاح
واصل البحر الشق لانه شق فى الارض ثم كثر فسمى الماء الملح بحرا انشد ثعلب وقد عاد عذب الماء بحرا فزادنى على مرضى ان ابحر المشرب العذب
بما كسبت ايدى الناس اى جزاء بما عمله الناس من الكفر والفسوق وقيل معناه بسوء افعالهم وشؤم معاصيهم ليذيقهم بعض
الذى عملوا اى ليصيبهم الله بعقوبة بعض اعمالهم التى عملوها من المعاصى لعلهم يرجعون اى ليرجعوا عنها فى المستقبل وقيل معناه
ليرجع من ياتى بعدهم عن المعاصى قل يا محمد سيروا فى الارض ليس بامر وكنه مبالغة فى العظة وروى عن ابن عباس انه قال

خس

من قراء القرآن وعليه سار في الارض لان فيه اخبار الامم فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل من الملوك العاتية والقرون
العاصية كيف اهلكهم الله وكيف صارت قبورهم ومحاضرهم مقابرهم فلم يبق لهم عين ولا اثر بين انه فعل ذلك بهم لسوء صنعهم
فقال كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم اى استقم للدين المستقيم بصاحبه الى الجنة اى لا تعدل عنه يمينا ولا شمالا
فانك متى فعلت ذلك اداك الى الجنة وهو مثل قوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله تتقلب فيه القلوب من قبل ان ياتي يوم لا مرد له
اى لذلك اليوم وهو يوم القيمة من الله اى لا يرده احد يومئذ يصدعون اى يتفرقون فيه فريق في الجنة وفريق في السعير عن قتادة
وغيره من كفر فعليه كفره اى عقوبة كفره لا يعاقب احد بذنبه ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اى يوطئون لانفسهم منازلهم يقال
مهدت لنفسي خيرا اى هيأته ووطأته والمعنى ان ثواب ذلك يصل اليهم وتتمهد احوالهم الحسنة عند الله وهذا توسيع يقول من
اصلح عمله فكانه فرش لنفسه في القبر والقيمة وسوى مضجعه ومثواه وروى منصور بن حازم عن ابي عبد الله ع قال ان العمل
الصالح ليسبق صاحبه الى الجنة فيمهد له كما يمهد لاحدكم خادمه فراشه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله اى يجزيهم
على قدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله وقيل معناه بفضله اى بسبب فضله لانه خلقهم وهداهم ومكنهم وازاح علتهم حتى استحقوا الثواب
وقيل من فضله يعني فضلا من فضله وثوابا لا ينقطع انه لا يحب الكافرين اى لا يريد كرامتهم ومنفعتهم وانما يريد عقابهم جزاء على كفرهم

قوله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين
الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج
من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم
من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير خمس آيات

القراءة قرا ابو جعفر وابن ذكوان كسفا بسكون السين والباقون بتحريكها وقد مضى القول فيه وقرا ابن عامر واهل الكوفة غير ابي بكر
الى آثار على الجمع والباقون اثر بغير الف على الواحد وروي عن علي ع وابن عباس والضحاك من خلله وعن الجحدري وابن السميفع وابي حيوة
كيف تحيي بالتاء الحجة قال ابو علي الافراد في اثر لانه مضاف الى مفرد وجاز الجمع لان رحمة الله يجوز ان يراد به الكثرة كما قال سبحانه وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقوله كيف يحيي الارض يجوز ان يكون فاعل يحيي الضمير العائد الى اثر ويجوز ان يكون الضمير العائد الى
الى اسم الله وهو الاولى ومن رد الضمير الى اثر لزمه ان يقول تحيي بالتاء اذا قرا الى آثار رحمة الله واما من قرا خلله فيجوز ان يكون
خلل واحد خلال كجبل وجبال ويجوز ان يكون خلال واحدا عاقب خلالا كالصلا والصلاء ومن قرا الى اثر رحمة الله كيف تحيي بالتاء فانما
جاز ذلك وان كان لا يجوز الا ترى الى غلام هند كيف تضرب زيدا بالتاء لان الرحمة قد يقوم مقامها اثرها ولا يقوم مقام هند غلامها
تقول رايت عليك النعمة ورايت عليك اثر النعمة ولا يعبر عن هند بغلامها الاعراب وليذيقكم عطف على المعنى تقديره يرسل
الرياح ليبشركم بها وليذيقكم وقوله كيف يشاء تقديره اى مشية يشاء فيكون مفعولا مطلقا ليشاء وقوله كيف يحيي الارض يجوز ان
يكون كيف في موضع النصب على الحال من يحيي وذو الحال الضمير المستكن في يحيي او الارض والتقدير امبدعا يحيي الارض ام لا او امبدعة
تحيي الارض ام لا ويجوز ان يكون على تقدير المصدر اى احياء يحيي الارض قال ابن جني والجملة منصوبة الموضع على الحال حملا على
المعنى لا على اللفظ وذلك ان اللفظ استفهام والحال ضرب من الخبر والاستفهام والخبر معنيان متدافعان وتلخيص كونها حالا انه
كانه قال فانظر الى آثار رحمة الله محيية الارض كما ان قوله ما زلت اسعى منهم واختبط حتى اذا جاء الظلام المختلط جاؤا بمذق هل رايت
الذئب قط فقوله هل رايت الذئب قط جملة استفهامية في موضع الصفة حملا على المعنى دون اللفظ فكانه قال جاؤا بمذق يشبه
لونه لون الذئب والمذق اللبن المضروب بالماء وهو يضرب الى الخضرة والطلبة المعنى ولما وعد الله سبحانه واوعد فكان قائلا قال ما اصل
ما يجزي الله عليه بالخير فقيل العبادة واصل عبادة الله معرفته ومعرفته انما تكون بافعاله فقال ومن آياته اى ومن افعاله الدالة
على معرفته ان يرسل الرياح مبشرات بالمطر فكانها ناطقات بالبشارة لما فيها من الدلالة عليه وارسال الرياح تحريكها واجراؤها في الجهات

نصف الحزب

عشر

المختلفة

المختلفة تارة شمالا وتارة جنوبا ومرة صبا واخرى دبورا على حسب ما يعلم الله فى ذلك من المصلحة وليذيقكم من رحمته اى و
ليصيبكم من نعمته وهى الغيث وتقديره انه يرسل الرياح للبشارة وللاذاقة من الرحمة ولتجرى الفلك بها بامره ولتبتغوا من فضله
اى ولتطلبوا بركوب السفن الارباح وقيل ولتطلبوا بالامطار فيما تزرعونه من فضل الله ولعلكم تشكرون نعمة الله تلطف
سبحانه بلفظ لعلكم فى الدعاء الى الشكر كما تلطف فى الدعاء الى البر بقوله من ذى الذى يقرض الله قرضا حسنا ثم خاطب نبيه
صلى الله عليه وآله تسلية له فى تكذيب قومه اياه فقال ولقد ارسلنا من قبلك يا محمد رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات اى
بالمعجزات والآيات الباهرات وههنا حذف تقديره فكذبوهم وجحدوا باياتهم فاستحقوا العذاب فانتقمنا من الذين
اجرموا اى عاقبناهم بتكذيبهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين معناه ودفعنا السوء والعذاب عن المؤمنين وكان واجبا علينا
نصرهم باعلاء الحجة ودفع الاعداء عنهم الا انه دل على المحذوف قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وجاءت الرواية عن ام
الدرداء انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد
عنه نار جهنم يوم القيمة ثم قرا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ثم قال سبحانه مفسرا لما اجمله فى الآية المتقدمة الله الذى يرسل
الرياح فتثير سحابا اى تهيج سحابا وتزعجه فيبسطه الله فى السماء كيف يشاء ان شاء بسطه مسيرة يوم وان شاء بسطه
مسيرة يومين ويجريها الى اى جهة شاء والى اى بلد شاء ويجعله كسفا اى قطعا متفرقة عن قتادة وقيل متراكبا بعضه على
بعض حتى يغلظ عن الجبائى وقيل قطعا يغطى ضوء الشمس عن ابى مسلم فترى الودق اى القطر يخرج من خلاله اى من خلال
السحاب فاذا اصاب به اى بذلك الودق من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون اى يفرحون ويبشر بعضهم بعضا به وان كانوا
من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين معناه وانهم كانوا من قبل انزال المطر عليهم قانطين آيسين من نزول المطر عن قتادة
وكرر كلمة من قبل للتوكيد عن الاخفش وغيره وقيل ان الاولى من قبل الانزال للمطر والثانى من قبل الارسال للرياح فانظر
الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض حتى انبتت شجرا ومرعى بعد موتها اى بعد ان كانت مواتا يابسة وجعل سبحانه اليبس
والجدوبة بمنزلة الموت وظهور النبات فيها بمنزلة الحيوة توسعا ان ذلك لمحيى الموتى اى ان الله يفعل ما ترون وهو الله تعالى
لمحيى الموتى فى الآخرة بعد كونهم رفاتا وهو على كل شئ قدير معناه. قوله تعالى فلئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده
يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن
باياتنا فهم مسلمون الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء
وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون خمس آيات القراءة قرا ابن كثير وعباس عن ابى عمرو ولا يسمع الصم
والباقون ولا تسمع الصم وقد ذكرناه فى سورة النمل وقرا عاصم وحمزة من ضعف بالضم والباقون بفتح الضاد وقد ذكرناه فى سورة
الانفال الاعراب جواب الشرط من قوله لئن ارسلنا قد حذف لانه قد اغنى عنه جواب القسم لان المعنى فى قوله لظلوا ليظلن كما
ان قوله ان ارسلنا بمعنى ان نرسل فجواب القسم قد ناب عن الامرين وكان احق بالحكم لتقدمه على الشرط ولو تقدم الشرط لكان
الجواب له كقولك ان ارسلنا ريحا ظلوا والله يكفرون واللام فى قوله ولئن يسميها البصريون لام توطئة القسم ويسميها الكوفيون
لام ارتداد القسم ومعنى ظل يفعل جعل يفعل فى صدر النهار وهو الوقت الذى فيه الظل للشمس المعنى ثم عاب سبحانه كافر
النعمة فقال ولئن ارسلنا ريحا موذية بالهلاك باردة فرأوه مصفرا اى فرأوا النبت والزرع الذى كان من رحمة الله مصفرا من البرد
بعد الخضرة والنضارة وقيل ان الهاء تعود الى السحاب ومعناه فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يكن فيه مطر لظلوا
من بعده يكفرون اى لصاروا من بعد ان كانوا راجين مستبشرين يكفرون بالله وبنعمه ولم يرضوا بقضاء الله تعالى فيه فهل من
جهل صانعه ومدبره ولا يعلم انه حكيم لا يفعل الا الاصلح فيشكر عند النعمة ويصبر عند الشدة ثم قال لنبيه ع انك لا تسمع يا محمد
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء شبه الكفار فى ترك تدبرهم فيما يدعوهم اليه النبى صلى الله عليه وآله تارة بالاموات وتارة بالصم لانهم
لا ينتفعون بدعاء الداعى فكانهم لا يسمعون اذا ولوا مدبرين اى اذا اعرضوا عن ادلتنا ذاهبين الى الضلال والفساد غير سالكين

ع
حس

بحبل الرشاد وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم يعنى انهم كالعمى لا يهتدون بالادلة ولا يقدر على ردهم عن العمى اذ لم يطلبوا
الاستبصار ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اى ليس يسمع الا من يصدق باياتنا وادلتنا فانهم المنتفعون بدعائك واسماعك
فهم مسلمون منقادون لامر الله ثم عاد سبحانه الى ذكر الادلة فقال الله الذى خلقكم من ضعف اى من نطف وقيل معناه خلقكم
اطفالا لا تقدرون على البطش والمشى والتصرفات ثم جعل من بعد ضعف قوة اى شبابا ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
يعنى حال الشيخوخة والكبر يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وهو العليم بما فيه مصالح خلقه القدير على فعله بفعل بحسب ما يعلمه
من المصلحة ثم بين سبحانه حال البعث فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اى يحلف المشركون ما لبثوا الا فى القبور
غير ساعة واحدة عن الكلبى ومقاتل وقيل يحلفون ما مكثوا فى الدنيا غير ساعة لاستقلالهم مدة الدنيا وقيل يحلفون ما لبثوا بعد
انقطاع عذاب القبر غير ساعة واحدة عن الجبائى وقيل كيف يحلفون كاذبين مع ان معارفهم فى الآخرة ضرورية قيل فيه اقوال
احدها انهم حلفوا على الظن ولم يعلموا لبثهم فى القبور فكانهم قالوا ما لبثنا غير ساعة واحدة فى ظنوننا عن ابى على وابى هاشم
وثانيها انهم استقلوا الدنيا لما عاينوا من امر الآخرة فكانهم قالوا ما الدنيا فى الآخرة الا ساعة فاستقلوا حيث اشتغلوا فى المدة
اليسيرة بما امر دهم تلك الاهوال الكثيرة وثالثها ان ذلك يجوز ان يقع منهم قبل اكمال عقولهم عن ابى بكر بن الاخشيد كذلك كانوا
يؤفكون فى دار الدنيا اى يكذبون وقيل يصرفون صرفهم جهلهم عن الحق فى الدارين ومن استدل بهذه الآية على نفى عذاب القبر
فقد ابعد لما بينا انه يجوز ان يريدوا انهم لم يلبثوا بعد عذاب الله الا ساعة قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ
لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ • فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا
هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ • وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ • كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ • فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ • خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة لا ينفع بالياء والباقون
بالتاء وكذلك فى حم المؤمن ووافق نافع اهل الكوفة فى حم المؤمن الحجة قال ابو على التانيث حسن لان المعذرة اسم مؤنث واما
التذكير فلان التانيث ليس بحقيقى وقد وقع الفصل بين الفعل وفاعله والفصل يحسن التذكير المعنى ثم اخبر سبحانه عن علماء
المؤمنين فى ذلك اليوم فقال وقال الذين اوتوا العلم والايمان اى اتاهم الله العلم بما نصب لهم من الادلة الموجبة فنظروا فيها
فحصل لهم العلم فلذلك اضافه الى نفسه لما كان هو الناصب للادلة الدالة على العلوم والتصديق بالله ورسوله لقد لبثتم اى
مكثتم فى كتاب الله ومعناه ان لبثكم ثابت فى كتاب الله اثبته الله فيه وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وهذا كما يقال
ان كل ما يكون فهو فى اللوح المحفوظ اى هو مثبت فيه والمراد لقد لبثتم فى قبوركم الى يوم البعث وقيل ان الذين اوتوا العلم والايمان
هم الملائكة وقيل هم الانبياء وقيل المؤمنون وقيل ان هذا على التقديم والتاخير وتقديره وقال الذين اوتوا العلم فى كتاب الله وهم
الذين يعلمون كتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث وقال الزجاج فى كتاب الله اى فى علم الله المثبت فى اللوح المحفوظ
فهذا يوم البعث الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون وقوعه فى الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن ويدل على هذا
المعنى قوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا انفسهم بالكفر معذرتهم فلا يمكنون من الاعتذار ولو اعتذروا لم يقبل عذرهم ولا هم
يستعتبون اى لا يطلب منهم الاعتاب والرجوع الى الحق ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل اى بالغنا فى البيان للمكلفين
فى القرآن الذى انزلناه على نبينا من كل مثل يدعوهم الى التوحيد والايمان ولئن جئتهم باية اى معجزة باهرة مما اقترحوها منك
ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون اى اصحاب اباطيل وهذا اخبار عن عناد القوم وتكذيبهم بالايمان كذلك اى مثل ما طبع
الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله والطبع والختم مفسران فى سورة البقرة فاصبر يا محمد على اذى هؤلاء الكفار ولظاهرهم
على كفرهم ان وعد الله حق بالعذاب والتنكيل لاعدائك والنصر والتاييد لك ولدينك ولا يستخفنك اى لا يستفزنك
الذين لا يوقنون بالبعث والعذاب فهم ضالون شاكون وقيل لا يستخفنك اى لا يحملنك كفرهم هؤلاء على الخفة والعجلة لشدة
الغضب عليهم لكفرهم باياتك فتفعل خلاف ما امرت به من الصبر والرفق عن الجبائى سورة لقمان مكية عن ابن عباس سوى

عشر ٩

ثلث آيات نزلن بالمدينة ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى آخرهن عدد آيها ثلث وثلثون آية حجازي اربع في الباقين
اختلافها آيتان الم كوفي مخلصين له الدين بصري شامي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله من قرا سورة لقمن
كان له لقمن رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر وروى محمد بن جبير العرزمي عن ابيه
عن ابي جعفر ع قال من قرا سورة لقمن في كل ليلة وكل الله به في ليلته ثلثين ملكا يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يصبح فان قراها
بالنهار لم يزالوا يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يمسي تفسيرها لما ختم سبحانه سورة الروم بذكر الآيات الدالة على صحة نبوته افتتح هذه
السورة بذكر آيات القرآن بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل
عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان
تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم عشر آيات القراءة قرا حمزة ورحمة بالرفع والباقون ورحمة بالنصب وقرا
اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب ويتخذها بالنصب والباقون بالرفع وقد ذكرنا فيما تقدم ان ابن كثير وابا عمرو ويعقوب قرؤا ليضل
بفتح الياء وان نافعا يقرا الاذن بسكون الذال كل القرآن الحجة قال ابو علي والزجاج وجه النصب في ورحمة انه انتصب على
الاسم المبهم على الحال اي تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة على اضمار المبتدا اي هو هدى ورحمة ومن رفع ويتخذها
جعله عطفا على الفعل الاول اي من يشتري ويتخذ ومن نصب عطفه على ليضل ويتخذها واما الضمير في يتخذها فيجوز ان يكون
للحديث لانه بمعنى الاحاديث ويجوز ان يكون للسبيل لان السبيل يؤنث قال قل هذه سبيلي ويجوز ان يكون لآيات الله وقد
جرى ذكرها في قوله تلك آيات الكتاب الاعراب مفعول يضل محذوف اي ليضل الناس بغير علم في موضع النصب على الحال تقديره
ليضل الناس جاهلا او غير عالم كان لم يسمعها الكاف في موضع الحال وكذا قوله كان في اذنيه وقرا في موضع الحال وكذا قوله كان
في اذنيه وقرا في موضع الحال اي ولى مستكبرا مشبها للاصم لهم جنات النعيم جنات يرتفع بالظرف على المذهبين لانه جرى خبرا على
المبتدا وعد الله مصدر فعل محذوف وحقا صفة للمصدر وتقديره وعد الله وعدا حقا بغير عمد يجوز ان يكون غير صفة لمحذوف
مجرور بالباء اي بعمد غير عمد ترونها وترونها جملة في موضع جر بكونها صفة لعمد اي بغير عمد مرئية ويجوز ان يكون غير بمعنى لا
وعلى الوجهين يتعلق الباء بخلق ويجوز ان يكون الباء للحال فيكون حالا من السموات ويجوز وجه آخر وهو ان يتعلق
الباء بترونها والجملة في موضع النصب على الحال من خلق والتقدير خلق السموات مرئية بغير عمد ان تميد في موضع نصب بانه مفعول له
وتقديره حذرا ان تميد او كراهة ان تميد النزول نزل قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث في النضر بن الحرث بن علقمة بن
كلدة بن عبد الدار بن قصي كان يتجر فيخرج الى فارس فيشتري اخبار الاعاجم ويحدث بها قريشا ويقول لهم ان محمدا يحدثكم
بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن عن
الكلبي وقيل نزلت في رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا عن ابن عباس ويؤيده ما رواه ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وآله
قال لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله ومن الناس من يشتري الآية والذي
نفسي بيده ما رفع رجل عقيرته يتغنى الا ارتدفه شيطانان يضربان بارجلهما على ظهره وصدره حتى يسكت المعنى الم تلك آيات
الكتاب الحكيم تقدم تفسيره هدى ورحمة للمحسنين اي بيان ودلالة ونعمة للمطيعين وقيل للذين يحسنون العمل ثم وصفهم
فقال الذين يقيمون الصلوة الى قوله هم المفلحون وقد مر تفسيره في سورة البقرة ثم وصف الذين حالهم بخلاف حال هؤلاء فقال
ومن الناس من يشتري لهو الحديث اي باطل الحديث واكثر المفسرين على ان المراد بلهو الحديث الغناء وهو قول ابن عباس وابن
مسعود وغيرهما وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وابي الحسن الرضا ع قالوا منه الغناء وروي ايضا عن ابي عبد الله ع انه قال
هو الطعن في الحق والاستهزاء به وما كان ابو جهل واصحابه يجيئون به اذ قال يا معشر قريش الا اطعمكم من الزقوم الذي يخوفكم

به صاحبكم ثم ارسل الى زبد وتمر فقال هذا هو الزقوم الذى يخوفكم به قال ومنه الغناء فعلى هذا فانه يدخل فيه كل شئ يلهى عن
سبيل الله وعن طاعته من الاباطيل والمزامير والملاهى والمعازف ويدخل فيه السخرية بالقرآن واللغو فيه كما قال ابو مسلم والترهات
والبسابس على ما قاله عطا وكل لهو ولعب على ما قاله قتادة والاحاديث الكاذبة والاساطير الملهية عن القرآن على ما قاله الكلبى
وروى الواحدى بالاسناد عن نافع عن ابن عمر انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال باللعب
والباطل كثير النفقة سمح فيه ولا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به وروى ايضا بالاسناد عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من ملأ مسامعه من غناء لم يأذن له ان يسمع صوت الروحانيين يوم القيمة قيل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء
اهل الجنة ليضل عن سبيل الله اى ليضل غيره ومن اضل غيره فقد ضل هو ومن قرأ بفتح الياء فالمعنى ليصير امره الى الضلال وهو ان لم
يكن يشترى للضلال فانه يصير امره الى ذلك قال قتادة بحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق
وسبيل الله قراءة القرآن وذكر الله عن ابن عباس بغير علم معناه انه جاهل فيما يفعله ولا يفعل عن علم ويتخذها هزوا اى ويتخذ آيات الله
القرآن هزوا ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها اولئك لهم عذاب مهين اى مذل يهينهم الله به واذا تتلى عليه آياتنا اى واذا تليت
عليه القرآن ولى مستكبرا كان لم يسمعها اى اعرض عن سماعه اعراض من لا يسمعه رافعا نفسه فوق مقدارها كان فى اذنيه وقرا اى
كان فى مسامعه ثقلا يمنعه عن سماع تلك الآيات فبشره يا محمد بعذاب اليم اى مؤلم موجع فى القيمة ثم اخبر سبحانه عن صفة
المؤمنين المصدقين فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم يوم القيمة يتنعمون فيها خالدين فيها اى مؤبدين
فى تلك الجنات وعد الله حقا اى وعدا وعده الله حقا لا خلف له وهو العزيز فى انتقامه الحكيم فى جميع افعاله واحكامه لا يفعل
الا ما تقتضيه الحكمة ثم اخبر سبحانه عن افعاله الدالة على توحيده فقال خلق السموات اى انشأها واخترعها بغير عمد ترونها اى
لو كان لها عمد لرأيتموها لانها كانت تكون اجساما عظاما حتى يصح منها ان تقل السموات ولو كانت كذلك لاحتاجت الى عمد آخر
فكان يتسلسل فاذا لا عمد لها ان المراد بغير عمد مرئية والمعنى ان لها عمدا لا ترونها عن مجاهد والصحيح الاول والقى فى الارض رواسى
اى جبالا ثابتة ان تميد بكم اى كراهة ان تميل بكم وقيل لئلا تميد بكم وبث فيها اى فرق فيها اى فى الارض من كل دابة تدب على وجهها
من انواع الحيوانات وانزلنا من السماء ماء اى غيثا ومطرا فانبتنا فيها اى فى الارض بذلك الماء من كل زوج اى صنف كريم اى حسن النبت طيب الثمر

قوله تعالى هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله
ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك
على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون

خمس آيات القراءة قرأ ابن كثير فى رواية البزى يا بنى لا تشرك بالله ساكنة الياء يا بنى انها مكسورة الياء يا بنى اقم الصلوة مفتوحة
الياء وقرأ فى رواية القواس يا بنى لا تشرك يا بنى اقم ساكنة الياء فيهما يا بنى انها مكسورة الياء وقرأ فى رواية ابن فليح لا تشرك
يا بنى انها مكسورة الياء فيهما يا بنى اقم الصلوة مفتوحة الياء وقرأ حفص يا بنى بفتح الياء فى كل القرآن والباقون بكسر الياء
كل القرآن وفى الشواذ قراءة عيسى الثقفى ورواية بعضهم عن ابى عمرو وهنا على وهن بفتح الهاء وقراءة الحسن بخلاف وابى رجاء
والجحدرى وقتادة ويعقوب وفصله فى عامين الحجة قال ابو على من اسكن الياء فى الوصل فانه يجوز ان يكون على قول من قال
يا غلام اقبل فلما وقف قال يا غلام فاسكن للوقف ويكون اجرى الوصل مجرى الوقف وعلى هذا يجئ فى الشعر كقول عمران قد كنت
عندك حولا لا تروعنى فيه روائع من انس ومن جان فانما خفف جان للقافية ثم وصل بحرف الاطلاق واجرى الوصل مجرى
الوقف وهذا لا تعلمه جاء فى الكلام ومن قال يا بنى انها فهو على قولك يا غلام اقبل ومن قال يا بنى بفتح الياء فانه على قولك يا بنيا
فابدل من ياء الاضافة الفا ومن الكسرة فتحة وعلى هذا حمل ابو عثمان قوله يا ابت وقد تقدم ذكر ذلك فيما سلف ومن قرأ
وهنا على وهن بفتح الهاء فيمكن ان يكون حرك الهاء لاجل حرف حلق كقراءة الحسن الى يوم البعث فهذا يوم البعث بفتح

ع ١٠

خمس

العين واما الفصل فانه اعم من الفصال لانه يستعمل فى الرضاع وغيره والفصال ههنا وجه لان الموضع مختص بالرضاع
فارونى ماذا خلق الذين من دونه تقديره اى شىء خلق فماذا بمنزلة اسم واحد فى موضع نصب بانه مفعول خلق والجملة
متعلقة بارونى ان اشكر لله قال الزجاج معناه لان يشكر لله ويجوز ان تكون ان مفسرة فيكون المعنى اى اشكر لله وتأويل ان
اشكر لله قلنا له اشكر لله على ما آتيناك حملته امه فى موضع النصب على الحال باضمار قد والعامل فى الحال معنى الفعل الذى يدل عليه
قوله ووصينا الانسان بوالديه فان معناه امرناه بالاحسان الى والديه وحاله انه كان محمولا لامه ومثله قوله كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا اى وحالكم انكم كنتم امواتا وهنا مصدر فعل محذوف فى موضع الحال اى تهن وهنا وقوله على وهن فى موضع الصفة لقوله وهنا
ويجوز ان يتعلق ايضا بالعامل فى وهنا وقوله معروفا صفة لمصدر محذوف تقديره مصاحبا معروفا والمعنى مصاحبة معروفة
ثم اشار سبحانه الى ما تقدم ذكره فقال هذا خلق الله اى هذا الذى ذكرت من السموات على عظمها وكبر حجمها والارض وما فيها خلق
الله الذى اوجده واحدثه فارونى ماذا خلق الذين من دونه يعنى الهتهم التى يعبدونها بل الظالمون فى ضلال مبين المعنى انهم
لا يجدون لهذا الكلام جوابا ولا يمكنهم ان يشيروا الى شىء هو خلق آلهتهم فلم يحملهم على عبادتهم خلقها الشىء ولكنهم فى عدول ظاهر
عن الحق ولما ذكر سبحانه الادلة الدالة على توحيده وقدرته وحكمته بين عقيب ذلك قصة لقمن وانه اعطاه الحكمة فقال ولقد
آتينا لقمن الحكمة اى اعطيناه العقل والعلم والعمل والاصابة فى الامور واختلف فيه فقيل انه كان حكيما ولم يكن نبيا عن ابن
عباس ومجاهد وقتادة واكثر المفسرين وقيل انه كان نبيا عن عكرمة والسدى والشعبى وفسروا الحكمة ههنا بالنبوة وقيل انه كان
عبدا اسود حبشيا غليظ المشافر مشقوق الرجلين فى زمن داود عم وقال له بعض الناس الست كنت ترعى معنا فقال نعم قال
فمن اين اوتيت ما ارى قال قدر الله واداء الامانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنينى وقيل انه كان ابن اخت ايوب عم
عن وهب وقيل كان ابن خالة ايوب عن مقاتل وروى عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول
حقا اقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه ومن عليه بالحكمة كان نائما نصف النهار
اذ جاءه نداء يا لقمن هل لك ان يجعلك الله خليفة فى الارض تحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت ان خيرنى ربى قبلت
العافية ولم اقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة فانى اعلم انه ان فعل بى ذلك اعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا
يراهم لم يا لقمن قال لان الحكم اشد المنازل واكدها يغشيه الظلم من كل مكان ان وفى فبالحرى ان ينجو وان اخطا اخطا طريق
الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا وفى الآخرة شريفا خير من ان يكون فى الدنيا شريفا وفى الآخرة ذليلا ومن تخير الدنيا على الآخرة
تفتنه الدنيا ولا يصيب الآخرة فعجب الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يوازر داود عم
بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمن اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى ان اشكر لله معناه وقلنا له اشكر لله تعالى على
ما اعطاك من الحكمة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اى من شكر نعمة الله ونعمة من انعم عليه فانه انما يشكر لنفسه لان ثواب شكره
عايد عليه ويستحق مزيد النعمة والزيادة الحاصلة بالشكر تكون له ومن كفر فان الله غنى عن شكر الشاكرين حميد اى محمود على افعاله
وقيل مستحق الحمد على خلقه بالانعام عليهم والشكر لا يكون الا على نعمة سبقت فهو يقتضى منعما فعلى هذا لا يصح ان يشكر الانسان
نفسه كما لا يصح ان يكون منعما على نفسه ويجرى مجرى الدين فى انه حق لغيره عليه يلزمه اداؤه فكما لا يصح ان يعرض نفسه
فكذلك لا يصح ان ينعم على نفسه واذ قال لقمن لابنه معناه واذكر يا محمد اذ قال لقمن ويجوز ايضا ان يتعلق اذ بقوله ولقد آتينا
لقمن الحكمة اذ قال لابنه وهو يعظه اى يؤدبه ويذكره اى فى حال ما يعظه يا بنى لا تشرك بالله اى لا تعدل بالله شيئا فى العبادة
ان الشرك لظلم عظيم اصل الظلم النقصان ومنع الواجب فمن اشرك بالله فقد منع ما وجب لله عليه من معرفة التوحيد
فكان ظالما وقيل انه ظلم نفسه ظلما عظيما بانه اوبقها ووصينا الانسان بوالديه لما تقدم الامر بشكر نعمته اتبعه بالتنبيه
على وجوب الشكر لكل منعم فبدأ بالوالدين اى امرناه بطاعة الوالدين وشكرهما والاحسان اليهما وانما قرن شكرهما بشكره لانه الخالق
المنشئ وهما السبب فى الانشاء والتربية ثم بين سبحانه زيادة نعمة الام فقال حملته امه وهنا على وهن معناه ضعفا على ضعف

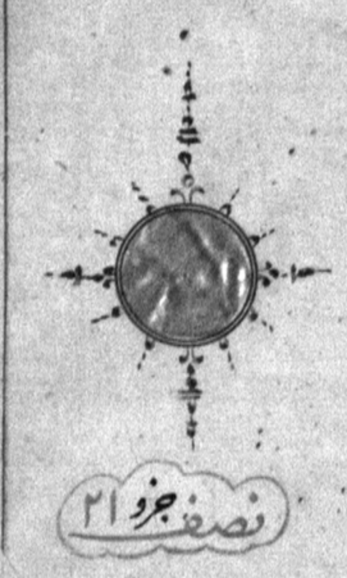
عن الضحاك والحسن يعني ضعف نطفة الوالد على ضعف نطفة الام عن ابي مسلم وقيل لان الحمل يوهنها فكلما ازداد الحمل
ازدادت ضعفا على ضعف وقيل لانها ضعيفة الخلقة فازدادت ضعفا بالحمل وقيل وهنا على وهن اى شدة على شدة وجهدا
على جهد عن ابن عباس وقتادة وفصاله فى عامين اى وفطامه عن الرضاع فى انقضاء عامين لان العامين كلها مدة الرضاع فهو
كقوله يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة والمراد انها بعد ما تلده ترضعه عامين وتربيه فيلحقها المشقة بذلك
ايضا ان اشكر لى ولوالديك هذا تفسير قوله ووصينا الانسان اى وصيناه بشكرنا وشكر والديه فشكر الله سبحانه بالحمد والطاعة
وشكر الوالدين بالبر والصلة الى المصير وفيه تهديد اى الى مرجعكم فاجازيكم على حسب اعمالكم وان جاهداك ايها الانسان اى
جاهدك والداك على ان تشرك بي معبودا آخر فلا تطعهما وهو قوله ما ليس لك به علم لان ما يكون حقا يعلم صحته فما لا يعلم صحته
فهو باطل فكانه قال فان دعواك الى باطل فلا تطعهما فى ذلك وصاحبهما فى الدنيا معروفا اى فاحسن اليهما وارفق بهما فى الامور الدنيا وبهم
وان وجبت مخالفتهما فى ابواب الدين لمكان كفرهما واتبع سبيل من اناب الى اى واسلك طريقة من رجع الى طاعتى واقبل الى بقلبه
وهو النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون ثم الى اى الى حكمى مرجعكم ومنقلبكم فانبئكم اى اخبركم بما كنتم تعملون فى دار الدنيا من الاعمال
واجازيكم عليها بحسبها فى ذكر نبذ من حكم لقمن ذكر فى التفسير ان مولاه دعاه فقال اذبح شاة واتنى باطيب مضغتين
منها فذبح شاة واتاه بالقلب واللسان فسأله عن ذلك فقال انهما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا اخبثا وقيل ان مولاه
دخل المخرج فاطال فيه الجلوس فناديه لقمن ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث الباسور ويصعد الحرارة الى
الراس فاجلس هونا وقم هونا قال فكتب حكمته على باب الحش قال عبد الله بن دينار قدم لقمن من سفر فلقى غلامه فى
الطريق فقال ما فعل ابى قال مات قال ملكت ثم قال ما فعلت امرأتى قال ماتت قال جدد فراشى ثم قال ما فعلت ثم اختى
قال ماتت قال سترت عورتى ثم قال ما فعل اخى قال مات قال انقطع ظهرى وقيل للقمن اى الناس اشر قال الذى لا يبالى ان
يراه الناس مسيئا وقيل له ما اقبح وجهك قال تعيب على النقش او على فاعل النقش وقيل انه دخل على داود ع وهو يسرد الدرع
وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت
حكم وقليل فاعله فقال له داود ع بحق ما سميت حكيما وفى كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمن لابنه يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد
هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الايمان بالله واجعل شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها تقوى الله فان نجوت
فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك وروى سليمن بن داود المنقرى عن حماد بن عيسى عن ابى عبد الله ع قال فى وصية لقمن لابنه
يا بنى سافر بسيفك وخفك وعمامتك وخبائك وسقائك وخيوطك ومخرزك وتزود معك من الادوية ما تنتفع بها انت
ومن معك وكن لاصحابك موافقا الا فى معصية الله عز وجل يا بنى اذا سافرت مع قوم فاكثر استشارتهم فى امرك وامورهم
واكثر التبسم فى وجوههم وكن كريما على زادك بينهم واذا دعوك فاجبهم واذا استعانوا بك فاعنهم واستعمل طول الصمت
وكثرة الصلوة وسخا النفس بما معك من دابة او ماء او زاد واذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم واجهد رايك لهم اذا
استشاروك ثم لا تعزم حتى تتثبت وتنظر ولا تجب فى مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتاكل وتصلى وانت مستعمل
فكرتك وحكمتك فى مشورته فان من لم يمحض النصيحة لمن استشاره يسلبه الله رايه واذا رايت اصحابك يمشون فامش معهم
فاذا رايتهم يعملون فاعمل معهم واسمع لمن هو اكبر منك سنا واذا امروك بامر وسألوك شيئا فقل نعم ولا تقل لا فان لا عى
ولؤم واذا تحيرتم فى الطريق فانزلوا واذا شككتم فى القصد فقفوا وتوامروا واذا رايتم شخصا واحدا فلا تسئلوه عن طريقكم ولا
تسترشدوه فان الشخص الواحد فى الفلاة مريب لعله يكون عين اللصوص او يكون هو الشيطان الذى حيركم واحذروا
الشخصين ايضا الا ان تروا ما لا ارى فان العاقل اذا رآى وابصر بعينه شيئا عرف الحق منه والشاهد يرى ما لا يرى الغايب
يا بنى اذا جاء وقت الصلوة فلا تؤخرها لشئ صلها واسترح منها فانها دين وصل فى جماعة ولو على راس زج ولا تنامن على
دابتك فان ذلك سريع فى دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء الا ان تكون فى محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل واذا قربت من

المنزل فانزل عن دابتك وابدا بعلفها قبل نفسك فانها نفسك واذا اردتم النزول فعليكم من بقاع الارض باحسنها لونا والينها
تربة واكثرها عشبا واذا نزلت فصل ركعتين قبل ان تجلس واذا اردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الارض واذا ارتحلت
فصل ركعتين ثم ودع الارض التي حللت بها وسلم على اهلها فان لكل بقعة اهلا من الملائكة وان استطعت ان لا تاكل
طعاما حتى تبدأ فتصدق منه فافعل وعليك بقراءة كتاب الله مادمت راكبا وعليك بالتسبيح مادمت عاملا وعليك بالدعاء
مادمت خاليا واياك والسير في اول الليل الى آخره ورفع الصوت في مسيرك وقال ابو عبد الله ع والله ما اوتي لقمن الحكمة
بحسب ولا مال ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلا قويا في امر الله متورعا في الله ساكتا سكيتا عميق النظر طويل التفكر
حديد النظر لم ينم نهارا قط ولم يتكي في مجلس قوم قط ولم يتفل في مجلس قوم قط ولم يعبث بشيء قط ولم يراه احد من
الناس على بول ولا غائط قط ولا على اغتسال لشدة تستره وتحفظه في امره ولم يضحك من شيء قط ولم يغضب قط مخافة
الاثم في دينه ولم يمازح انسانا قط ولم يفرح بشيء اوتيه من الدنيا ولا حزن منها على شيء قط وقد نكح من النساء وولد له
الاولاد الكثيرة وقدم اكثرهم افراطا ولم يبك على موت احد منهم ولم يمر بين رجلين يقتتلان او يختصمان الا اصلح بينهما
ولم يمض عنهما حتى تحاجزا ولم يسمع قولا استحسنه من احد قط الا سأله عن تفسيره وعمن اخذه وكان يكثر مجالسة
الفقهاء والعلماء وكان يغشى القضاة والملوك والسلطان فيرثي للقضاة بما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لغرتهم
بالله وطمأنينتهم في ذلك ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز من السلطان وكان يداوي نفسه بالتفكر و
بالعبر وكان لا يظعن الا فيما ينفعه ولا ينظر الا فيما يعنيه فبذلك اوتي الحكمة ومنح القضية قوله تعالى يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلٰوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ
وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللّٰهَ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ
مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ
خمس آيات القراءة قد ذكرنا في سورة الانبياء ان قراءة اهل المدينة مثقال حبة بالرفع وقراءة الباقين بالنصب وقرأ
اهل الكوفة غير عاصم وابو عمرو ونافع ولا تصاعر بالالف والباقون ولا تصعر بالتشديد وقرأ اهل المدينة والبصرة غير
يعقوب وحفص نعمه على الجمع والباقون نعمة على الواحد وفي الشواذ قراءة عبد الكريم الجزري فتكن في صخرة بكسر الكاف
وقراءة يحيى بن عمارة واصبغ بالصاد عليكم نعمة ظاهرة وباطنة الحجة قال ابو علي من قرا ان تك مثقال بالرفع فالحق
علامة التانيث الفعل فلان المثقال هو السيئة او الحسنة فانث على المعنى كما قال فله عشر امثالها فانث ومن قراه مثقال
بالنصب فالمعنى ان تكن المظلمة او السيئة او الحسنة مثقال حبة اتى الله بها واثاب عليها او عاقب واما قوله لا تصعر
فانه يشبه ان يكون لا تصعر ولا تصاعر بمعنى كما قال سيبويه في ضعف وضاعف وقال ابو الحسن لا تصاعر لغة اهل الحجاز
ولا تصعر لغة بني تميم قال ابو عبيدة اصله من الصعر الذي يأخذ الابل في رؤسها واعناقها قال ابو علي فكانه يقول لا تعرض عنهم
ولا تزور كازورار الذي به هذا الداء الذي يلوي منه عنقه ويعرض بوجهه والنعم جمع نعمة فالنعم الكثيرة نعم الله تعالى كثيرة
والمفرد ايضا يدل على الكثرة قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما قوله ظاهرة وباطنة فلا ترجيح فيه لاحدى القراءتين الا ترى
ان النعم توصف بالظاهرة والباطنة كما توصف النعمة بذلك ومن قرأ فتكن فهو من وكن للطائر يكن اذا استقر في وكنه ومنه
قول امرء القيس وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل وقوله واصبغ ابدل فيه السين صادا لاجل الغين
كما قالوا سالغ وصالغ المعنى ثم عاد سبحانه الى الاخبار عن لقمن ووصيته لابنه وانه قال له يا بني انها ان تك مثقال
حبة من خردل معناه ان فعلة الانسان من خير او شر ان كانت مقدار حبة خردل في الوزن ويجوز ان يكون الهاء في انها
ضمير القصة كما في قوله فانها لا تعمى الابصار قال الزجاج يروى ان ابن لقمن سأل لقمن فقال أرأيت الحبة تكون في مقل

عشر ١١

البحر اي في مغاص البحر يقال مقل يمقل اذا غاص ايعلمها الله فقال تلك الحبة ايها اي يا بني ان التي سالتني عنها ان تك مثقال حبة
من خردل فتكن في صخرة اي فتكن في جبل عن قتادة والمعنى في جرم عظيم لان الحبة فيها اخفى وابعد من الاستخراج او في السموات
او في الارض ذكر السموات والارض بعد ذكر الصخرة وان كان لا بد من ان تكون الصخرة في الارض على وجه التاكيد كما قال اقرأ
باسم ربك الذي خلق ثم قال خلق الانسان وقال السدي هذه الصخرة ليست في السموات ولا في الارض هي تحت سبع ارضين
وهذا قول مرغوب عنه يأت بها الله اي يحضرها الله يوم القيمة ويجازي عليها اي يأتي بجزاء ما وازنها من خير او شر وقيل معناه
يعلمها الله فيأتي بها اذا شاء كذلك قليل العمل من خير او شر يعلمه الله فيجازي عليه فهو مثل قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روى العياشي بالاسناد عن ابن مسكان عن ابي عبد الله ع قال اتقوا المحقرات من الذنوب فان
لها طالبا لا يقولن احدكم اذنب واستغفر ان الله تعالى يقول ان تك مثقال حبة من خردل الاية ان الله لطيف باستخراجها
خبير بمستقرها عن قتادة وقيل اللطيف العالم بالامور الخفية والخبير العالم بالاشياء كلها يا بني انما صغر اسمه في هذه المواضع
للرقة والشفقة لا للتحقير اقم الصلوة اي اد الصلوة المفروضة في مواقيتها بشروطها وأمر بالمعروف وهو الطاعة وانه عن
المنكر وهو كل معصية وقبيح سواء كان من القبائح العقلية او الشرعية فان المعروف ما يدعو اليه العقل او الشرع والمنكر
ما يزجر عنه العقل او الشرع واصبر على ما اصابك من المشقة والاذى في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علي ع وقيل
على ما اصابك من شدائد الدنيا ومكارهها من الامراض وغيرها عن الجبائي ان ذلك من عزم الامور اي من العقد الصحيح على
فعل الحسن بدلا من القبيح والعزم الارادة المتقدمة للفعل باكثر من وقت وهو العقد على الامر لتوطين النفس على فعله و
التلون في الراي يناقض العزم وقيل معناه ان ذلك من الامور التي يجب الثبات والدوام عليها وقيل العزم القوة والحزم
الحذر ومنه المثل لا خير في عزم بغير حزم وقيل الحزم التأهب للامر والعزم النفاذ فيه ومنه قيل في المثل رو بحزم فاذا
استوضحت فاعزم ولا تصعر خدك للناس اي ولا تمل وجهك من الناس تكبرا ولا تعرض عمن يكلمك استخفافا به وهذا معنى قول
ابن عباس وابي عبد الله ع يقال اصاب البعير صعر اي داء يلوي عنه عنقه فكان المعنى لا تلزم خدك الصعر لانه لا داء للانسان
ادوى من الكبر قال وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من درئه فتقوما وقيل هو ان يكون بينك وبين الانسان شيء فاذا لقيته
اعرضت عنه عن مجاهد وقيل هو ان يسلم عليك فتلوي عنقك تكبرا عن عكرمة ولا تمش في الارض مرحا اي بطرا وخيلاء
ان الله لا يحب كل مختال اي كل متكبر فخور على الناس واقصد في مشيك اي اجعل مشيك قصدا مستويا على وجه السكون
والوقار كقوله الذين يمشون على الارض هونا قال قتادة معناه تواضع في مشيك وقال سعيد بن جبير ولا تختل في مشيك
واغضض من صوتك اي وانقص من صوتك اذا دعوت وناجيت ربك عن عطا وقيل لا تجهر كل الجهر واخفض صوتك
ولا ترفعه مستطالا ولا يرى ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي اقبح الاصوات صوت الحمير اوله زفير وآخره شهيق عن قتادة يقال
وجه منكر اي قبيح امر لقمن ابنه بالاقتصاد في المشي والنطق وروي عن زيد بن علي انه قال اراد صوت الحمير من الناس
وهم الجهال شبههم بالحمير كما شبههم بالانعام في قوله اولئك كالانعام وروي عن ابي عبد الله ع قال هي العطسة المرتفعة
القبيحة والرجل يرفع صوته بالحديث رفعا قبيحا الا ان يكون داعيا او يقرأ القرآن ثم ذكر سبحانه نعمه على خلقه ونبههم
على معرفتها فقال الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم وما في الارض من الحيوان والنبات و
غير ذلك مما تنتفعون به وتتصرفون فيه بحسب ما تريدون واسبغ عليكم اي اوسع واتم عليكم نعمه باطنة وظاهرة فالظاهرة
ما لا يمكنكم جحده من خلقكم واحيائكم واقداركم وخلق الشهوة فيكم وغيرها من ضروب النعم والباطنة ما لا يعرفها الا من
امعن النظر فيها وقيل الباطنة مصالح الدين والدنيا مما يعلمه الله وغاب عن العباد علمه عن ابن عباس وفي رواية الضحاك عنه
قال سألت النبي صلى الله عليه وآله فقال يا ابن عباس اما ما ظهر فالاسلام وما سوى الله من خلقك وما افضل عليك من
الرزق واما ما بطن فستر مساوي عملك ولم يفضحك به يا ابن عباس ان الله تعالى يقول ثلث جعلتهن للمؤمن ولم يكن له صلوة

١٩١



نصف جزو ٢١

خمس

المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر به عنه خطاياه والثالثة سترت مساوى عمله فلم افضحه بشئ
منه ولو ابديتها عليه لنبذه اهله فمن سواهم وقيل الظاهرة نعم الجوارح والباطنة نعم القلب عن الربيع وقيل الظاهرة تخفيف
الشرايع والباطنة الشفاعة عن عطا وقيل الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الاخرة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على
الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة عن مجاهد وقيل الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة
عن الضحاك وقيل الظاهرة القرآن والباطنة تأويله ومعانيه وقال الباقر عليه السلام النعمة الظاهرة النبي صلى الله عليه وآله وما
جاء به من معرفة الله عز وجل وتوحيده واما الباطنة فولايتنا اهل البيت وعقد مودتنا ولا تنافي بين هذه الاقوال وكلها نعم
الله تعالى ويجوز حمل الآية على الجميع ومن الناس من يجادل اى يخاصم في الله بغير علم بما يقوله ولا هدى اى ولا دلالة ولا حجة
ولا كتاب منير اى ولا كتاب من عند الله ظاهر واضح وقد مضى هذا مفسرا في سورة الحج قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ خمس آيات المعنى
لما اخبر سبحانه عمن جادل في الله بغير علم ولم يذكر النعمة زاد عقيبه في ذمهم فقال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله على محمد من القرآن
وشرايع الاسلام قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ذمهم على التقليد ثم قال منكرا عليهم اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب
السعير ادخل على واو العطف همزة الاستفهام على وجه الانكار وجواب لو محذوف تقديره اولو كان الشيطان يدعوهم
الى عذاب السعير لاتبعوه والمعنى ان الشيطان يدعوهم الى تقليد آبائهم وترك اتباع ما جاءت به الرسل وذلك موجب
لهم عذاب النار فهو في الحقيقة يدعوهم الى النار ثم قال ومن يسلم وجهه الى الله اى ومن يخلص دينه لله ويقصد في افعاله
التقرب اليه وهو محسن فيها فيفعلها على موجب العلم ومقتضى الشرع وقيل ان اسلام الوجه الى الله هو الانقياد لله في
اوامره ونواهيه وذلك يتضمن العلم والعمل فقد استمسك بالعروة الوثقى اى فقد تعلق بالعروة الوثيقة التي لا يخشى انفصامها والوثقى
تانيث الاوثق والى الله عاقبة الامور اى وعند الله ثواب ما صنع عن مجاهد والمعنى والى الله ترجع اواخر الامور على وجه لا يكون
لاحد التصرف فيها بالامر والنهي ومن كفر من هؤلاء الناس فلا يحزنك يا محمد كفره اى لا يهمك ذلك الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا
اى نخبرهم باعمالهم ونجازيهم بسوء افعالهم ان الله عليم بذات الصدور لا يخفى عليه شئ منها نمتعهم قليلا اى نعطيهم متاع الدنيا
ونعيمها ما يتمتعون به مدة قليلة ثم نضطرهم في الآخرة الى عذاب غليظ اى ثم نصيرهم مكرهين الى عذاب يغلظ عليهم ويصعب
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن في جواب ذلك الله خلقها قل يا محمد او ايها السامع الحمد لله على هدايته لنا
وتوفيقه ايانا لمعرفته وقيل معناه اشكر الله على دين يقر لك خصمك بصحته لوضوح دلالته عند الحجاج بل اكثرهم لا يعلمون ما عليهم من الحجة
قوله تعالى لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ
سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ
خمس آيات القراءة قرأ ابو عمرو ويعقوب والبحر بالنصب والباقون بالرفع وقرأ جعفر بن محمد عليه السلام والبحر مداده وفي قراءة ابن
مسعود وبحر يمده وهي قراءة طلحة بن مصرف وقراءة الحسن والاعرج والبحر يمده بضم الياء الحجة قال ابو زيد امددت القوم
بمال ورجال امدادا ومد ماء ركيتنا فمدتها ركية اخرى تمدها قال ابو عبيدة وههنا اختصار سبيله لو كتب كلمات الله بهذه الاقلام
والبحر ما نفدت قال ابو علي والمراد بذلك والله اعلم ما في المقدور دون ما خرج منه الى الوجود قال قتادة يقول لو كان شجر
الارض اقلاما ومع البحر سبعة ابحر اذا لانكسرت الاقلام ونفد ماء البحر قبل ان تنفد عجائب الله وحكمته وخلقه وعلمه فاما
انتصاب البحر من قوله والبحر يمده فلانه معطوف على اسم ان وهو ما في الارض فما اسم ان واقلام خبرها التقدير لو ان شجر

عشر ٤

الارض اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر فاذا عطفت البحر على اسم ان نصبته كان خبره يمده والراجع الى البحر الضمير المنصوب
المتصل بيمده ومن رفع استانف كانه قال والبحر هذه حاله فيما قاله سيبويه واقول اذا عطفت البحر على اسم ان فنصبته فالاولى
ان يكون خبره محذوفا ويكون التقدير ولو ان البحر مداد ويمده سبعة ابحر يكون جملة منصوبة الموضع على الحال وحذف الخبر
الذى هو مداد لدلالة الكلام عليه اذا نصبت البحر او رفعته فالمعنى لو كتب ما فى مقدورات الله لنفد ذلك قبل نفاد المقدور وبحق
هذا من الجمل قد يحذف لدلالة الكلام عليه كقوله اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا ايها
الملاء والمعنى فذهب فالقى الكتاب فقراته المراة او فقرى عليها فقالت يا ايها الملاء ومن قراه وبحر يمده فتقديره وهناك بحر يمده
من بعده سبعة ابحر قال ابن جنى ولا يجوز ان يكون وبحر معطوفا على اقلام لان البحر وما فيه من الماء ليس من حديث الشجر والاقلام
وانما هو من حديث المداد كما قرا جعفر الصادق عم مداده فاما رفع البحر فان شئت كان معطوفا على موضع ان واسمها كما عطف عليه
فى قوله ان الله برئ من المشركين ورسوله وقد مضى ذكر ذلك فى موضعه ومن قرا يمده بضم الياء فانه تشبيه بالمداد للجيش
وليس يقوى ان يكون قراءة جعفر بن محمد والبحر مداده اى زايد فيه لان ماء البحر لا يعتد فى الشجر والاقلام لانه ليس من جنسه
والمداد هناك هو هذا الذى يكتب به المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم من خلقه السموات والارض بقوله لله ما فى السموات
والارض اى له جميع ذلك خلقا وملكا يتصرف فيه كما يريده ليس لاحد الاعتراض عليه فى ذلك ان الله هو الغنى عن حمد الحامدين و
عن كل شئ الحميد اى المستحق للحمد والتعظيم ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله
اى لو كان شجر الارض اقلاما وكان البحر مدادا ويمده سبعة ابحر مثله اى تزيده باءها فيكتب بتلك الاقلام والبحور لتكسرت تلك
الاقلام ونفد ماء البحور وما نفدت كلمات الله وقد ذكرنا تفسير كلمات الله فى سورة الكهف والاولى ان يكون عبارة عن
مقدوراته ومعلوماته لانها اذا كانت لا تتناهى فكذلك الكلمات التى تقع عبارة عنها لا تتناهى ان الله عزيز فى اقتداره على
جميع ذلك حكيم من يفعل من ذلك ما يليق بحكمته ثم قال ما خلقكم ولا بعثكم يا معشر الخلايق الا كنفس واحدة اى كخلق
نفس واحدة وبعث نفس واحدة فى قدرته فانه لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق ولا اعادتهم بعد افنائهم قال مقاتل ان
كفار قريش قالوا ان الله خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة عظما لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا فى ساعة واحدة فنزلت الآية
ان الله سميع يسمع ما يقوله القايلون فى ذلك بصير بما يضمرونه الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل اى
ينقص من الليل فى النهار ومن النهار فى الليل عن قتادة وقيل معناه ان كل واحد منهما يتعقب الآخر وسخر الشمس والقمر لانهما
يجريان على وتيرة واحدة لا يختلفان كل يجرى الى اجل مسمى قدره الله وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق الذى يجب
توجيه العبادة اليه وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير اى القادر القاهر والآيتان مفسرتان فى سورة الحج

قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ ... أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ
اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ
بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ اربع آيات القراءة فى الشواذ قراءة الاعرج بنعمات الله ساكنة العين الحجة فى جمع فعلة
ثلث لغات فعلات بسكون العين وفعلات بفتحها وفعلات بكسر الفاء والعين اللغة الظلل جمع الظلة وهو ما اظلك والختر
اقبح الغدر والختار صاحب الختل والختر قال عمرو بن معدى كرب فانك لو رايت ابا عمير ملات يديك من غدر وختر ويقال جزيت
عنك اجزى اى اغنيت عنك وفيه لغة اخرى اجزات عنك بالهمز اجزى الاعراب فلما نجيهم العامل فى لما معنى فمنهم مقتصد وتقديره اقتصدوا
واخشوا يوما انتصب يوما بانه مفعول به لا يجزى فى موضع نصب بانه صفة يوم والتقدير لا يجزى فيه والد عن ولده ولا مولود
مولود هو جاز عن والده شيئا انتصب شيئا بانه مفعول جاز ومفعول يجزى محذوف ويجوز ان يكون سد مسده مفعولهما جميعا

ع ١٣

المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم من الدلالة على وحدانيته ونعمه على بريته فقال الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله اي الم تعلم ايها الانسان ان السفن تجري في البحر بنعمة الله عليكم ليريكم من اياته اي بعض ادلته الدالة على وحدانيته ووجه الدلالة في ذلك ان الله تعالى يجري السفن بالرياح التي يرسلها في الوجوه التي يريدون المسير فيها ولو اجتمع جميع الخلائق ليجروا الفلك في بعض الجهات المختلفة لجهة الرياح لما قدروا عليه وفي ذلك اعظم دلالة على ان المجري لها بالرياح هو القادر الذي لا يعجزه شيء فذلك بعض الادلة الدالة عليه فلذلك قال من آياته ان في ذلك اي في تسخير الفلك واجرائها على البحر واجراء الريح على وفقها لآيات اي دلالات لكل صبار على مشاق التكليف شكور لنعم الله تعالى عليه وانما قال ذلك ليدل على ان الصبر على بلائه والشكر لنعمائه افضل الطاعات قال الشعبي الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وفي الحديث الايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر وعلى هذا فكانه سبحانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن واذا غشيهم اي اذا غشي اصحاب السفن الراكبي البحر موج اي هيجان البحر كالظلل في ارتفاعه وتغطيته ما تحته شبه الموج بالسحاب الذي يركب بعضه على بعض عن قتادة وقيل يريد كالجبال عن مقاتل دعوا الله مخلصين له الدين اي خافوا الغرق والهلاك فاخلصوا في الدعاء لله في هذه الحال فلما نجاهم اي خلصهم الى البر وسلمهم من هول البحر فمنهم مقتصد اي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد وقيل ان هذا كان سبب اسلام عكرمة بن ابي جهل وهو اخلاصهم الدعاء في البحر رواه السدي عن مصعب بن سعد عن ابيه قال لما كان يوم الفتح امن رسول الله صلى الله عليه وآله الناس الا اربعة نفر قال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة بن ابي جهل وعبد الله بن خطل وقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن ابي سرح فاما عكرمة فانه قال لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص لا ينجيني في البر غيره اللهم ان لك علي عهدا ان انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا حتى اضع يدي في يده فلاجدنه عفوا كريما فجاء فاسلم وقيل فمنهم مقتصد معناه على طريقة مستقيمة وصلاح من الامر عن ابن زيد وقيل ثابت على ايمانه عن الحسن وقيل موف بعهده في البر عن ابن عباس وقيل مقتصد في قوله مضمر لكفره عن مجاهد ثم ذكر الذين تركوا التوحيد في البر فقال وما يجحد بآياتنا الا كل ختار بعهده اي غادر اسوء الغدر والجحد كفور لله في نعمه ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده يعني يوم القيمة لا يغني احد عن احد لا والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا كل امرء يهمه نفسه ان وعد الله حق بالبعث والجزاء والثواب والعقاب حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا اي لا يغرنكم الامهال عن الانتقام والاقبال والاموال عن الاسلام ومعناه لا تغتروا بطول السلامة وكثرة النعمة فانهما عن قريب الى زوال وانتقال ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان عن مجاهد وقتادة والضحاك وقيل هو تمنيك المغفرة في عمل المعصية عن سعيد بن جبير وقيل كل شيء غرك حتى تعصي الله وتترك ما امرك الله به فهو غرور شيطانا كان او غيره عن ابي عبيدة وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هويها وتمنى على الله وفي الشواذ قراءة سماك بن حرب الغرور بضم الغين وعلى هذا فيكون المعنى لا يغرنكم غرور الدنيا بخدعها الباطلة او غرور النفس بشهواتها الموبقة ان الله عنده علم الساعة اي استاثر سبحانه به ولم يطلع عليه احدا من خلقه فلا يعلم وقت قيام الساعة سواه وينزل الغيث فيما شاء من زمان او مكان والصحيح ان معناه ويعلم نزول الغيث في مكانه وزمانه لما جاء في الحديث ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله وقرأ هذه الآية ويعلم ما في الارحام اي ويعلم ما في ارحام الحوامل اذكر ام انثى اصحيح ام سقيم واحد ام اكثر وما تدري نفس ماذا تكسب غدا اي ماذا تعمل في المستقبل وقيل ما يعلم بقاءه غدا فكيف يعلم تصرفه وما تدري نفس باي ارض تموت اي في اي ارض يكون موته وقيل انه اذا رفع خطوة لم يدر انه يموت قبل ان يضع الخطوة ام لا وانما قال باي ارض لانه اراد بالارض المكان ولو قال باية ارض لجاز وروي ان ذلك قراءة ابي وقد روي عن ائمة الهدى عليهم السلام ان هذه الاشياء الخمسة لا يعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعالى ان الله عليم بهذه الاشياء خبير بها

سورة السجدة

سميت ايضا سجدة لقمان لئلا تلتبس بحم السجدة وهي مكية ما خلا ثلث آيات فانها نزلت بالمدينة

افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون الى تمام الآيات عدد آيها تسع وعشرون آية بصري ثلثون في الباقين اختلافها
آيتان الم كوفي جديد حجازي شامي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده
الملك فكانما احيى ليلة القدر وروى ليث عن ابي الزبير عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينام حتى يقرا سورة الم
تنزيل وتبارك الذي بيده الملك قال ليث فذكرت ذلك لطاوس فقال فضلتا على كل سورة في القرآن ومن قراهما كتب له ستون
حسنة ومحي عنه ستون سيئة ورفع له ستون درجة وروى الحسين بن ابي العلا عن ابي عبد الله ع قال من قرا سورة السجدة في كل
ليلة جمعة اعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه وكان من رفقاء محمد واهل بيته عليهم السلم تفسيرها ختم الله سبحانه السورة
التي قبلها بدلايل الربوبية وافتتح هذه السورة ايضا بها وقال بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب
العالمين ام يقولون افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون خمس آيات الاعراب تنزيل الكتاب
خبر مبتداء محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب ويجوز ان يكون تنزيل الكتاب مبتداء ولا ريب فيه خبره وعلى القول الاول
يكون لا ريب فيه موضع نصب على الحال او في موضع رفع على انه خبر بعد خبر وقوله من رب العالمين يحتمل الوجهين
ايضا ام يقولون افتريه ام ههنا استفهام مستانف والتقدير ايقولون وقوله من ربك يجوز ان يتعلق بالحق على تقدير هو
الذي حق من ربك ويجوز ان يكون في موضع النصب على الحال اي كائنا من ربك والعامل فيه الحق وذو الحال الضمير المستكن فيه
لتنذر اللام يتعلق بما يتعلق به من قوله ما لكم من دونه من ولي من الثانية زايدة والتقدير ما ولي ثابت لكم ومن دونه في موضع
نصب على الحال مما يتعلق به اللام في لكم المعنى الم مفسر في اول البقرة تنزيل الكتاب اي هذه الآيات تنزيل الكتاب الذي
وعدتم به لا ريب فيه اي لا شك فيه انه وحي من رب العالمين والمعنى انه لا ريب فيه للمهتدين وان كان قد ارتاب فيه
خلق من المبطلين لا يعتد بهم لانه ليس بموضع الشك وقيل معناه انه زال الشك في انه كلام رب العزة لعجزهم عن الاتيان
بمثله وقيل ان لفظة الخبر ومعناه النهي اي لا ترتابوا فيه والريب اقبح الشك ام يقولون اي بل يقولون افتريه وليس الامر كما
يقولون بل هو الحق نزل عليك من ربك والحق هو كل شيء من اعتقده كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل الى اعتقاده والمدح
عليه وتعظيمه فالكتاب حق لان من اعتقد انه من عند الله كان معتقده على ما هو به والباطل نقيض الحق لتنذر قوما ما اتيهم
من نذير من قبلك يعني قريشا اذ لم ياتهم نبي قبل نبينا ص وان اتى غيرهم من قبايل العرب مثل خالد بن سنان العبسي وقيل يعني
اهل الفترة بين عيسى ومحمد لم ياتهم نبي قبل محمد فكانوا كانهم في غفلة عما لزمهم من حق نعم الله وما خلقهم له من العبادة عن
ابن عباس لعلهم يهتدون اي ليهتدوا ثم ذكر سبحانه الدلالة على وحدانيته فقال الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام اي في مقدار ستة ايام لانه قبل الشمس لم يكن ليل ولا نهار ثم استوى على العرش بالقهر والاستعلاء وهو مفسر في سورة
الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ليس لكم من دون عذابه ولي اي قريب ينفعكم ويرد عذابه عنكم ولا شفيع يشفع لكم وقيل
من ولي اي ناصر ينصركم من دون الله افلا تتذكرون اي افلا تتفكرون فيما قلناه وتعتبرون به فتعلمون صحة ما بيناه يدبر الامر
من السماء الى الارض اي خلقهما وما بينهما في هذه المدة يدبر الامور كلها ويقدرها على حسب ارادته فيما بين السماء والارض وينزله
مع الملك الى الارض ثم يعرج اليه الملك اي يصعد الى المكان الذي امره الله تعالى ان يصعد اليه في يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون اي يوم يكون مقداره لو ساره غير الملك الف سنة مما يعده البشر خمسماية عام نزوله وخمس ماية عام صعوده وقوله
يعرج اليه اي الى الموضع الذي امره بالعروج اليه كقول ابرهيم ع اني ذاهب الى ربي اي الى ارض الشام التي امرني ربي
بالذهاب اليها وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله يعني الى المدينة ولم يكن الله سبحانه بالشام ولا بالمدينة و
معناه انه ينزل الملك بالتدبير او الوحي ويصعد الى السماء فيقطع في يوم واحد من ايام الدنيا مسافة الف سنة مما تعدونه انتم

خمس

لان

لان ما بين السماء والارض مسيرة خمس مائة عام لابن آدم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن والضحاك وقتادة وهو اختيار
الجبائي وقيل معناه انه يدبر الله سبحانه ويقضي امر كل شيء لالف سنة في يوم واحد ثم يلقيه الى ملائكته فاذا مضى الف سنة قضى لالف
سنة اخرى ثم كذلك ابدا عن مجاهد وقيل معناه يدبر امر الدنيا فينزل القضاء والتدبير من السماء الى الارض مدة ايام الدنيا ثم يرجع
الامر ويعود التدبير اليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها حتى ينقطع امر الامراء وحكم الحكام وينفرد الله تعالى بالتدبير في يوم كان مقداره
الف سنة وهو يوم القيمة فالمدة المذكورة مدة يوم القيمة الى ان يستقر الخلق في الدارين عن ابن عباس ايضا فاما قوله في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة فانه اراده سبحانه على الكافر جعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين الف سنة فان المقامات في يوم القيمة
مختلفة وقيل ان المراد بالاول ان مسافة الصعود والنزول الى السماء الدنيا في يوم واحد للملك مقدار مسير الف سنة لغير الملك
من بني آدم والى السماء السابعة مقدار مسير خمسين الف سنة وقيل ان الف سنة للنزول والعروج وخمسين الف سنة لمدة القيمة
قوله تعالى ذٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۝ وَقَالُوا
أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝ خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة ونافع وسهل
خلقه بفتح اللام والباقون خلقه بسكون اللام وفي الشواذ قراءة الزهري وبدا خلق الانسان بغير همز وقرا علي ع وابن عباس
وابان بن سعيد بن العاص والحسن بخلاف ائذا صللنا بالصاد مكسورة اللام وقرا الحسن صللنا بالصاد ايضا مفتوحة اللام الحجة
قال ابو علي خلقه منتصب على انه مصدر دل عليه ما تقدم من قوله احسن كل شيء فاما الضمير الذي اضيف خلق اليه فلا يخلو من
ان يكون اسم الله تعالى لانه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه الى فاعل وما كان من هذا النحو اضيف المصدر فيه الى الفاعل
نحو صنع الله ووعد الله وكتاب الله عليكم وكما اضيف هذه المصادر الى الفاعل فكذلك يكون خلقه مضافا الى ضمير
الفاعل لان قوله احسن كل شيء يدل على خلق كل شيء وان قلت كيف يدل قوله احسن كل شيء على خلق كل شيء وقد نجد اشياء حسنة
مما لم يخلقها قيل هذا كما قال خالق كل شيء فاطلق اللفظ عاما وروي ان عكرمة سئل عن قوله تعالى احسن كل شيء خلقه فقال
ان است القرد ليست بحسنة ولكنه ابرم خلقها اي اتقن وما قلناه من ان انتصاب خلقه من المصدر الذي دل على فعل متقدم
مذهب سيبويه ويجوز ان يكون خلقه بدلا من قوله كل شيء فيصير التقدير الذي احسن خلق كل شيء ومن قال احسن كل شيء خلقه
كان خلقه وصفا للنكرة المتقدمة وموضع الجملة يحتمل وجهين النصب على ان يكون صفة لكل والجر على ان يكون صفة لشيء
وترك الهمز في بدا محمول على البدل لا على التخفيف القياسي ومثله بيت الكتاب راحت بمسلمة البغال عشية فارعى فزارة
لا هناك المرتع ويقول على البدل ابديت اذا اخبرت عن نفسك وتقول على التخفيف بدات بالف بلا همزة وقد مر القول في
اختلافهم في قوله اذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد وموضع اذا نصب بما دل عليه قوله انا لفي خلق جديد لان هذا
الكلام بدل نعاد والتقدير نعاد اذا ضللنا في الارض قال ابو عبيدة معناه همدنا في الارض وقال غيره صرنا ترابا فلم يتبين شيء
من خلقنا وقوله صللنا بالصاد من قولهم صل اللحم اذا انتن يصل ويصل والمعنى اذا انتنا في الارض وصلت اجسامنا
وقيل ان معناه من الصلة وهي الارض اليابسة ومنه الصلصال المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم من دلائل وحدانيته واعلام ربوبيته
فقال ذلك عالم الغيب والشهادة اي الذي يفعل ذلك ويقدر عليه هو العالم بما يشاهد وما لا يشاهد وبما غاب عن الخلق وما
حضر العزيز المنيع في ملكه الرحيم باهل طاعته الذي احسن كل شيء خلقه اي احكم كل شيء خلقه واتقنه عن ابن عباس ومجاهد
وقيل معناه علم كيف يخلق كل شيء قبل ان خلقه من غير ان يعلمه احد عن مقاتل والسدي من قولهم يحسن كذا اي يعلمه وقيل الذي
جعل كل شيء خلقه حسنا حتى جعل الكلب في خلقه حسنا عن ابن عباس والمعنى انه احسن خلقه من جهة الحكمة فكل شيء خلقه
واوجده فيه وجه من وجوه الحكمة حسنة وفي هذا دلالة على ان الكفر والقبائح لا يجوز ان يكون من خلقه وبدا خلق الانسان
من طين اي ابتداء خلق آدم الذي هو اول البشر من طين كان ترابا ثم صار طينا ثم صلصالا ثم حيوانا ثم جعل نسله اي نسل

الانسان الذی هو آدم یعنی ولده من سلالة وهی الصفوة التی تنسل من غیرها ویسمی ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه من
ماء مهین ای ضعیف عن قتادة وقیل حقیر مهان اشار الی انه من شیء حقیر لا قیمة له وانما یصیر ذا قیمة بالعمل ثم سوّیه ای جعله
بشرا سویا وعدله ورتب جوارحه ونفخ فیه ای فی ذلک المخلوق من روحه اضاف الروح الی نفسه اضافة اختصاص وتلک
علی وجه التشریف ثم قال سبحانه مخاطبا لذریته وجعل لکم ایها الخلق السمع والابصار لتسمعوا المسموعات وتبصروا المبصرات
والافئدة ای وجعل لکم القلوب لتعقلوا بها قلیلا ما تشکرون ای تشکرون نعم الله قلیلا من کثیر وما مزیدة ویجوز ان یکون
ما مصدریة فیکون تقدیره قلیلا شکرکم لهذه النعم وقالوا ای قال منکروا البعث ءاذا ضللنا فی الارض ای غبنا فی الارض وصرنا
ترابا وکل شیء غلب علیه غیره حتی یغیب فیه فقد ضل قال الاخطل کنت القذی فی موج اکدر مزبد قذف الاتی به فضل ضلالا وقیل
ان معنی ضللنا هلکنا عن قتادة ومجاهد ءانا لفی خلق جدید ای انبعث ونحیی فهو استفهام معناه الانکار والمعنی کیف نخلق
جدیدا ونعاد بعد ان هلکنا وتفرقت اجسامنا ثم قال سبحانه بل هم ای هؤلاء الکفار بلقاء ربهم ای بما وعد ربهم به من الثواب
والعقاب کافرون ای جاحدون فلذلک قالوا هذا القول قوله تعالی قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ
وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا
كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ
وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
خمس آیات اللغة التوفی اخذ الشیء علی تمام قال الراجز ان بنی آدم لیسوا من احد ولا توفیهم قریش فی العدد یقال استوفی الدین
اذا قبضه علی کماله والتوکیل تفویض الامر الی غیره للقیام به والنکس قلب الشیء علی راسه ویقال فی المرض النکس بضم
النون واما النکس بکسر النون فهو السهم ینکس فیجعل اعلاه اسفله الاعراب ولو تری اذ المجرمون ناکسوا رءوسهم یجوز ان یکون
مفعول تری محذوفا فیکون تقدیره ولو تری المجرمین اذ هم ناکسوا رءوسهم ویجوز ان یکون المعنی لو رمیت ببصرک مثل قوله واذا
رایت ثم رایت نعیما فیکون تری عاملا فی اذ وجواب لو محذوف تقدیره لو رایت المجرمین علی تلک الحالة رایت ما یعتبر به غایة
الاعتبار فذوقوا ای فیقال لهم ذوقوا العذاب بنسیانکم وهذا موضع جر بانه صفة لیومکم المعنی ثم امر الله سبحانه نبیه صلی الله
فقال قل یا محمد للمکلفین یتوفیکم ای یقبض ارواحکم اجمعین وقیل یقبضکم واحدا واحدا حتی لا یبقی منکم احد ملک الموت الذی وکل
بکم ای وکل بقبض ارواحکم عن ابن عباس قال جعلت الدنیا بین یدی ملک الموت مثل جام یاخذ منها ما شاء اذا قضی علیه الموت
من غیر عناء وخطوته ما بین المشرق الی المغرب وقیل ان له اعوانا کثیرة من ملائکة الرحمة وملائکة العذاب عن قتادة والکلبی وعلی
هذا المراد بملک الموت الجنس ویدل علیه قوله توفته رسلنا وقوله تتوفیهم الملائکة واما اضافة التوفی الی نفسه فی قوله الله یتوفی
الانفس حین موتها فلانه سبحانه خلق الموت ولا یقدر علیه احد سواه ثم الی ربکم ترجعون ای الی جزاء ربکم من الثواب والعقاب
تردون فجعل ذلک رجوعا الیه تفخیما للامر وتعظیما للحال وروی عکرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله
الامراض والاوجاع کلها برید الموت ورسل الموت فاذا حان الاجل اتی ملک الموت بنفسه فقال یا ایها العبد کم خبر بعد خبر
وکم رسول بعد رسول وکم برید بعد برید انا الخبر الذی لیس بعدی خبر وانا الرسول اجب ربک طائعا او مکرها فاذا قبض روحه
وتصارخوا علیه قال علی من تصرخون وعلی من تبکون فوالله ما ظلمت له اجلا ولا اکلت له رزقا بل دعاه ربه فلیبک الباکی علی نفسه
فان لی فیکم عودات وعودات حتی لا ابقی منکم احدا ثم اخبر سبحانه عن حالهم فی القیمة وعند الحساب فقال ولو تری یا محمد او ایها
الانسان اذ المجرمون ناکسوا رءوسهم ای یوم القیمة حین یکون المجرمون مطاطئة رءوسهم ومطرقوها حیاء وندما وذلا عند ربهم
ای عند ما یتولی الله سبحانه حساب خلقه یقولون ربنا ابصرنا وسمعنا ای ابصرنا الرشد وسمعنا الحق وقیل معناه ابصرنا صدق
وعدک وسمعنا منک تصدیق رسلک وقیل معناه انا کنا بمنزلة العمی فابصرنا وبمنزلة الصم فسمعنا فارجعنا ای فارددنا الی دار
التکلیف نعمل صالحا من الطاعات فیها انا موقنون الیوم لا نرتاب شیئا من الحق والرسالة ثم قال سبحانه ولو شئنا لآتینا کل نفس هدیها

بان نفعل امرا من الامور يلجئهم الى الاقرار بالتوحيد لكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف لان المقصود استحقاق الثواب والالجاء
لا يثبت معه استحقاق الثواب قال الجبائي ويجوز ان يكون المراد به لو شئنا لاجبناهم الى ما سألوا من الرد الى دار التكليف
ليعملوا بالطاعات ولكن حق القول مني ان اجازيهم بالعقاب ولا اردهم وقيل معناه ولو شئنا لهديناهم الى الجنة ولكن
حق القول مني اي الخبر والوعيد لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي كلا من الصنفين لكفرهم بالله تعالى وجحدهم
وحدانيته وكفرهم نعمه والقول من الله سبحانه بمنزلة القسم فلذلك اتى بجواب القسم وهو قوله لاملأن جهنم ثم حكى سبحانه
ما يقال لهؤلاء الذين طلبوا الرجعة الى دار التكليف اذا حصلوا في العذاب بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا اي بما فعلتم فعل
من نسي لقاء جزاء هذا اليوم فتركتم ما امركم الله به وعصيتموه والنسيان الترك ومنه قول النابغة سقود رب نسوه عند
مفتاد اي تركوه فلم يستعملوه قال المبرد لانه لو كان المراد النسيان الذي هو ضد الذكر لجاز ان يكونوا استعملوه انا نسيناكم
اي فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه اي تركناكم من نعيم جزاء على ترككم طاعتنا وذوقوا عذاب الخلد الذي لا فناء له بما
كنتم تعملون من الكفر والمعاصي ثم اخبر سبحانه عن حال المؤمنين فقال انما يؤمن باياتنا اي يصدق بالقرآن وسائر حججنا
الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها اذكروا واتعظوا بمواعظها بان خروا سجدا اي ساجدين شكرا لله سبحانه على ان هداهم
لمعرفته وانعم عليهم بفنون نعمته وسبحوا بحمد ربهم اي نزهوه عما لا يليق به من الصفات وعظموه وحمدوه وهم لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستنكفون من طاعته ولا يأنفون ان يعفروا وجوههم صاغرين له قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون * افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون * اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون * واما الذين فسقوا
فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون خمس آيات القراءة قرأ حمزة ويعقوب ما
اخفي لهم ساكنة الياء والباقون بفتحها وروى في الشواذ عن النبي صلى الله عليه وآله وابي هريرة وابي الدرداء وابن مسعود
قرات اعين الحجة قال ابو علي الذي يقوي بناء الفعل للمفعول به قوله فلهم جنات المأوى نزلا فابهم ذلك كما ابهم قوله اخفي
لهم ولم يسند الى فاعل بعينه ولو كان اخفي لكان اعطيهم جنات المأوى ويقوي قراءة حمزة ان اخفي مثل آتينا كل نفس هداها
وقوله حق القول مني وقوله مما رزقناهم واما ما في قوله ما اخفي فالابين فيه ان يكون استفهاما وهو عندي قياس قول الخليل
فمن قال اخفي كان ما عنده مرتفعا بالابتداء والذكر الذي في اخفي يعود اليه بفتحها والجملة التي هي ما اخفي في موضع نصب
وتعلم هو الذي يتعدى الى مفعولين كما ان قوله ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء كذلك ومن قال ما اخفي لهم فان
ما في موضع نصب باخفي والجملة في موضع نصب بتعلم كما كان في الاول كذلك ومثله قوله فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وما اشبه ذلك يحمل فيه العلم على التعدي الى مفعولين وما بعده للاستفهام
واما قوله قرات اعين فان القرة مصدر وكان القياس ان لا يجمع لان المصدر اسم للجنس والاجناس ابعد شيء من الجمعية لكن
جعلت القرة نوعا ههنا فجمع كما يقال نحن في اشغال ولنا علوم اللغة التجافي تعاطي الارتفاع عن الشيء ومثله النبو يقال
جفي عنه يجفو وجفاء وتجافى عنه تجافيا اذا نبا عنه قال الشاعر وصاحبي ذات هباب دمشق وابن ملاط متجاف ارفق
والمضجع موضع الاضطجاع وقال عبدالله بن رواحة يصف النبي ص وآله يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين
المضاجع الاعراب خوفا وطمعا مفعول له كما يقال فعلت ذلك مخافة الشر قال الزجاج وحقيقته انه موضع المصدر لان يدعون
ربهم يدل على انهم يخافون عذابه ويرجون رحمته فهو في تأويل يخافون خوفا ويطمعون طمعا وقوله جزاء منصوب ايضا بانه
مفعول له لا يستوون جواب الاستفهام اي لا يكون كذلك والواو الثانية في يستوون فاعل من وجه مفعول من وجه لان المعنى
لا يساوي هؤلاء اولئك ولا اولئك هؤلاء ولو قال لا يستويان لكان جائزا ولكنه جاء على معنى لا يستوي المؤمنون والكافرون
ويجوز ان يكون لا يستوون للاثنين لان معنى الاثنين جماعة نزلا نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم

عشر

كلما طرف زمان لا عيدوا البعث ثم وصف الله سبحانه المؤمنين المذكورين في الآية المتقدمة فقال تتجافى جنوبهم عن
المضاجع اي ترتفع جنوبهم عن مواضع اضطجاعهم لصلوة الليل وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون عن فرشهم للصلوة
عن الحسن ومجاهد وعطا وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع وروى الواحدي بالاسناد عن معاذ بن جبل قال بينا نحن
مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك وقد اصابنا الحر فتفرق القوم فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله اقربهم مني فدنوت
منه فقلت يا رسول الله انبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد
الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلوة المكتوبة وتؤدي الزكوة المفروضة وتصوم رمضان قال وان شئت انبأتك بابواب الجنة قال
قلت اجل يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله ثم قرأ هذه الآية
تتجافى جنوبهم عن المضاجع وبالاسناد عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين
قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيئات ومطردة الداء عن الجسد وقيل هم الذين لا ينامون حتى يصلوا
العشاء الآخرة قال انس نزلت فينا معاشر الانصار نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء نصلي المغرب فلا الآخرة مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وقيل هم الذين يصلون ما بين المغرب والعشاء الآخرة وهي صلوة الاوابين عن قتادة وقيل هم الذين
يصلون العشاء والفجر في جماعة يدعون ربهم خوفا من عذاب الله وطمعا في رحمة الله ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وسبيل
ثوابه ووجه المدح في هذه الآية ان هؤلاء المؤمنين يقطعهم اشتغالهم بالصلوة والدعاء عن طيب المضجع لانقطاعهم الى الله تعالى
فآمالهم مصروفة اليه واتكالهم في كل الامور عليه ثم ذكر سبحانه جزاءهم فقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اي لا يعلم احد
ما خبي لهؤلاء الذين ذكروا مما تقر به اعينهم قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له فالامر اجل واعظم مما يعرف تفسيره وقد ورد في الصحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ان الله يقول اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر بله ما اطلعتكم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين رواه البخاري ومسلم جميعا وقد قيل في
فائدة الاخفاء وجوه احدها ان الشيء اذا عظم خطره وجل قدره لا يستدرك صفاته على كنهه الا بشرح طويل ومع ذلك فيكون
ابهامه ابلغ وثانيها ان قرة العيون غير متناهية فلا يمكن احاطة العلم بتفاصيلها وثالثها انه جعل ذلك في مقابلة صلوة الليل
وهي خفية فكذلك ما اثابهم من جزائها ويؤيد ذلك ما روي عن ابي عبد الله ع انه قال ما من حسنة الا ولها ثواب مبين في
القرآن الا صلوة الليل فان الله سبحانه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال فلا تعلم نفس الآية وقرة العين رؤية ما تقر به العين يقال
اقر الله عينك اي صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك حتى لا تطمع بالنظر الى ما فوقه وقيل هي من القرار والبرد لان المستبشر الضاحك
يخرج من شؤون عينيه دمع بارد والمحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار ومنه قولهم سخنت عينه وهو قرير العين وسخين
العين وانما اضاف القرة الى الاعين على الاطلاق لا على اعينهم تنبيها على انها غاية في الحسن والكمال فتقر بها كل عين جزاء بما كانوا يعملون
من الطاعات في دار الدنيا افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا هذا استفهام يراد به التقرير اي ايكون مصدق بالله على الحقيقة عارف
وبانبيائه عامل بما اوجبه الله عليه وندب اليه مثل من هو فاسق خارج عن طاعة الله مرتكب لمعاصي الله ثم قال لا يستوون لان
منزلة المؤمن درجات الجنان ومنزلة الفاسق دركات النيران ثم فسر ذلك بقوله اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى
يأوون اليها نزلا بما كانوا يعملون اي عطاء بما كانوا يعملون عن الحسن وقيل ينزلهم الله فيها نزلا كما ينزل الضيف يعني انهم في حكم
الاضياف واما الذين فسقوا فمأويهم الذي يأوون اليها النار نعوذ بالله منها كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي كلما هموا بالخروج منها لما
يلحقهم من الم العذاب اعيدوا فيها اي ردوا فيها وقد مر بيانه في سورة الحج وقيل لهم مع ذلك ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
اي لا تصدقون به وتجحدونه وفي هذا دلالة على ان المراد بالفاسق هنا الكافر المكذب قال ابن ابي ليلى نزل قوله افمن كان مؤمنا
الآيات في علي بن ابي طالب ع ورجل من قريش وقال غيره نزلت في علي بن ابي طالب ع والوليد بن عقبة فالمؤمن علي والفاسق الوليد
وذلك انه قال لعلي ع انا ابسط منك لسانا واحد سنانا فقال علي ع ليس كما قلت يا فاسق قال قتادة لا والله ما استووا لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة

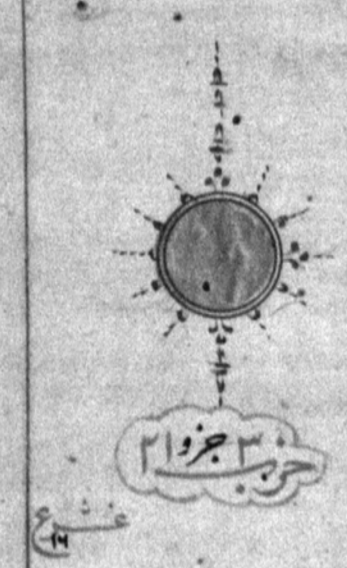
قوله تعالى

١٩٥

ع ١٥

خمس

قوله تعالى وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ خمس آيات القراءة قرأ حمزة والكسائى ورويس عن يعقوب لما صبروا بكسر اللام والباقون لما بالتشديد وفتح اللام الحجة قال ابو على من قرأ لما فانه جعله للمجازاة الا ان الفعل المتقدم ؟ غنى عن الجواب كما انك اذا قلت احبك اذا جئت تقديره ان جئت احبك فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط فكذلك المعنى هنا لما صبروا جعلنا هم ائمة ومن قال لما صبروا علق الجار بجعلنا والتقدير جعلنا منهم ائمة لصبرهم المعنى ثم اقسم سبحانه فى هذه الآية فقال ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اما العذاب الاكبر فهو عذاب جهنم فى الآخرة واما العذاب الادنى ففى الدنيا واختلف فيه فقيل انه المصايب والمحن فى الانفس والاموال عن ابى بن كعب وابن عباس وابى العاليه والحسن وقيل هو القتل يوم بدر بالسيف عن ابن مسعود وقتادة والسدى وقيل هو ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف والكلاب عن مقاتل وقيل هو الحدود عن عكرمة عن ابن عباس وقيل هو عذاب القبر عن مجاهد وروى ايض عن ابى عبد الله ع والاكثر فى الرواية عن ابى جعفر و ابى عبد الله ع ان العذاب الادنى الدابة والدجال لعلهم يرجعون اى ليرجعوا الى الحق ويتوبوا من الكفر وقيل ليرجع الآخرون عن ان يذنبوا مثل ذنوبهم ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه اى لا احد اظلم لنفسه ممن نبه على حجج الله التى توصله الى معرفته ومعرفة ثوابه ثم اعرض عنها جانبا ولم ينظر فيها انا من المجرمين الذين يعصون الله تعالى بقطع طاعاته وتركها منتقمون بان نحل العقاب بهم ولقد آتينا موسى الكتاب يعنى التورية فلا تكن فى مرية اى فى شك من لقائه اى من لقائك موسى ليلة الاسراء بك الى السماء عن ابن عباس وقد ورد فى الحديث انه قال ليلة اسرى بى رايت موسى بن عمران رجل آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى بن مريم رجلا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الراس فعلى هذا فقد وعد انه سيلقى موسى ع قبل ان يموت وبه قال مجاهد والسدى وقيل فلا تكن فى مرية من لقاء موسى اياك فى الآخرة وقيل معناه فلا تكن يا محمد فى مرية من لقاء موسى الكتاب عن الزجاج وقيل معناه فلا تكن فى شك من لقاء الاذى كما لقى موسى الاذى عن الحسن فكانه قال فلا تك فى مرية من ان تلقى كما لقى موسى ع وجعلناه هدى لبنى اسرائيل اى وجعلنا موسى هاديا لهم عن قتادة وقيل وجعلنا الكتاب هاديا لهم عن الحسن وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا اى وجعلنا منهم رؤساء فى الخير يقتدى بهم يهدون الى افعال الخير باذن الله عن قتادة وقيل هم الانبياء الذين كانوا فيهم يدلون الناس على الطريق المستقيم بامر الله لما صبروا اى لما صبروا جعلوا ائمة وكانوا بآياتنا يوقنون لا يشكون فيها ان ربك يفصل بينهم يوم القيمة اى يحكم بين المؤمن والكافر والفاسق فيما كانوا فيه يختلفون من التصديق برسل الله والايمان بالبعث والنشور وغير ذلك من احوالهم واموردينهم النظم ووجه اتصال ذكر موسى عليه السلام بما قبله ان المراد بالآية كما آتيناك يا محمد القرآن فكذبوك كذلك آتينا موسى التورية فكذبوه فهو تسلية للنبى صلى الله عليه وآله ووعيد للمكذبين به قوله تعالى



حزب ٣ جزو ٢١

ع ٢٦

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۞ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۞ خمس آيات القراءة قرأ زيد اولم نهد بالنون والقراء كلهم على الياء وقد ذكرناه فى سورة الاعراف وفى الشواذ قرآءة ابن السميفع يمشون بضم الياء وتشديد الشين وانهم منتظرون بفتح الظاء الحجة قال ابن جنى دفع ابو حاتم فتح الظاء واستدل على ذلك بقوله فارتقب انهم مرتقبون وقوله يمشون للكثرة قال يمشى بيننا حانوت كرم من الخرس الصراصرة القطاط اللغة يقال هديه فى الدين يهديه هدى والى الطريق هداية واهتدى اذا قبل الهداية والواجب من الهدى هو ما يؤدى الى ما ليس للعبد عنه غنى فى دينه فاللطف على هذا هدى والنظر المؤدى الى معرفة الله هدى والسوق الحث على السير سا قه يسوقه والجرز الارض اليابسة التى ليس فيها نبات لانقطاع الامطار عنها من قولهم سيف جراز اى قطاع لا يبقى شيئا الا قطعه وناقة جراز اذا كانت تأكل كل شئ فلا تبقى شيئا الا قطعته بفيها ورجل جروز اكول قال الراجز خب جروز واذا جاع

بكى وفي الجرز اربع لغات بضم الجيم والراء وبفتحهما وبضم الجيم واسكان الراء وبفتح الجيم واسكان الراء الاعراب فاعل يهد مضمر يدل
عليه قوله كم اهلكنا لان ماقبل لا يجوز ان يعمل فيه الحروف الاضافة لان كم على تقدير الاستفهام الذي له صدر الكلام فهو في محل
النصب لانه مفعول اهلك ويمشون في محل النصب على الحال المعنى ثم نبه سبحانه خلقه على الاعتبار بمن تقدمهم من القرون فقال
اولم يهد لهم اي اولم يبصرهم ويبين لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون الماضية جزاء على كفرهم بالله وارتكابهم لمعاصيه
يمشون في مساكنهم ويرون آثارهم وقيل معناه انا اهلكناهم بغتة وهم مشاغيل بنفوسهم ويمشون في منازلهم ان في ذلك
لآيات اي في اهلاكنا لهم دلالات واضحات على الحق افلا يسمعون اي افلا يسمع هؤلاء الكفار ما يوعظون به من المواعظ ثم نبههم
سبحانه على وجه آخر فقال اولم يروا اي اولم يعلموا انا نسوق الماء بالمطر والثلج وقيل بالانهار والعيون الى الارض الجرز اي
اليابسة التي لا نبات فيها وقيل نسوق الماء بالسيول اليها لانها مواضع عالية وهي قرى بين اليمن والشام عن ابن عباس فنخرج به
زرعا تاكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم وانفسهم والمعنى ان هذه الارض تنبت ما تاكله الناس والانعام افلا يبصرون نعم
الله نعم عليهم ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قال الفراء المراد به فتح مكة وقال السدي الفتح هو القضاء بعذابهم
في الدنيا وهو يوم بدر وقال مجاهد هو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيمة وكانوا يسمعون المسلمين يستفتحون الله عليهم
فقالوا لهم متى هذا الفتح اي متى هذا الحكم بيننا قل يا محمد يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم بين سبحانه ان يوم الفتح يكون يوم
القيمة وذلك اليوم لا ينفع الكافرين ايمانهم ولا هم ينظرون اي لا يؤخر عنهم العذاب وقيل يعني الذين قتلوا يوم بدر لم ينفعهم ايمانهم بعد
القتل فاعرض عنهم يا محمد فانه لا ينجع فيهم الدعاء والوعظ وقيل اعرض عن اذاهم وانتظر حكم الله فيهم قال ابن عباس نسخت آية السيف
وانتظر موعدي لك بالنصر على اعدائك انهم منتظرون بك حوادث الزمان من موت او قتل فيستريحوا منك وقيل معناه انتظر بهم
ما وعد الله فيهم فكانهم منتظرونه سورة الاحزاب مدنية عدد آيها وهي ثلث وسبعون آية بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي ص وآله
قال من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر وروى عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عم
قال من كان كثير القراءة لسورة الاحزاب كان يوم القيمة في جوار محمد ص وآله وازواجه تفسيرها امر سبحانه في ختم تلك السورة
بالانتظار ثم امره هنا ان يكون في انتظاره متقيا ونهاه عن طاعة الكفار فقال بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ولا
تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم
ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في
الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما خمس آيات القراءة قرا
ابو عمرو بما يعملون خبيرا بالياء والباقون بالتاء وقرا ابن عامر واهل الكوفة اللائي مهموزة ممدودة مشبعة بعدها ياء وفي سورة
المجادلة والطلاق مثله وقرا نافع ويعقوب اللاء ممدودة مهموزة مختلسة لا ياء بعدها والباقون اللاي بغير همز ولا مد حيث
كانت وقرا عاصم تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وقرا بفتح الظاء وتخفيف التاء اهل الكوفة غير عاصم وقرا ابن عامر تظاهرون
بفتح الظاء وتشديدها وقرا الباقون تظهرون بغير الف وتشديد الهاء الحجة قال ابو علي من قرا بما يعملون بالياء فعلى ولا تطع
الكافرين انه بما يعملون والتاء على المخاطب ويدخل فيه الغيب واللائي اصله فاعل مثل شاء والقياس ان يثبت الياء فيه كما يثبت
في الشائي والنائي وقد حذفوا الياء في حروف من ذلك قولهم ما باليت به بالة ومنه جائز وكذلك اذا حذفت من اللائي يصير اللاء
فان خففت الهمزة فالقياس ان تجعل بين بين وقد حكي سيبويه حذف الياء من اللائي ومن قرا تظهرون فانه تتظهرون فادغم
التاء في الظاء ومن قرا تظاهرون مضمومة التاء فهو من ظاهر من امراته ويقوي ذلك قولهم في مصدره الظهار ومن قرا تظاهرون
خفيفة الظاء فمعناه تتظاهرون فحذف تاء تتفاعلون التي ادغمها غيره وهو من قرا تظاهرون بتشديد الظاء مع الالف النزول
نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي بعد غزوة احد بامان من

رسول الله ص وآله ليكلموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فدخلوا على رسول الله ص وآله
فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي ص وآله فقال عمر
بن الخطاب ايذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال اني اعطيتهم الامان وامر ص فاخرجوا من المدينة ونزلت الآية ولا تطع الكافرين من اهل
مكة ابا سفيان وابا الاعور وعكرمة والمنافقين ابن ابي وابن سعد وطعمة وقيل نزلت في ناس من ثقيف قدموا على رسول الله ص وآله
فطلبوا منه ان يمتعهم باللات والعزى سنة قالوا لتعلم قريش منزلتنا منك وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر
جميل بن معمر بن حبيب الفهري وكان لبيبا حافظا لما يسمع وكان يقول ان في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد
فكانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر تلقاه ابو سفيان بن حرب وهو اخذ بيده احدى
نعليه والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال
ابو معمر ما شعرت الا انها في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له الا قلب واحد لما نسي نعله في يده خاطب الله سبحانه نبيه ص وآله
فقال يا ايها النبي اتق الله اي اثبت على تقوى الله ودم عليه وقيل معناه اتق الله في اجابة المشركين الى ما التمسوه وقيل ان بعض
المسلمين هم بقتل اولئك الذين قدموا المدينة بامان فقال اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين والمنافقين مر بيانه وقيل انه
عام وهو الوجه والكافر هو الذي يظهر الكفر ويبطنه والمنافق هو الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر ان الله كان عليما بما يكون قبل
كونه حكيما فيما يخلقه ولما نهاه عن متابعة الكفار واهل النفاق امره باتباع اوامره ونواهيه على الاطلاق فقال واتبع ما يوحى اليك
من ربك من القرآن والشرايع فبلغه واعمل به ان الله كان بما تعملون خبيرا اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم فيجازيكم بحسبها ان خيرا
فخير وان شرا فشر وتوكل على الله اي فوض امورك الى الله حتى لا تخاف غيره ولا ترجو الا خيره وكفى بالله وكيلا اي قائما بتدبيرك حافظا
لك ودافعا عنك ما جعل الله لرجل من قلبين فان امر الرجل الواحد لا ينتظم ومعه قلبان فكيف تنتظم امور العالم وله آلهة
معبودات وقيل انه نزل في ابي معمر على ما مر بيانه عن مجاهد وقتادة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل ان المنافقين يقولون ان
لمحمد قلبين ينسبونه الى الدهاء فاكذبهم الله تعالى بذلك عن ابن عباس وقيل ان رجلا كان يقول ان لي نفسين نفسا تأمرني ونفسا
تنهاني فنزل ذلك فيه عن الحسن وقيل هو رد على المنافقين والمعنى ليس لاحد قلبان يؤمن باحدهما ويكفر بالآخر وانما هو قلب واحد فاما
ان يؤمن واما ان يكفر عن ابي مسلم وقيل انه يتصل بما قبله والمعنى انه لا يمكن الجمع بين اتباعين متضادين اتباع الوحي والقرآن
واتباع اهل الكفر والطغيان فكنى عن ذلك بذكر القلبين لان الاتباع يصدر عن الاعتقاد والاعتقاد من افعال القلوب فكما لا
يجتمع قلبان في جوف واحد لا يجتمع قلبان متضادان في قلب واحد وقال ابو عبد الله ع ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
يحب بهذا قوما ويحب بهذا اعداءهم واختلف العلماء في انه هل يجوز ان يكون الانسان الواحد قلبان فمنع بعضهم من
ذلك وقال ان ذلك يؤدي الى ان لا ينفصل انسان من انسانين لانه يصح ان يريد باحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الآخر فيصير
كشخصين وجوز بعضهم ذلك وقال كما ان الانسان الواحد يجوز ان يكون له قلب كثير الاجزاء يمتنع ان يريد ببعض الاجزاء ما يكرهه
بالبعض لان الارادة والكراهة وان وجدتا في جزئين من القلب فالحالتان الصادرتان بينهما ترجع الى الجملة وهي جملة واحدة
فاستحال اجتماع معنيين ضدين في حي واحد ويجوز ان يكون معنيان مختلفان او مثلان في جزئين من القلب ويوجبان
الصفتين للحي الواحد فكذلك القياس اذا كان المعنيان في قلبين اذا كان ما يوجبانهما يرجع الى حي واحد الا ان السمع ورد بالمنع
من ذلك وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم يقال ظاهر من امرأته وتظاهر وتظهر وهو ان يقول لها انت علي
كظهر امي وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذه اللفظة فلما جاء الاسلام نهوا عنه واوجبت الكفارة على من ظاهر من
امرأته وسنذكره في سورة المجادلة والمعنى ان الله تعالى اعلمنا ان الزوجة لا تصير اما فقال ما جعل نساءكم اللائي تقولون هن علينا
كظهور امهاتنا امهاتكم على الحقيقة هن اللائي ولدنكم وارضعنكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم الادعياء جمع الدعي وهو الذي يتبناه
الانسان بين سبحانه انه ليس بابن على الحقيقة ونزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبد ود تبناه رسول الله ص وآله

قبل الوحي وكان قد وقع عليه السبي فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وآله بسوق عكاظ ولما نبي ص وآله
دعاه الى الاسلام فاسلم فقدم ابوه حارثة مكة واتى ابا طالب فقال سل ابن اخيك فاما ان يبيعه واما ان يعتقه فلما قال ذلك ابو طالب
لرسول الله صلى الله عليه وآله قال هو حر فليذهب حيث شاء فابى زيد ان يفارق رسول الله ص وآله فقال حارثة يا معشر قريش اشهدوا
انه ليس ابني فقال رسول الله ص وآله اشهدوا انه ابني يعني زيدا فكان يدعى زيد بن محمد فلما تزوج النبي صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش
وكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون تزوج محمد امراة ابنه وهو ينهى الناس عنها فقال الله سبحانه ما جعل من تدعونه
ولدا وهو ثابت النسب من غيركم ولدا لكم ذلكم قولكم بافواهكم اي ان قولكم الداعي ابن الرجل فهو شيء تقولونه بالسنتكم لا حقيقة له
عند الله والله يقول الحق الذي يلزم اعتقاده وله حقيقة وهو ان الزوجة لا تصير بالظهار اما والدعي لا يصير بالتبني ابنا وهو يهدي
السبيل اي يرشد الى طريق الحق ويدل عليه ادعوهم لآبائهم الذين ولدوهم وانسبوهم اليهم او الى من ولدوا على فراشهم هو اقسط
عند الله اي هو اعدل عند الله قولا وحكما وروى سالم عن ابن عمر قال ما كنا ندعوا زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم
لآبائهم هو اقسط عند الله اورده البخاري في الصحيح فان لم تعلموا آباءهم اي لم تعرفوهم باعيانهم فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم
في الملة فقولوا يا اخي ومواليكم اي بنوا اعمامكم قال الزجاج ويجوز ان يكون المراد واولياؤكم في الدين في وجوب النصرة وقيل معناه
معتقوكم ومحرروكم اذا اعتقتموهم من رق فلكم ولاؤهم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به اي ليس عليكم حرج في نسبته الى المتبني
اذا ظننتم انه ابوه ولم تعلموا انه ليس بابن له فلا يؤاخذكم الله به ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الاثم والجناح فيما تعمدت قلوبكم يعني
في الذي تعمدته قلوبكم وقصدتموه من دعائهم الى غير آبائهم فانكم تؤاخذون به وقيل ما اخطأتم قبل النهي وما تعمدتموه بعد النهي عن
مجاهد وكان الله غفورا لما سلف من قولكم رحيما بكم وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز الانتساب الى غير الاب وقد وردت
السنة بتغليظ الامر فيه قال صلى الله عليه وآله من انتسب الى غير ابيه وانتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم
معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا
منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا خمس آيات القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر وابو بكر وقتيبة الظنونا
والرسولا والسبيلا بالالف في الوصل والوقف وقرا اهل البصرة وحمزة بغير الف في الوصل والوقف والباقون بالالف في الوقف
وبغير الف في الوصل الحجة قال ابو علي وجه قول من اثبت في الوصل انها في المصحف كذلك وهو راس آية ورؤس الآي تشبه
بالقوافي من حيث كانت مقاطع فكما شبه اكرمن واهانن بالقوافي في حذف الياء منهن كما حذف في نحو قوله من حذر الموت ان
ياتين واذا ما انتسبت له انكرن كذلك يشبه هذا في اثبات الالف بالقوافي فاما من طرح الالف في الوصل فانه ذهب الى ان
ذلك في القوافي وليس رؤس الآي بقواف فتحذف في الوصل كما يحذف غيرها مما يثبت في الوقف نحو التشديد الذي يلحق الحرف
الموقوف فيه وهذا اذا ثبت في الخط فينبغي ان لا يحذف كما يحذف هاء الوقف من حسابيه وكتابيه وانه يجري مجرى الموقوف عليه
ولا يوصل الاعراب ان تفعلوا موصول وصلة في موضع رفع بالابتداء كانه استثناء منقطع وخبره محذوف وتقديره لكن فعلكم
الى اوليائكم معروفا جائز واذ اخذنا العامل في الظرف اذكر وقوله اذ جاءتكم جنود العامل في الظرف هنا محذوف تقديره واذكروا
نعمة الله عليكم كائنة وقت مجيء جنود واذ جاؤكم بدل من اذ الاولى واذ زاغت كذلك النزول قال الكلبي آخى رسول الله ص وآله بين
الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الثاني منهما دون اهله فمكثوا كذلك ما شاء الله حتى نزلت اولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين فنسخت هذه الآية الموارثة بالمواخاة والهجرة وورث الادنى فالادنى من
القرابات وقال قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان لا يرث الاعرابي المسلم من المهاجر شيئا فنزلت هذه الآية فصار للمواريث

ع ١٧ عشر

بالقر

بالقرابات المعنى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم اى هو اولى بهم منهم بانفسهم وقيل فى معناه اقوال احدها انه احق بتدبيرهم وحكمه
انفذ عليهم من حكمهم على انفسهم خلاف ما يحكم به لوجوب طاعته التى هى مقرونة بطاعة الله تعالى عن ابن زيد وثانيها انه اولى بهم فى
الدعوة فاذا دعاهم النبى صلى الله عليه وآله الى شىء ودعتهم انفسهم الى شىء كانت طاعته اولى بهم من طاعة انفسهم عن ابن عباس وعطا وهذا
قريب من الاول وثالثها ان حكمه انفذ عليهم من حكم بعضهم على بعض كقوله فسلموا على انفسكم فاذا كان هو احق بهم وهو لا يرث امته
بالله من يحق فكيف يرث من توجهت حقه بالنبى وروى ان النبى ص وآله لما اراد غزوة تبوك وامر الناس بالخروج قال قوم نستأذن
اباءنا وامهاتنا فنزلت هذه الآية وروى عن ابى وابن مسعود وابن عباس انهم كانوا يقرؤن النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم وكذلك هو فى مصحف ابى وروى ذلك عن ابى جعفر وابى عبد الله ع قال مجاهد وكل نبى اب لامته ولذلك
صار المؤمنون اخوة لان النبى ابوهم فى الدين وواحدة الانفس نفس وهى خاصة الحيوان الحساسة الدراكة التى هى انفس ما فيه
ويحتمل ان يكون اشتقاقه من التنفس الذى هو الترويح ويحتمل ان يكون من النفاسة لانه اجل ما فيه واكرمه وازواجه امهاتهم
والمعنى انهن للمؤمنين كالامهات فى الحرمة وتحريم النكاح وليس امهات لهم على الحقيقة اذ لو كن كذلك لكانت بناته اخوات
المؤمنين على الحقيقة فكان لا يحل للمؤمن التزوج بهن فثبت ان المراد به يعود الى حرمة العقد عليهن لا غير لانه لم يثبت شى من
احكام الامومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة الا ترى انه لا يحل للمؤمنين رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن ولهذا
قال الشافعى وازواجه امهاتهم فى معنى دون معنى وهو انهن محرمات على التأبيد وما هن محارم فى الخلوة والمسافرة وهذا معنى
ما رواه مسروق عن عائشة ان امرأة قالت لها يا امة فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فعلى هذا لا يجوز ان يقال لاخوانهن
واخواتهن اخوال المؤمنين وخالات المؤمنين قال الشافعى تزوج الزبير اسماء بنت ابى بكر ولم يقل هى خالة المؤمنين واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين وهو مفسر فى سورة الانفال واولوا الارحام هم ذوو الانساب لما ذكر سبحانه
ان ازواج النبى امهات المؤمنين عقبه بهذا وبين انه لا توارث الا بالولادة والرحم والمعنى ان ذوى القرابات بعضهم اولى بميراث
بعض من المؤمنين اى من الانصار والمهاجرين اى الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقيل معناه من المؤمنين المتواخين والمهاجرين
فصارت هذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والمواخاة فى الدين دالة على ان الميراث بالقرابة فمن كان اقرب فى قرباه فهو احق بالميراث
من الابعد الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا هذا استثناء منقطع ومعناه لكن ان فعلتم الى اوليائكم المؤمنين وخلفائكم ما يعرف
حسنه وصوابه فهو حسن قال السدى عنى بذلك وصية الرجل لاخوانه فى الدين وقال غيره لما نسخ التوارث بالمواخاة والهجرة اباح الوصية
فيوصى لمن يتولاه بما احب من الثلث فمعنى المعروف هنا الوصية وحكى عن محمد بن الحنفية وعكرمة وقتادة ان معناه الوصية لذوى
القربى من المشركين وقيل ان هذا لا يصح لانه تعالى نهى عن ذلك بقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقد اجاز كثير من الفقهاء الوصية
للقرابة الكافرة وقال اصحابنا انها جائزة للوالدين والولد كان ذلك اى نسخ الميراث بالهجرة ورده الى اولى الارحام من القرابات فى
الكتاب اى فى اللوح المحفوظ وقيل فى القرآن وقيل فى التورية مسطورا اى مكتوبا ومن فى قوله من المؤمنين والمهاجرين يحتمل
امرين احدهما ما ذكرناه والآخر ان يكون التقدير واولوا الارحام من المؤمنين والمهاجرين اولى بالميراث واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
اى واذكر يا محمد حين اخذ الله الميثاق على النبيين خصوصا بان يصدق بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا عن قتادة وقيل اخذ ميثاقهم
على ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادة الله وان يصدق بعضهم بعضا وان ينصحوا لقومهم عن مقاتل ومنك يا محمد وانما قدمه لفضله
وشرفه ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم خص هؤلاء بالذكر لانهم اصحاب الشرايع واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا
شديدا على الوفاء بما حملوا من اعباء الرسالة وتبليغ الشرايع وقيل على ان يعلنوا ان محمدا رسول الله ويعلن محمد انه لا نبى بعده وانما اعاد
ذكر الميثاق على وجه التغليظ فذكره فى اول الآية مطلقا وفى آخرها مقيدا بزيادة صفة ثم بين سبحانه الغاية فى اخذ الميثاق فقال ليسأل
الصادقين عن صدقهم قيل معناه وانما فعل ذلك ليسأل الانبياء والمرسلين ما الذى اجاب به اممكم عن مجاهد وقيل ليسأل الصادقين
فى توحيد الله وعدله والشرايع عن صدقهم اى عما كانوا يقولون فيه ثم فيقال لهم هل ظلم الله احدا هل جازى كل انسان بفعله هل

عذب بغير ذنب ونحو ذلك فيقولون نعم عدل فى حكمه وجازى كلا بفعله وقيل معناه ليسأل الصادقين فى اقوالهم عن
صدقهم فى افعالهم وقيل ليسأل الصادقين ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله او غيره ويكون فيه تهديد للكاذب قال الصم اذا سئل
من صدقه على اى وجه قاله فيجازى بحسبه فكيف يكون حال الكاذب ثم قال سبحانه واعد للكافرين عذابا اليما اى مؤلما ثم خاطب سبحانه
المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ذكرهم سبحانه عظيم نعمته عليهم فى دفع الاحزاب عنهم اذ جاءتكم جنود
وهم الذين تحزبوا على رسول الله ص وآله ايام الخندق فارسلنا عليهم ريحا وهى الصبا ارسلت عليهم حتى اكفأت قدورهم ونزعت
فساطيطهم وجنودا لم تروها من الملائكة وقيل ان الملائكة لم تقاتل يومئذ ولكن كانوا يشجعون المؤمنين ويجبنون الكافرين وكان
الله بما تعملون بصيرا من قرأ بالتاء فوجهه الخطاب الى المؤمنين ومن قرأ بالياء فالمراد ان الله عالم بما يعمله الكفار ثم قال اذ جاؤكم اى
واذكروا حين جاءكم جنود المشركين من فوقكم اى من فوق الوادى قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان ومن اسفل منكم اى من قبل المغرب
من ناحية مكة ابو سفيان فى قريش ومن تبعه واذ زاغت الابصار اى مالت عن كل شئ فلم تنظر الا الى عدوها مقبلا من كل جانب وقيل
معناه عدلت الابصار عن مقرها من الدهش والحيرة كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر وبلغت القلوب الحناجر والحنجرة جوف الحلقوم اى شخصت
القلوب من مكانها فلولا انه ضاق الحلقوم عنها ان تخرج لخرجت وقال ابو سعيد الخدرى قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شئ نقول لقد
فقد بلغت القلوب الحناجر فقال قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فقلناها فضرب وجوه اعداء الله بالريح فهزموا وقال
الفراء المعنى فى قوله بلغت القلوب الحناجر انهم جبنوا وجزع اكثرهم وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان ينتفخ سحره والسحر الرية فاذا انتفخت
الرية رفعت القلوب الى الحنجرة وتظنون بالله الظنونا اى اختلفت الظنون فظن بعضكم بالله النصر وبعضكم ايس وقنط وقيل تظنون
ظنونا مختلفة فظن المنافقون يستأصل محمد اوظن المؤمنون انه ينصر عن الحسن وقيل ان من كان ضعيف القلب والايمان ظن
ما ظنه المنافقون الا انه لم يعمل بذلك وقيل اختلاف ظنونهم ان بعضهم ظن ان الكفار يغلبونهم وظن بعضهم ان الكفار يستولون على
المدينة وظن بعضهم ان الجاهلية تعود كما كانت وظن بعضهم ان ما وعد الله ورسوله من نصرة الدين واهله غرور فاقسام الظنون كثيرة
خصوصا من الجبناء النظم اتصل قوله النبى اولى بالمؤمنين بقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم فانه سبحانه لما بين ان النبى لا يجوز من يتبنيه
انه مع ذلك اولى بالمؤمنين من انفسهم من حيث انه ولاه الله امرهم فيلزمهم طاعته والانقياد له واصل الولاية لله تعالى كما قال هنالك
الولاية لله فلاحظ فيها لاحد الا لمن ولاه سبحانه والى هذا المعنى اشار النبى ص وآله يوم الغدير فى قوله الست اولى بكم منكم بانفسكم فلما
قالوا بلى قال من كنت مولاه فعلى مولاه والمولى بمعنى الاولى بدلالة قوله مأويكم النار هى موليكم اى اولى بكم وقول لبيد فغدت كلا الفرجين
تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها اى اولى بالمخافة ثم عاد سبحانه الى الكلام فى تأكيد نبوة نبينا ص وآله بذكر ما اخذ على النبيين من
الثواب
الميثاق فى هذا الباب وعقب ذلك ببيان آياته ومعجزاته يوم الاحزاب وذكر ما انعم عليه وعلى المؤمنين به من النصر مع اعداء لهم من
حديث غزوة الخندق ذكر محمد بن كعب القرظى وغيره من اصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق ان نفرا من اليهود منهم سلام بن
ابى الحقيق وحيى بن اخطب وجماعة من بنى النضير الذين اجلاهم رسول الله ص وآله خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب
رسول الله ص وآله وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال لهم قريش يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب فديننا خير ام دين
محمد قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم الذين انزل الله فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسر قريشا ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه
فاجمعوا لذلك واعتدوا له ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان فدعوهم الى حرب رسول الله ص واخبروهم انهم سيكونون
معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة
اسد
بن حصن بن حذيفة بن بدر فى فزارة والحرث بن عوف فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة الاشجعى فيمن تابعه من اشجع وكتبوا الى حلفائهم من بنى
فاقبل طليحة فيمن اتبعه من بنى اسد وهما حليفان اسد وغطفان وكتب قريش الى رجال من بنى سليم فاقبل ابو الاعور فيمن اتبعه من بنى سليم
مددا لقريش فلما علم بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ضرب الخندق على المدينة وكان الذى اشار عليه بذلك سلمان الفارسى وكان اول

مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يومئذ حر قال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل
فيه رسول الله ص والمسلمون حتى احكموه فمما ظهر من دلايل النبوة في حفر الخندق ما رواه ابو عبد الله الحافظ باسناده عن كثير
بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال حدثني ابي عن ابيه قال خط رسول الله ص وآله الخندق يوم الاحزاب اربعين ذراعا بين
عشرة فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقالت الانصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت انا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن
مقرن وستة من الانصار نقطع اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا بلغنا الثرى اخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت
حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره عن الصخرة فاما ان نعدل عنها فان المعدل
قريبا واما ان يأمرنا فيه بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه فرقي سلمان حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مضروب عليه
قبة فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير
فمرنا فيه بامرك فهبط رسول الله مع سلمان في الخندق واخذ المعول فضرب به ضربة فلمعت منها برقة اضاءت ما بين لابتيها
يعني لابتي المدينة حتى لكان مصباحا في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ص تكبيرة فتح فكبر المسلمون ثم ضرب ضربة اخرى فلمعت
برقة اخرى ثم ضرب الثالثة فلمعت برقة اخرى فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول الله ما هذا الذي رايت فقال اما الاولى فان الله
عز وجل فتح علي بها اليمن واما الثانية فان الله تعالى فتح علي بها الشام والمغرب واما الثالثة فان الله تعالى فتح بها المشرق
فاستبشر المسلمون لذلك وقالوا الحمد لله موعود صادق قال وطلعت الاحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله وقال المنافقون
الا تعجبون يحدثكم ويعدكم الباطل يخبركم انه يبصر في يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق ولا
تستطيعون ان تبرزوا ومما ظهر فيه ايضا من آيات النبوة ما رواه ابو عبد الله الحافظ بالاسناد عن عبد الواحد بن ايمن المخزومي
قال حدثني ايمن المخزومي قال سمعت جابر بن عبد الله قال كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كذانة وهي الجبل فقلنا يا رسول
الله ان كذانة عرضت فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله رشوا عليها ماء ثم قام فاتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع فاخذ
المعول والمسحاة فسمى ثلثا ثم ضرب فعادت كثيبا اهيل فقلت له ايذن لي يا رسول الله الى المنزل ففعل فقلت للمراة هل عندك من
شيء فقالت عندي صاع من شعير وعناق فطحنت الشعير وعجنته وذبحت العناق وسلختها وخليت بين المراة وبين ذلك ثم
اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فجلست عنده ساعة ثم قلت ايذن لي يا رسول الله ففعل فاتيت المنزل فاذا العجين واللحم
قد امكنا فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت ان عندنا طعيما لنا فقم يا رسول الله انت ورجلان من اصحابك فقال
وكم هو قلت صاع من شعير وعناق فقال للمسلمين جميعا قوموا الى جابر فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله فقلت جاء بالخلق
على صاع شعير وعناق فدخلت على المراة وقلت قد افتضحت جاء رسول الله ص وآله بالخلق اجمعين فقالت هل كان سالك كم
طعامك قلت نعم قالت الله ورسوله اعلم قد اخبرناه ما عندنا فكشفت عني غما شديدا فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
خذي ودعيني واللحم فجعل رسول الله يثرد ويغرف اللحم ثم يخمر هذا ويخمر هذا فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا اجمعين
وعاد التنور والقدر ملاء كما كانا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله كلي واهدي فلم نزل ناكل ونهدي قومنا اجمع اورده البخاري في
الصحيح وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ص وآله ينقل معنا التراب يوم الاحزاب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول
اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا ان الاولى قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة
ابينا يرفع بها صوته رواه البخاري ايضا في الصحيح عن ابي الوليد عن شعبة عن ابي اسحق عن البراء قالوا ولما فرغ رسول الله ص وآله
من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة
واقبل غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم
الى سلع في ثلثة الاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام